

الفلسان



تأليف: لاورا إسكيبيل

ترجمة: نادية جمال الدين محمد

المشروع القومي للترجمة

الغليان

تأليف

لاورا اسكييل

ترجمة

نادية جمال الدين محمد



٢٠٠٠

Estudio critico
de
Como agua para chocolate
Laura Esquivel

"Si Aristóteles hubiera guisado, mucho más hubiera escrito."

Sor Juana Inés de la Cruz.

تقديم

توقفت طويلاً متأملة. هذه الرواية بعد مشاهدتها خلال مهرجان القاهرة السينمائي لعام ١٩٩٣، وأعترف أنه بدون مشاهدة الرؤية السينمائية لها، والتي لاقت نجاحاً كبيراً في الولايات المتحدة وبلاد أخرى، لما استطعت استيعابها وتذوقها. أولاً: لأن الرواية كمضمون تتناول موضوعاً مهماً وهو الامتثال الأعمى لتقليد ما على الرغم من سلبيته وقسوته على الإنسان. وثانياً: للشكل الذي وضعت فيه المؤلفة المكسيكية لورا إسكييل هذا المضمون، والذي يجعل بطلتها (مسلوبة الإرادة)، تتجه إلى صنعة الطبخ لتستطيع، عبر الطعام، مواجهة ذلك التقليد الذي يكبلها.

المضمون والشكل :

تدور الرواية حول " تيتا " الابنة الصغرى التى تتحمل بخضوع ونقمة عدم استطاعة الزواج ممن أحبت أمثالاً لتقليد عائلى يقضى بضرورة قيام الابنة الصغرى فى الأسرة برعاية أمها حتى وفاتها، وهو ما يترتب عليه عدم زواجها طوال تلك الفترة. وهكذا تتحول " تيتا "، شيئاً فشيئاً، إلى رمز المجتمع

المكسيكي الجديد الذى تشكل عبر القوى الخارجية للشورة المكسيكية: مجتمع مغلوب على أمره وخاضع.

تنسج عقدة القصة عبر مجموعة من وصفات الطعام التى تؤدى عناصرها الغذائية أحياناً إلى تأثيرات سحرية وهزلية. هذه الوصفات موزعة على اثنى عشر شهراً من يناير إلى ديسمبر، يمثل كل منها فصلاً من فصول الرواية، تصاحبنا خلال أحداثها مشاعر البطلة وهى إحساس بالغضب لزواج شقيقتها الكبرى من حبيبها الذى رفضت أمها أن تزوجه لها وزوجته من شقيقتها الكبرى، ورغبة جنسية مكبوتة يصاحبها شعور ووضع جاهز للانفجار والافتضاح لا يجد أمامه من متنفس إلا الطهى.

من هنا نكتشف أن الطهى وتأثيراته هو العنصر الأساسى للرواية. فاللذة التى يؤدى إليها الطعام، سواء فى طريقة إعداده أو مذاقه، هو قاعدة المضمون والشكل فى رواية « الغليان ».

الشخصيات :

غالبية شخصيات « الغليان » من النساء، وهى جميعها تدور فى فلك « تيتا » التى تمثل محور الرواية؛ فهى عن طريق الأطعمة التى تعدها، تبرز أهمية المرأة فى حياة الرجل، وبالتالي فى المجتمع، ونجدها فى الرواية تهب نفسها تماماً لإعداد وصفات طعام خاصة بها استمدتها من كتب جداتها. ونجد كل فصل فى الرواية يبدأ بوصفة طعام تبدأ بالمواد المطلوبة والمقادير ثم

الاسترسال، من خلال بقية الفصل، فى وصف طريقة الإعداد التى تتسلل من خلالها لوصف وإطلاق مشاعرها وربطها بنوع الطعام الذى تقدمه لنا. ومن هنا نتعرف على شخصية « تيتا » وأسلوب حياتها ومشاكلها النفسية والاجتماعية، والتى لا تحول دون إبداعها الخاصة فى صنع أكلة ما. وهكذا يتحول الطعام إلى وسيط مهم للتعبير، وهو ليس أمراً صعباً على إنسانة عرفت الحياة عن طريق الطبخ الذى ولدت فيه. لم يكن سهلاً على « تيتا » إدراك العالم الخارجى؛ فقد انحصر عالمها الكبير داخل هذا المصنع الصغير للطعام (للحياة). فإذا كانت قد حرمت من التعرف على الحياة الخارجية، فإنها تسيطر عليها من خلال عالمها الصغير وهو: المطبخ.

لقد حرمتها أمها من الزواج ممن أحبت؛ فكان زواجها الروحى به من خلال الطهى الذى كانت تبثه من خلاله كل مشاعرها كامراً. ولكن التأثيرات الناتجة عن الطعام الذى تصنعه « تيتا » يصل إلى مستويات تفوق طبيعته مسببة أفعالاً عجيبة ومكتسبة صبغة واقعية سحرية. ولكونها طاهية ماهرة تسيطر تماماً على هذه الصنعة التى لازمتها منذ صغورها، وشكلت مشاعرها ورغباتها التى تشبهها الكاتبة « بقطع الزلاية عند إلقائها فى الزيت المغلى » أو الإحساس بالوحدة والهوان مثل حبة الفلفل المحشوة بالجوز والمنسية فى صحن بعد وليمة عظيمة. كانت « تيتا » تعاني من شوق وإحباط شديدين مثل جائع لا يكمل

صحته استحياءً من إظهار نهمة . ولكنها تصرخ أحياناً يائسة وهي تلعن الحياء والكتب التي تدعو إلى السلوك المهدب؛ فبسببها قدر على جسدها أن ينزوي، وأن يذبل شيئاً فشيئاً بلا أى ترياق.

وهكذا تبث « تيتا »، عن طريق وصفاتها للطعام، مشاعر امرأة كتبت عليها التقاليد العقيمة أن تكتم مشاعرها، وأن يذبل جسدها.

ويظهر الطهو كوسيلة للتعبير عن ذاتها عند وفاة « روبرتو » ابن أختها من حبيبها، والذي كانت ترعاه، إلا أن أمها قامت بإبعاده عنها مما أدى إلى وفاته، عند ذلك تتمرد « تيتا » وتمتنع عن الطعام والطهي، وهو ما يعنى رفضها للحياة. ونراها فى هذه الحالة تتساءل بيأس: « لو أننى أستطيع أن أتذكر كيف أطهو ولو حتى بيضتين، لو أننى أستطيع تذوق أى أكلة، لو أننى أستطيع... العودة إلى الحياة »... وتعود « تيتا » إلى الحياة بالفعل عبر حساء « عكاوى الغنم » الذى أعدته لها الخادمة « تشيتشا »، وهنا تؤكد « تيتا » أن الحساء المعد بطريقة جيدة قادر على قهر أى مرض نفسى كان أم عضوى، ويعود البصل الذى صنع منه الحساء والذي بدأت حياة « تيتا » معه فى المطبخ، يعود ليمارس تأثيره المظهر مزيلاً كل آلامها عبر الدمع الذى ينطلق بمجرد انبعاث رائحته.

إن الطهى يجعل « تيتا » تتقاسم مشاعرها مع الآخرين؛

فطعامها يحرك، بدون إرادة منها، الأحاسيس ذاتها فيمن يتناوله؛ فكل وصفة طعام تعبر عن شعور أو حالة نفسية تعانيها « تيتا » وتعكسها في صنعها. فنرى الدمع، الذى ينساب منها فى كعكة زفاف شقيقتها إلى حبيبها، يؤدى إلى غثيان وشعور قوى بالشجن . . . ودمائها التى تختلط بتبيلات الورد الذى قدمه لها « بيدرو » (حبيبها وزوج شقيقتها والذى يقيم هو وزوجه فى نفس المنزل) يؤدى إلى رغبة جنسية جامحة فى كل أفراد العائلة، كما أن وجبة « المولى » تفضى إلى حالة من النشوة فى نفس كل من يتناولها . . .

تنسج الكاتبة روايتها بأسلوب بسيط وجمل قصيرة ومتقطعة تعكس الحالة النفسية لأبطالها. ولكن رغم بساطة الأسلوب، إلا أنه تهكمى واستفزازى ومرير يتفق وشخصية « تيتا » الفتاة الريفية المقهورة، والتى لا تستسلم، وتعبر عن رفضها بشكل وإن كان يبدو سلبياً، إلا أنه يمثل، إلى حد ما، تحدياً لامرأة فى ظروفها.

وهكذا نرى أن رواية « الغليان » كانعكاس جوهري للحياة، تضيف صفحة جديدة فى سجل العذابات التى تعانيها المرأة باسم العادات والتقاليد المتوارثة وهى هنا: الخضوع للإرادى والحرمان من أهم حقوق الأنثى وهى الزواج ممن ترغب، والتى نجد موازياتها، وإن كانت بصور مختلفة، فى مجتمعاتنا العربية. كما أنها تلقى الضوء على حقيقة مهمة للغاية نفتقدها حالياً وهى

« الطهو » ونقصد به الطعام المعد بشكل إنسانى وليس كما يحدث الآن، حيث تحولت مجتمعاتنا إلى الوجبات الآلية الجاهزة والسريعة والجامدة، والتي تعد بلا أى تفاعل وجدانى.

إن الطهى يحمل بالنسبة للمؤلفة صفات شبه صوفية (خفية) فهو ينقلنا إلى الماضى، وهو ماضٍ تتضمنه وصفات طعام تحفظ تراثنا حياً، ويحقق هويتنا وتميزنا.

إن بداية « الغليان » تعيد تقييم المطبخ كمكان مقدس، وتستدعى الحنين لطقوسه. فإن الطعام والكيمياء التى تتطلبها عملية الطهى يطلقان قوى داخلية تتفاعل مع قوى خارجية تؤدى إلى التحريض على إقامة عالم متوازن. لعل تلك الكلمات الأخيرة تحمل أسباب عدم توازن عالمنا. لقد فقدنا لذة الاستمتاع بالطهى، وبالتالي بالطعام؛ فقد جسدنا الشعور بالتذوق والمتعة.

استطاعت الكاتبة ببراعة أن تطعم فصول روايتها ببعض النصائح الخاصة بأسرار الطهى وفن إعداد مائدة الطعام وغيرها من الأفكار التى ابتعدت كثيراً عن اهتماماتنا، والتى كانت تمثل طقوساً مهمة عند أجدادنا.

لاقت رواية « الغليان » نجاحاً عالمياً كبيراً؛ فقد ترجمت إلى ٢٩ لغة، كما احتلت، لأكثر من عام، قائمة الكتب الأكثر مبيعاً فى النيويورك تايمز، وفازت مؤلفتها عام ١٩٩٤ بجائزة ABBY،

وهى جائزة الكتب الأكثر مبيعاً لذلك العام متحولة إلى أول كاتب أجنبي يحصل على هذه الجائزة وكفيلم كتبت السيناريو له نفس المؤلفة، وقام بإخراجه زوجها السابق ألفونسو ارّاو، حصل عام ١٩٩٢ على جائزة أريال وسيلفر هوجو (خلال المهرجان الدولي للسينما فى دورته الثامنة والعشرين)، وعام ١٩٩٣ على جائزة مهرجان هيوستن السينمائى الدولي. وفى يناير من نفس العام لقبت المؤلفة « لاورا إسكييل » بامرأة عام ١٩٩٢ .

الفصل الأول

ينابر

فطائر أعياد الميلاد

المقادير:

علبة سردين - نصف كيلو من السجق - بصلة - زعتر -
علبة فلفل أحمر حار - عشرة أرغفة فينو

طريقة العمل

تخرط البصلة ربيعاً، وأنصحكم بوضع قطعة صغيرة من البصل على منطقة أم الرأس لتفادى الضيق من الدمعان الذى يصاحب خراط البصل. و السئ فى البكاء عند خراط البصل ليس فى البكاء ذاته، بل فى أنه أحياناً ما أن نبدأ فى تلك العملية حتى نثار، كما يقولون، ولا نستطيع التوقف بعد ذلك. لست أدري إن كان حدث ذلك لكم. أما أنا ففى الحقيقة قد مررت به مرات لا حصر لها. كانت أمى تقول إن السبب فى ذلك يرجع إلى أننى حساسة للبصل مثل جدتى تيتا.

يقولون إن تيتا كانت حساسة إلى درجة أنها كانت وهى لاتزال فى بطن أم جدتى تبكى مراراً عندما كانت تلك تقوم بخراط البصل ؛ كان بكاءها قوياً إلى درجة أن ناتشا، طاهية المنزل شبه الصماء، كانت تسمعها بلا مشقة. وحدث ذات يوم أن كانت نهنحات البكاء من الشدة بحيث بكرت بالولادة. وبدون أن تنطق

أم جدتي بينت شفة جاءت تيتا إلى هذا العالم قبل موعدها فوق
مائدة المطبخ، بين روائح حساء الشعرية فوق النار، والزعتر وورق
الغار و الكزبرة و رائحة الحليب المغلى و الثوم و البصل طبعاً.
ولكم أن تتصوروا أنه لم يكن هناك داع للعملية المعهودة و الخاصة
بضرب المولود على إليته؛ لأن تيتا ولدت وهى تبكى مسبقاً، وربما
كان ذلك لاستشفافها أن الغيب يلوح لها بأن هذه الحياة تنكر
عليها الزواج. وكانت ناتشا تحكى أن تيتا قد دفعت دفعاً إلى هذا
العالم عبر سيل هائل من الدموع التى انسابت فوق مائدة وأرضية
المطبخ.

وفى المساء، عندما زال القلق و تبخرت المياه بفعل أشعة
الشمس، قامت ناتشا بجرف بقايا الدموع التى قد تبقت فوق
البلاط الأحمر الصغير الذى كان يغطى الأرضية. ومسلأت بهذا
الملح جوالاً زنة خمسة كيلو جرام استخدم فى الطهى مدة طويلة.
هذا الميلاد غير المألوف يوضح سبب شعور تيتا بحب كبير
للمطبخ، وأنها سوف تمضى الجزء الأكبر من حياتها به. وبشكل
محدد منذ مولدها، فبعد يومين من ميلادها مات أبوها، أو والد
جدى، بأزمة قلبية مما أدى إلى انقطاع اللبن من ثدى ماما إيلينا من
التأثر. ونتيجة عدم وجود حليب مجفف فى ذلك الزمان و لا ما
يشبهه، ولعدم إمكان العثور على مرضعة فى أى مكان، وجدت
الأسرة نفسها فى مأزق حقيقى من أجل تهدئة جوع الطفلة.

عرضت ناتشا، التى كانت على علم تام بكل ما يخص المطبخ - و بأشياء أخرى أكثر لا مقام لها الآن - أن تتولى تغذية تيتا. فقد اعتُبرت الأكثر قدرة على "تشكيل معدة المخلوقة البريئة" بالرغم من أنها لم تتزوج ولم تنجب. ولم تكن حتى تقرأ و لا تكتب، ولكن فيما يتعلق بالمطبخ، كانت بالفعل على دراية تامة و فائقة. قبلت ماما إيلينا الاقتراح برضى فكان يكفيها ما تعاني من الحزن والمسئولية الضخمة الخاصة بإدارة المزرعة بحزم لتستطيع توفير الغذاء لأولادها وكذلك التعليم المناسب، حتى يقع عليها أيضاً عبء تغذية المولودة كما يجب.

وعليه فقد نُقلت تيتا منذ ذلك اليوم إلى المطبخ و بين الشاى والأتوليه ^(١) نمت مليئة بالصحة و الجاذبية. وهنا يمكن تفسير سبب ما نما لديها من حاسة سادسة بكل ما يتعلق بالطعام. فمثلاً كانت مواعيد طعامها ترتبط بمواعيد الطهى فى المطبخ: ففي الصباح عندما كانت تيتا تشم أن الفاصوليا قد نضجت أو فى وقت الظهيرة عندما كانت تشعر أن الماء قد أُعد لتنظيف الدجاج من الريش أو عندما كان الخبز يسوى فى الفرن من أجل العشاء، كانت تشعر أن ساعة طلب غذائها قد حانت.

(١) الأتوليه: شروب سميك يتكون من الذرة المطحونة ودقيق أرز . . السخ، مذاق ومغلى فى ماء أو حليب. يمكن أن يضاف إليه مواد أخرى مثل السكر، القرفة، الشيكولاته، أو عصير الفاكهة ليكتسب طعماً أكثر (المترجمة).

كانت تبكى أحياناً بلا سبب، مثلاً عندما كانت ناتشا تخرط بصلة، ولكن لأن الاثنتين كانتا على علم بسبب تلك الدموع كانتا لا تعبآن بها. بل كانت تتحول إلى سبب للتسلية إلى درجة أن تيتا خلال فترة طفولتها لم تكن تميز جيداً بين دموع الضحك و دموع البكاء. فقد كان الضحك بالنسبة لها طريقة للبكاء.

كانت تخطئ بنفس الشكل لذة العيش بلذة الطعام. لم يكن سهلاً على امرأة عرفت الحياة من خلال المطبخ أن تعي العالم الخارجى. ذلك العالم الضخم الذى كان يبدأ من باب المطبخ نحو داخل البيت. لأن العالم الذى كان يتاخم الباب الخلفى للمطبخ و يفضى إلى الفناء ثم الحديقة فالحقل، كان بأكمله ملكاً لها وتحت سيطرتها. على عكس شقيقاتها اللائى كان هذا العالم يفزعهن و كن يجدنه مليئاً بمخاطر خفية. كان اللعب داخل المطبخ يبدو لهن مستحيلاً وفيه مخاطرة و لكن، على الرغم من ذلك، استطاعت تيتا إقناعهن برؤية طريقة تراقص قطرات الماء عند تساقطها فوق قطعة صفيح شديدة السخونة، إنه لمنظر مدهش.

ولكن بينما كانت تيتا تغنى وتهز يديها المبتلتين بشكل إيقاعى لكى تندفع قطرات الماء فوق الصفيح و "تراقص"، ظلت روساورا فى ركن مذهولة مما تشاهده. وعلى العكس كانت خيرتروديس، مع كل ما يحدث سواء النغم أو الحركة أو الموسيقى، مأخوذة بشدة باللعبة و انغمست فيها بحماس. عندئذ

لم يكن أمام روساورا من خيار سوى محاولة عمل نفس الشيء. لم تكن تبلل يديها تقريباً و كانت تقوم بذلك بخوف شديد، لم تحقق النتيجة المأمولة. عندئذ حاولت تيتا مساعدتها بتقريب يديها من قطعة الصفيح. قاومت روساورا و لم يتوقف هذا الصراع حتى قامت تيتا و هى فى شدة الغيظ بإطلاق يديها لتقعاً، لكسلها، فوق الصفيح الملتهب. وهكذا وفضلاً عن العلة الساخنة التى كانت من نصيبها، حُرِم على تيتا اللعب مع شقيقتها داخل عالمهما. عندئذ، تحولت ناتشا إلى رفيقتها فى اللعب. وظلتا تخترعان معاً ألعاباً و أنشطة متعلقة دائماً بالمطبخ. وحدث يوماً أن رأتا فى ساحة القرية رجلاً يكون أشكالاً لحيوانات ببالونات طويلة فجال بخاطرهما القيام بنفس العملية ولكن باستخدام قطع من السجق. فكونتا ليس فقط أشكالاً لحيوانات معروفة، وإنما ابتدعتا فوق ذلك بعضها نذكر منها على سبيل المثال أشكالاً برقبة أوز وأرجل كلب وذيل حصان.

كانت المشكلة تنجم عند اضطرارهما إلى حل تلك الأشكال لتحميم السجق. فقد كانت تيتا ترفض ذلك فى أغلب المرات. وكانت الوسيلة التى تقبل فيها ذلك بإرادتها عندما يكون الأمر متعلقاً بصنع فطائر عيد الميلاد. فقد كانت تسعدها. عند ذلك لم تكن تسمح فقط بتبديد شكل أحد حيواناتها بل و كانت تراقبه بسعادة وهو يقلب.

يجب الحرص على قلى السجق الخاص بالفطائر على نار هادئة جداً ليتم نضجه جيداً، ولكن بدون الإفراط فى تحميره. وعندما ينضج يُرفع من على النار و يضاف إليه السردين الذى تم نزع الشوك و عظمة الظهر منه. من الضرورى أيضاً إزالة البقع السوداء التى تكون بجلد السردين بسكين. يضاف إلى السردين البصلة و الفلفل الحار المفرومين والزعر المطحون. يترك الخليط ليهدأ قبل حشو الفطائر.

كانت تيتا تستمتع إلى حد كبير بتلك الخطوة، فقد كان مستحباً جداً التمتع بالرائحة المنبعثة من الخلطة السابقة أثناء تركها لترسب. فقد كان للروائح خاصية إحياء أزمنة ماضية وأصوات وروائح لا مثيل لها فى الحاضر. كان يحلو لتيتا أن تستنشق بعمق وتُبخر مع الأبخرة و الروائح المميزة للغاية والتى كانت تدركها، فى منعطفات ذاكرتها.

وعبثاً حاولت أن تستدعى المرة الأولى التى شمت فيها رائحة إحدى هذه الفطائر ولكن بلا نتيجة؛ لأن ذلك ربما كان قبل مولدها. ولعل الخليط الغريب من السردين والسجق قد شد انتباهها بدرجة جعلتها تُعدل عن البقاء فى أمان السماء و تختار بطن ماما إيلينا لتكون أمها و تنضم بهذه الطريقة إلى عائلة دي لا جارثا التى كانت تشتهر بطعامها الشهى وبطبق السجق بشكل خاص جداً.

كانت عملية إعداد السجق فى مزرعة ماما إيلينا طقساً بمعنى الكلمة. فقبل إعداده بيوم تبدأ عملية تقشير الثوم و غسل الفلفل الحار و طحن التوابل. كان على كل نساء العائلة المشاركة فى تلك العملية: ماما إيلينا و بناتها خيرتروديس وروساورا و تيتا و ناتشا الطباخة و تشينتشا الخادمة. كن يجلسن فى المساء على مائدة حجرة الطعام و بين أحاديث و مزاحات كان الوقت يمر فى لمح البصر حتى يهبط الظلام عندئذ تقول ماما إيلينا:

- كفانا هذا اليوم.

يقولون إن اللبيب بالإشارة يفهم، وعليه فإنه بعد سماع هذه الجملة كان الجميع يعلم ما يجب عليه القيام به. أولاً يقمن بجمع الأشياء من فوق المائدة ثم توزع الأعمال فيما بينهن: واحدة تبيت الفراخ و أخرى تجلب الماء من البئر و تجهزه للاستخدام وقت الإفطار و أخرى تتولى أمر حطب المدفأة. وفى ذلك اليوم لا يتم كى ولا تطريز ولا حياكة ملابس. بعد ذلك يذهب الجميع إلى غرف نومهن للقراءة و الصلاة و النوم. فى إحدى تلك الأمسيات وقبل أن تذكر ماما إيلينا أنه حان وقت جمع ما فوق المائدة، أخبرتها تيتا، وكانت آنذاك فى الخامسة عشر، بصوت مرتعش، بأن بيدرو موثكيث يريد الحضور للتحديث معها...

قالت ماما إيلينا بعد صمت غير منته قبض نفس تيتا.

- وفيما يريد الحضور ليحدثني ذلك السيد ؟

أجابت بصوت يُسمع بالكاد:

- لا أعلم.

رمقتها ماما إيلينا بنظرة كانت تحمل في طياتها لتيتا كل سنوات القمع التي كانت تجثم على العائلة وقالت: إذن، من الأفضل أن تخبريه أنه إذا كان من أجل طلب يدك ألا يفعل. فسوف يضيع وقته ووقتي. تعلمين تمام العلم أنك لكونك أصغر البنات يقع على عاتقك رعايتي حتى يوم وفاتي.

نهضت ماما إيلينا ببطء، بعد أن قالت هذا، ووضعت نظارتها في مرولتها وكررت كأمر نهائي.

- كفانا هذا اليوم!

كانت تيتا تعلم أن الحوار ليس مدرجاً ضمن قواعد التعامل في البيت. ولكنها بالرغم من ذلك حاولت لأول مرة في حياتها أن تعترض على أمر لوالدتها.

- لكن أنا أرى أنه...

- أنت لآخرين شيئاً وانتهى الأمر! عبر أجيال لم يعترض أحد في العائلة البتة على هذا التقليد و لن تكون إحدى بناتي هي من تقوم بذلك.

نكست تيتا رأسها و بنفس القوة التى سالت بها دموعها فوق المائدة، هوى عليها قدرها. ومنذ تلك اللحظة علمت أنها هى و المائدة لن تقدرآ على أى تعديل فى اتجاه هذه القوى المجهولة التى تجبر إحداهما على مقاسمة تيتا قدرها باستقبال دموعها المرة منذ لحظة مولدها، و الأخرى على أن تتحمل هذا القرار المحال.

لم تكن تيتا موافقة بلا شك. فقد كان هناك كم من الشكوك و القلق يعترى عقلها. مثلاً، كان يسعدها أن تعرف من الذى بدأ هذا التقليد العائلى، فقد كان من المستحسن أن نجعل هذا الشخص الذكى يفهم أن فى خطته المحكمة لتأمين شيخوخة النساء عيباً طفيفاً. فإذا كانت تيتا لايمكنها الزواج ولا انجاب أطفال، فمن إذن سوف يرعاها عندما تصل إلى سن الشيخوخة؟ ماهو الحل الصائب لتلك الحالات؟ أو أنه لم يكن من المنتظر للبنات اللائى يقمن برعاية أمهاتهن أن يعشن طويلاً بعد وفاة أمهاتهن؟ وإلى أين سينتهى الأمر بالنساء اللائى يتزوجن ولا ينجبن، من سيتولى أمرهن؟ وأكثر من ذلك، كانت تريد أن تعلم ماهى الأبحاث التى أجريت لإثبات أن الابنة الصغرى هى الأكثر أهلية للسهر على أمها و ليس الابنة الكبرى؛ هل وُضع فى الاعتبار يوماً رأى البنات المتضررات؟ هل يسمح لها، بما أنها لا تستطيع الزواج، أن تعرف الحب على الأقل؟ أم و لاحتى ذلك؟

كانت تيتا تعلم جيداً أن كل هذه التساؤلات يجب لا محالة أن تأخذ مكانها ضمن أرشيف الأسئلة التي لا جواب لها . ففي عائلة دي لا جارثا تجب الطاعة وانتهى .

خرجت ماما إيلينا غاضبة من المطبخ و متجاهلة تيتا تماماً و طيلة أسبوع لم توجه لها كلمة واحدة . وقد استؤنف شبه التعامل هذا عندما اكتشفت ماما إيلينا و هى تراجع الملابس التى تقوم كل واحدة من النساء بحياكتها ، أنه بالرغم من أن الفستان الذي قامت تيتا بتفصيله كان الأكمل ، إلا أنها لم تقم بسراجه قبل الخياطة .

قالت لها :

- أهنيك ، الغرز متقنة ، ولكنك لم تسرجيه ، أليس كذلك ؟

- نعم .

- أجابت تيتا وهي مندهشة لرفع قانون الصمت عنها .

- عليك إذن أن تفكيه و تسرجيه و تخطيه من جديد و

تأتى بعد ذلك لأراجعه لتعلمى أن في التانى السلامة وفي العجلة الندامة .

- لكن ذلك لو كان هناك عيب وحضرتك ذكرتِ بنفسك

منذ لحظة أن فستانى كان

- هل سنبداً في التمرد مرة ثانية ؟ يكفي أنك تجرأت على

الحياكة متهكة القواعد .

- سامحيني يامامى . لن أعود إلى فعل ذلك .

استطاعت تيتا بتلك الكلمات أن تهدئ من غضب ماما إيلينا . فقد كانت حريصة كل الحرص على أن تنطق كلمة " مامى " في اللحظة وبالأسلوب المناسبين . فقد كانت كلمة ماما في رأى ماما إيلينا ذات وقع تحقيرى ، لذلك أجبرت بناتها منذ طفولتهن على استخدام كلمة " مامى " عند الحديث معها . كانت الوحيدة التى تعارض أو تنطق الكلمة ولكنه غير مناسبة هى تيتا ، وكان هذا سبباً في الصفعات التى لاحصر لها التى كانت تنهال عليها . وكم أجادت نطقها في تلك اللحظة ! لقد شعرت ماما إيلينا بالانتعاش وفكرت في أنها ربما قد استطاعت قهر شخصية أصغر بناتها . ولكنها للأسف احتوت في صدرها هذا الأمل لفترة قصيرة ، ففي اليوم التالى جاء بيدرو موثكيث إلى المنزل برفقة السيد والده لطلب يد تيتا . وقد أدى وجودهما في البيت إلى ارتباك كبير . فلم يكن في انتظار زيارتهما . فقبل ذلك بأيام أرسلت تيتا إلى بيدرو رسالة شفوية مع أخى ناتشا تطلب منه التخلي عن مقصده . وأقسم لها أخو ناتشا أنه قد أبلغ الرسالة لدون بيدرو ، ولكن ما حدث هو أنهما حضرا إلى البيت . استقبلتهما ماما إيلينا في الصالة و عاملتهما بلطف شديد وشرحت لهما سبب عدم استطاعة تيتا الزواج .

- إذا كان بالطبع ما يهكما هو زواج بيدرو ، فإننى أضع

في اعتباركما ابنتي روساورا التي تكبر تيتا بعامين فقط ولكنها مؤهلة تماماً ومعدة للزواج . . .

كادت تشيئتشا، لدى سماعها هذه الكلمات، أن تلقى فوق ماما إيلينا بصينية القهوة و البسكويت التي حملتها إلى الصلاة لإكرام وفادة دون باسكوال و ابنه. انسحبت بسرعة و هى تعتذر متجهه إلى المطبخ حيث كانت في انتظارها تيتا وروساورا وخيرتروديس لإعطائهن تقريراً مفصلاً عن كل ما جرى في الصلاة. دخلت في عجلة وتوقفن جميعهن عن العمل فوراً حتى لا يضيعن كلمة واحدة من كلماتها.

كن جميعاً مجتمعات هناك من أجل إعداد فطائر عيد الميلاد. وهذه الفطائر، كما يشير اسمها، تُصنع في فترة أعياد الميلاد و لكنها هذه المرة كانت تعد من أجل الاحتفال بعيد ميلاد تيتا. ففي الثلاثين من سبتمبر تكمل عامها السادس عشر و كانت تريد الاحتفال بتلك السنوات بتناول أحد أطباقها المفضلة.

- أي نعم، أليس كذلك ؟ تتحدث أمك عن أنك جاهزة للزواج كما لو كنت طبق إنتشيلاداس^(٢) ! ولاحتى ذلك ! فالشكل ليس كالجوهر ! فلا يمكن بأي حال من الأحوال إبدال أكلة خفيفة بإنتشيلاداس !

(٢) أكلة مكسيكية عبارة عن رغيف من دقيق الذرة المحشو بالفلفل وغيره Enchiladas.

لم تتوقف تشينتشا عن هذا النوع من التعليقات و هى تقص عليهن ، بطريقتها بالطبع ، الموقف الذي شاهدته توأ . كانت تيتا تعلم كم المبالغة و الكذب الذي دأبت تشينتشا عليه لذا لم تعط الفرصة ليتمكن الكدر منها .

رفضت قبول حقيقة ما سمعته لتوها . استمرت وهى تتظاهر بالهدوء فى تقطيع الخبز الفينو لكى تقوم شقيقاتها و ناتشا بحشوه .

يُفضل أن يُخبز العيش الفينو فى المنزل . ولكن إذا لم يكن ذلك ممكناً فمن المناسب طلبه من المخبز على أن يكون الخبز صغير الحجم لأن الكبير لا يصلح لهذه الأكلة . بعد حشو قطع الخبز توضع فى الفرن لمدة عشر دقائق وتقدم ساخنة . و للحصول على نتيجة مثلى يمكن تركها فى الهواء الطلق ليلة كاملة ملفوفة فى قطعة قماش حتى يتشرب الخبز دهن السجق .

وبينما كانت تيتا تنهى تغليف الفطائر التى سيتناولنها فى اليوم التالى دخلت ماما إيلينا المطبخ لتخبرهن بأنها قد وافقت على زواج بيدرو ولكن من روساورا .

وما أن سمعت بتأكيد الخبر حتى شعرت تيتا و كأن الشتاء قد تخلل جسدها فجأة : كان بارداً و جافاً إلى درجة أنه لفح وجنتيها و جعلهما حمراوين ، حمراوين فى مثل لون التفاح الذى

كان أمامها . لقد صاحبها هذا البرد المفاجئ لوقت طويل بدون أن يفلح شئ في تهدئته و لا حتى عندما روت لها ناتشا ما سمعته وهي تصاحب دون باسكوال موثكيث و ابنه حتى مدخل المزرعة . كانت ناتشا تسير أمامهما محاولة تقليل خطوها لتسمع بشكل أفضل الحديث الذي دار بين الأب و الابن . كان دون باسكوال ويبدو يسيران ببطء و يتحدثان بصوت خفيض و مكبوت من الغضب .

- لماذا فعلت هذا يا بيدرو ؟ لقد كان وضعنا مثيراً للسخرية بقبولنا الزواج من روساورا . أين إذن الحب الذي عاهدت تيتا عليه ؟ أليست لك كلمة ؟

- لدى بالطبع ، ولكن لو أنهم أبوا عليك بشكل قساطع الزواج من المرأة التي تحبها وكان المخرج الوحيد لتكون بالقرب منها هو الزواج من أختها ، ألن تتخذ نفس القرار ؟

لم تستطع ناتشا سماع الرد لأن بولكيه ، كلب المزرعة ، خرج مسرعاً وهو يعوى خلف أرنب خاله قطعاً .

- إذن ، ستتزوج بلا حب ؟

- لا يا أبى ، سوف أتزوج و أنا أشعر بحب كبير و خالد لتيتا .

كان التقاط صوتهما يزداد صعوبة فقد أخمدته صوت وطء

الأقدام بالأوراق الجافة . كان غريباً أن تقول ناتشا ، و كانت في ذلك الحين أشد صمماً ، إنها سمعت الحديث . لقد أسعد تيتا بالطبع أن تحكيه لها و لكن هذا لم يغير من موقف التحفظ البارد الذي اتخذته منذ ذلك الحين حتى مع بيدرو . يقال إن الأصم لا يسمع ولكنه يؤلف . لعل ناتشا سمعت فقط الكلمات التي صمت عنها الجميع . كان مستحيلاً على تيتا أن تصاحب النوم ، لم تكن تستطيع تفسير ما تشعر به . للأسف لم تكن في ذلك العهد قد اكتشفت بعد الثقوب السوداء في الفضاء لأنه عندئذ كان سيكون سهلاً عليها إدراك أنها كانت تشعر بثقب أسود في وسط صدرها يتسرب منه برد لانهاية له .

كانت تستطيع كلما أغلقت عينيها أن تسترجع بوضوح مشاهد ليلة عيد الميلاد قبل عام و كان بيدرو و عائلته مدعوين فيها لأول مرة لتناول العشاء في بيتها و كان البرد يشتد بها . لكنها بالرغم من الوقت الذي مر كانت تستطيع أن تتذكر تماماً الأصوات والروائح وصوت احتكاك فستانها الجديد بالأرض التي تم تشميعها حديثاً ؛ و نظرة بيدرو لكتفـيها . . . تلك النظرة ! كانت هي متوجهة نحو المائدة وهي تحمل صينية بها حلوى من صفار البيض عندما شعر هو بها ، ملتهبة ، تحرق له جلده . أدار رأسه والتقت عيناها بعيني بيدرو . في تلك اللحظة شعرت تماماً بما يمكن أن يشعر به عجين الزلاية عند تلامسه بالزيت المغلى . كان شعورها

بالحرارة التي تحتاج كل جسدها حقيقياً إلى درجة أنها خشيت من أنه، كما يحدث لإحدى عجين الزلابية، قد تبدأ الفقاقيع في الانبثاق في كل جسدها - الوجه و البطن و القلب و النهدين - لم تستطع تيتا مجاذبته تلك النظرة وقامت وهي تخفض نظرتها باختراق الصالون بسرعة حتى الطرف المقابل حيث كانت خيرتروديس تدير عبر البيانولا فالس "عيون شابة". وضعت الصينية فوق منضدة صغيرة وتناولت و هي شاردة الفكر كأساً من شراب نويو^(٣) noyo وجدته في طريقها و جلست بجوار باكيثا لوبو جارتهم في المزرعة. لم يفدها بشئ ابتعادها عن بيدرو، فقد كانت تشعر بالدماء تجري لافحة في عروقها. كان احمرار شديد يكسو و جنتيها و لم تستطع بالرغم من المجاهدة المتصاعدة أن تجد مكاناً تحط عليه نظرتها. لاحظت باكيثا أن شيئاً غريباً يدور وسألته وهي تبدو قلقاً كبيراً:

- كم لذيذ هذا الشراب. أليس صحيحاً ؟
- أتأمرين حضرتك بشئ ؟
- أراك شاردة جداً يا تيتا. هل أنت بخير ؟
- نعم، شكراً جزيلاً.
- لست بعسد في سن مناسب يسمح لك بتناول بعض

(٣) مشروب كحولى مكون من العرق والسكر واللوز المر.

الشراب في المناسبات الخاصة يا مكاره، ولكن أخبريني : هل أذنت لك أمك بأن تفعل ذلك ؟ لأنني ألاحظ أنك متفوضة و مرتعشة - وأضافت بشكل مثير للشفقة - من المستحسن ألا تشربي ، فلا تتصرفي تصرفاً غير لائق .

لم ينقصها سوى ذلك ! أن تعتقد باكيثا لوبو أنني ثملة . لم تستطع السماح بأن يكون لديها أدنى شك أو أن تخاطر بأن تذهب لتنقل إشاعة كاذبة لأمرها . أدى الرعب من أمها إلى أن تنسى للحظة وجود بيدرو و حاولت بكل الطرق أن تقنع باكيثا بأنها في كامل وعيها ونشاطها الذهني . تحدثت معها حول بعض الشائعات والتوافه . بل وأمدتها بوصفة شراب النويو التي كانت تشغلها للغاية . يصنع هذا الشراب بوضع أربع أوقيات من لوز الدراق ونصف رطل من لوز المشمش في حوالي لترين من الماء لمدة أربع وعشرين ساعة حتى يطرى جلد اللوز ؛ يقشّر و يكسّر و يوضع في منقوع لترين من الماء المغلي لمدة خمسة عشر يوماً . بعد ذلك نبدأ في تقطيره . وبعد إذابة رطلين ونصف من السكر المطحون في الماء إذابة تامة يضاف إليه أربعة لترات من زهر البرتقال ثم تخلط المقادير كلها ويصفى الخليط . وحتى لا تترك أي شك حول حالتها الطبيعية ووعيتها ذكرت باكيثا كما لو كان أمراً عارضاً بأن المكيال المستخدم للسوائل يعادل ١٦ ، ٠ ٢ لتراً لا أكثر و لا أقل .

وهكذا عندما اقتربت ماما إيلينا منهما لتسأل باكيثا إذا كانت

حسنة الضيافة أجابتها الأخيرة بحرارة:

- إننى فى أحسن حال! لديك بنات رائعات. وحديثهن ساحر!

أمرت ماما إيلينا تيتا بأن تذهب إلى المطبخ لإحضار بعض السندويشات لتوزيعها على الحاضرين. كان بيدرو بالقرب منها فى تلك اللحظة، عن عمد، وعرض مساعدتها. سارت تيتا نحو المطبخ بسرعة دون أن تنبس ببنت شفة. فقد كان قرب بيدرو منها يجعلها عصبية للغاية. دخلت و اتجهت نحو إحدى الصوانى التى بها ساندويشات لذيذة كانت تنتظر بصبر فوق منضدة المطبخ.

لن تنسى أبداً التلامس العرضى لأيديهما عندما حاولا بارتباك أخذ نفس الصينية فى نفس الوقت.
وقتها باح لها بيدرو بحبه.

- آنسة تيتا، أريد انتهاز الفرصة لأتحدث معك على انفراد وإخبارك بأننى أحبك بشدة. أعلم أن هذا التصريح جريئ و متعجل ولكن من الصعب جداً الاقتراب منك وقد اتخذت القرار بأن أفعل ذلك الليلة. أريد فقط أن أقول لى إذا كنت أطمع فى حبك^(٤).

- لا أعرف بم أجيبك ؛ أعطنى فرصة لأفكر.

(٤) الحديث هنا يتم بصيغة الاحترام «حضرتك» بين الطرفين وهو ما كان شائعاً فى ذلك الوقت، ولسيولة الترجمة وضعت الحديث بشكل عادى.

- لا ، لن أستطيع ، أريد الإجابة توأً: إن الحب لا يحتاج إلى تفكير: أنا رجل كلماتي قليلة ولكنها راسخة. أعاهدك بأنني سوف أحبك ألى الأبد. ماذا عنك ؟ هل تشعرين أيضاً بالحب نحوى ؟

- نعم!

نعم ، نعم وألف مرة نعم. لقد أحبته منذ تلك الليلة و إلى الأبد. ولكن عليها أن تعدل عن ذلك. فليس من اللائق حب من سيكون زوج شقيقتها. كان عليها محاولة طرده من تفكيرها بأية طريقة حتى تستطيع النوم. حاولت أن تأكل فطيرة الميلاد التي تركتها لها ناتشا فوق المكتب مع كوب الحليب. كان لهذه الوجبة نتائج جيدة في كثير من المناسبات. كانت ناتشا بتجربتها الطويلة تعلم انه بالنسبة لتيتا ليس هناك أي كدر لا يمكن إزالته بأكل فطيرة الميلاد اللذيذة. ولكن ليس في هذه المناسبة. فالفراغ الذي تشعر به في معدتها لم يسكن. على العكس ، اجتاحتها شعور بالغثيان. واكتشفت أن فراغ معدتها لم يكن من الجوع ؛ بالعكس كان الأمر يتعلق بالشعور بحمى برد مؤلمة. كان لابد من التخلص من هذا البرد المزعج و كإجراء أول قامت تيتا بتغطية نفسها بغطاء ثقيل و ملابس صوفية. ظل البرد بلا حراك. عندئذ وضعت حذاء مغزولاً من الصوف وغطاءين آخرين من الصوف. لاشئ. أخيراً أخرجت من سلة الحياكة الخاصة بها غطاء كانت قد بدأت في غزله في

اليوم الذي تحدث بيدرو معها عن زواجهما. غطاء كهذا من الكروشيه، ينتهى عمله في عام تقريباً. وهى بالضبط الفترة التى فكر بيدرو و تيتا انتظارها قبل الزواج. قررت تيتا أن تستفيد من الغزل بدلاً من تبديده وأخذت بغيظ تغزل و تبكى وتبكى و تغزل حتى جاء الفجر وقد أنهت شغل الغطاء فوضعتة فوقها. لم يجدها في شئ. لم تتمكن تلك الليلة ولا ليال أخرى من أن تسيطر على البرد طوال حياتها.

وتستمر الحكاية

الوصفة القادمة

كعكة التشايبلا (للفرح)

الفصل الثانى

قبراي كعكة التشابلا

المقادير:

١٧٥ جم من السكر الفاخر الخشن

٣٠٠ جم من الدقيق الفاخر المنخول ثلاث مرات

١٧٠ بيضة

مبشور ليمونة

طريقة العمل

يوضع في كسرولة صفار خمس بيضات وأربع بيضات كاملة والسكر. يضرب الخليط حتى يغلظ قوامه ثم تضاف إليه بيضتان أخريان كاملتان، وتكرر هذه الخطوة حتى تنتهي من البيض كله بواقع بيضتين بيضتين في كل مرة. لصنع كعكة زفاف بيدرو وروساورا كان يتعين على تيتا وناتشا أن تضاعفا مقادير هذه الوصفة عشر مرات، فبدلاً من إعداد كعكة لثمانية عشر شخصاً، كان عليهما إعدادها لمائة وثمانين. وبذا يكون المجموع ١٧٠ بيضة! وهذا يعني أنه كان عليهما الاستعداد لجمع كمية من البيض الجيد لنفس اليوم.

ولتحقيق ذلك قامت قبل عدة أسابيع بحفظ أفضل أنواع البيض الذي يضعه الدجاج. وكانت طريقة الحفظ هذه تستخدم في المزرعة منذ عهد بعيد جداً للتزود خلال الشتاء من هذا الطعام المغذي والضروري. وأفضل وقت لهذه العملية هما شهرا

أغسطس وسبتمبر . والبيض الذي يخصص للحفظ يجب أن يكون طازجاً جداً . كانت ناتشا تفضل أن يكون من إنتاج نفس اليوم . يوضع البيض في إناء مملوء بعلف الكباش المذاب وشبهه البارد بحيث يغطيه تماماً . ويكفي هذا لضمان حفظه في حالة جيدة لعدة أشهر . أما إذا كان المراد حفظه لأكثر من عام فيوضع البيض في إناء من الفخار ويغطى بخليط من الجير والماء بنسبة واحد إلى عشرة ، و يغطى بإحكام لمنع تسرب الهواء إليه ثم يحفظ في القبو . وقد أخذت تيتا وناتشا بالطريقة الأولى فما كانتا في حاجة إلى حفظ البيض لشهور كثيرة . وقد كان بجانبهما ، أسفل مائدة المطبخ ، الإناء الذي وضعتا فيه البيض الذي كانتا تستخدمانه في صنع الكعكة .

كان المجهود العظيم المتمثل في ضرب هذا الكم الهائل من البيض قد بدأ يؤثر على عقل تيتا في أعقاب تخطيها خفق البيضة المائة . وبدا لهما مستحيلاً أن يصلا إلى البيضة رقم ١٧٠ . كانت تيتا تقوم بخفق البيض بينما تقوم ناتشا بكسره وإضافته . كانت رجفة ما تغزو جسد تيتا ، وكما يقال ، يقشعر جلدتها ، مع كل بيضة تكسر . كانت تخلط الدراق الأبيض بخصي الديكة التي خصيت قبل شهر . وتلك الأنواع من الديكة تخصى لتسمينها . وقد اختير هذا الطبق لتقديمه في حفل زفاف بيدرو وروساورا لأنه من أشهر الأطباق في الولايم الكبرى وذلك

لما يبذل من مجهود في إعداده وكذلك لمذاق الديكة المخصصة
الرائع .

ومنذ أن تم تحديد موعد الزفاف في الثاني عشر من يناير ،
أرسل في طلب شراء اثني عشر ديكاً تم خصيها والبدء في
تسمينها مباشرة .

كانت تيتا وناتشا هما المكلفتان بهذه المهمة . ناتشا لخبرتها
وتيتا عقاباً لها لعدم موافقتها على الحضور يوم جاءوا لطلب يد
أختها روساورا متعللة بصداق .

- لن أسمح بعقوقك - قالت لها ماما إيلينا- ولا بأن
تفسدي على أختك حفل زفافها بأن تجعلي من نفسك ضحية .
سوف تتولين من الآن الإعداد للوليمة ، واحذري أن أرى منك
وجهاً عابساً أو دمة ، أسمعني؟

كانت تيتا تحاول ألا تنسى هذا التحذير وهي تستعد لبدء
أول مهمة . وكانت عملية الخصاء تتلخص في عمل شق في
الموضع الذي يغطي خصيتي الديك : يتم إدخال الإصبع للبحث
عنهما ثم تنزعان . بعد ذلك الإجراء يخاط الجرح ويدعك بزبد
طازج أو بشحم الطيور . كانت تيتا على وشك أن تفقد وعيها
وهي تضع أصبعها وتجذب خصيتي أول ديك . كانت أصابعها
ترتعد وكانت تتصبب عرقاً غزيراً وتتقلب معدتها عليها مثل طائفة

ورقية في الهواء. رمقتها ماما إيلينا بنظرة ثابتة وقالت لها: ماذا دهالك؟ لماذا ترتعدين؟ هل سنبداً بمشاكل؟ رفعت تيتا بصرها ونظرت إليها. كانت تريد أن تصرخ فيها بنعم، هناك مشاكل، إنها أخطاء في اختيار من هو أنسب لعملية الخصاء، كانت هي الأنسب لها لأنها بهذه الطريقة كان يمكنها على الأقل أن تجد مبرراً حقيقياً لرفض زواجها وإحلال روساورا مكانها بجوار الرجل الذي كانت تحبه هي. أصاب ماما إيلينا الحق وهي تقرأ نظرة تيتا وناولتها صفة قوية أسقطتها على الأرض بجوار الديك الذي نفق نتيجة سوء إجراء العملية.

كانت تيتا تضرب وتضرب البيض بهياج، كما لو كانت تريد التخلص من عذابها مرة واحدة. لم يكن تبقى سوى خفق بيضتين ليصبح عجين الكعكة جاهزاً. فيما عدا ذلك كان كل شيء أعد للوليمة حتى الأطباق الصغيرة المعدة لإطعام عشرين فرداً والشطائر التي تسبق الوجبة الرئيسية. كانت تيتا وناتشا وماما إيلينا وحدهن في المطبخ. وكانت تشيتشا وخيرتروديس وروساورا يضعن اللمسات الأخيرة لفستان العروس. تناولت ناتشا بارتياح كبير البيضة قبل الأخيرة لتكسرها. لكن تيتا، بصيحة منها، منعتها من فعل ذلك.

- لا !

أوقفت تيتا خفق البيض وأخذت البيضة بين يديها. كانت

تسمع بوضوح صُئي فرخ داخل البيضة . قرَّبت البيضة من أذنها
وسمعت صُئي الفرخ على نحو أشد . أوقفت ماما إيلينا عملها
وسألت بصوت متسلط :

- ماذا يجري ؟ لماذا هذه الصيحة ؟

- ثمة فرخ بداخل هذه البيضة ! لا تستطيع ناتشا بالتأكد
سماعه ، أما أنا فنعم .

- فرخ ؟ أنت مجنونة ! لم يقع أمر كهذا البتة مع البيض
المحفوظ .

وبخطوتين واسعتين وصلت مكان تيتا وانتزعت البيضة من
يديها وكسرتها . أغلقت تيتا عينيها بقوة .

- افتحي عينيك وانظري إلى فرحك !

فتحت تيتا عينيها ببطء ، ورأت في دهشة ما كانت تعتقد أنه
فرخ ، لم يكن سوى بيضة طازجة جداً بالطبع .

- اسمعيني جيداً يا تيتا ، إنك تفقديني صبري ، لن أسمح
لك بأية حماقات . فهذه أول وآخر مرة ! وإلا فإنني أؤكد لك
أنك ستندمين !

لم تستطع تيتا إيجاد تفسير لما حدث في تلك الليلة ، هل ما
سمعته كان نتيجة إجهاد أم هي أوهام عقلها . وكان الأنسب

بشكل مؤقت أن تعود إلى ضرب البيض، فلم تكن ترغب في اختبار حدود صبر أمها.

بعد ضرب البيضتين الأخيرتين يضاف مبشور الليمونة، وعندما يغلظ العجين تماماً، توقف عملية الضرب ويضاف الدقيق المنخول بخلطه قليلاً قليلاً بملعقة خشبية حتى تنتهي من إضافته كاملاً. وأخيراً تدهن صينية بالزبد وترش بالدقيق ويقلب بها العجين. يخبز في فرن لمدة ثلاثين دقيقة.

وجدت ناتشا نفسها، بعد إعداد عشرين طبقاً مختلفاً في ثلاثة أيام، جد متعبة وكانت تنتظر بفارغ الصبر ساعة وضع عجين الكعكة في الفرن لتتمكن أخيراً من الذهاب للراحة. لا يمكننا اعتبار تيتا هذه المرة مساعدة جيدة. لم تستطع في أي لحظة أن تتذمر، ربما لأن نظرة أمها النافذة لم تكن تسمح لها بذلك، ولكنها ما أن رأت ماما إيلينا تخرج من المطبخ متوجهةً إلى حجرتها حتى أطلقت زفرة طويلة. وقامت ناتشا التي كانت بجوارها بجذب الملعقة الخشبية من يدها بلطف وعانقتها وقالت لها:

- لم يعد أحد في المطبخ يا بنتي، ابكي الآن، لأنني لا أريد أن يراك أحد تبكين غداً، خاصةً روساورا.

أوقفت ناتشا عملية خفق البيض لشعورها بأن تيتا كانت

على وشك الإصابة بانهيار عصبي، لم تكن بالطبع تعرف ما هو الانهيار العصبي لكنها بحكمتها الواسعة أدركت أن تيتا لن تتحمل أكثر من ذلك. ولا هي في الحقيقة. لم تكن بين روساورا وناتشا معاملة طيبة. فقد كانت ناتشا جد مستاءة من روساورا منذ طفولتها لأنها كانت مدللة جداً في طعامها. اعتادت أن تتركه في الطبق دون أن تمسه، أو كانت تعطيه خفيةً إلى تيكلا، والد بولكيه (كلب المزرعة). كانت ناتشا تتخذ من تيتا مثلاً لروساورا في أنها تأكل على نحو طيب جداً وتأكل من كل شيء. كان هنالك بالطبع طعام واحد لا تحبه تيتا، البيض نصف المسلوق الذي كانت ماما أيلينا تجبرها على تناوله. ومن ثم، وبما أن ناتشا قد تولت تعليمها أصول الطهي، فإن تيتا لم تكن تأكل الطعام المعتاد فقط، بل كانت تأكل، فضلاً عنه، ديدان الصبار وبرغوث البحر والباكس والمدرع... إلخ، وذلك إزاء هلع روساورا. من هنا تولدت كراهية ناتشا لروساورا والمنافسة بين الشقيقتين التي بلغت ذروتها بهذا الزواج الذي ستزوج روساورا بمقتضاه من الرجل الذي أحبه تيتا. وما لم تكن تعلمه روساورا، رغم ارتيابها منه، هو أن بيدرو كان يحب تيتا حباً لا حد له. ومن ثم كان منطقياً أن تنحاز ناتشا إلى جانب تيتا وأن تحاول بشتى الوسائل أن تجنبها المعاناة. كانت ناتشا تجفف بمرولتها الدموع التي تنساب على وجه تيتا وتقول لها:

- ها يابنتي، ها سوف ننتهي.

بيد أنهما تأخرتا أكثر من المعتاد فلم يتمكن العجين من التخمير نتيجة دموع تيتا. وهكذا، متعانتين، واصلتا البكاء حتى جفت مقلتا تيتا. عندئذ بكت بلا دموع ويقال إن ذلك أشد إيلاماً، مثل الولادة بلا ماء، ولكنها على الأقل لم تعد تبلل عجين الكعكة مما يسمح بالانتقال إلى الخطوة التالية، وهي الحشو.

الحشو

المقادير:

١٥٠ جراماً من مربى التشاباكونا^(٥)

١٥٠ جراماً من السكر الخشن

طريقة العمل

توضع ثمرات التشاباكوانو على النار مع قليل من الماء، تترك لتغلى. وتصفى بقطعة شاش واسعة الثقوب أو منخل، وإذا لم يتوفر يمكن استخدام مصفاة عادية. يوضع هذا العجين في كسرولة

(٥) نوع من الثمار يشبه الخوخ، تصنع منه مربى.

و يضاف اليه السكر و توضع على النار بدون التوقف عن تقليبه حتى يعقد و يصير مربى . ترفع من على النار ويترك ليبرد قليلاً قبل وضعه فى وسط الكعكة التى تم بالطبع شطرها من قبل .

كانت ناتشا وتيتا لحسن الحظ قد اعدتا قبل يوم الزفاف بشهر عدة برطمانات محفوظة من التشاباكانو و التين وكمبوت الأناناس . ويفضل ذلك تفاديا مهمة إعداد المربى فى نفس اليوم .

كانتا متعودتين على إعداد كميات كبيرة من المربى فى وعاء كبير بمغرفة يوضع فى صحن الدار و ذلك للإستفادة من فاكهة الموسم . كانتا تضعان اناء المربى فوق النار فى الهواء الطلق و لتقلب المربى كانتا تغطيان ذراعيهما بملاءات قديمة . فقد كان هذا يحميهما من تطاير بعض رذاذ الفوران و حرق جلدهما .

عندما فتحت تيتا الوعاء اعادتها رائحة التشاباكانوا إلى الأمسية التى اعدتا فيها المربى . كانت تيتا عائدة من البستان حاملة الفاكهة فى جونتتها لأنها كانت قد نسيت السلة . كانت تحملها وهى ترفع الجونلة وعندما دخلت المنزل كم كانت دهشتها عندما التقت مع بيدرو فى المطبخ . كان بيدرو متجهاً إلى الفناء الخلفى لإعداد الكارته . كان عليهم الذهاب إلى القرية لتسليم بعض الدعوات و لما لم يأت السائس فى ذلك اليوم إلى المزرعة ، كان عليه هو نفسه القيام بتلك المهمة . عندما رآته ناتشا خرجت شبه

عدواً متعلقة بالذهاب لاحتضار ايباثوتيه (٦) للفاصوليا . أما تيتا فقد أدت الدهشة إلى وقوع بعض ثمرات التشاباكانوا منها على الأرض . اسرع بيدرو إلى مساعدتها في جمعها . وعند إنحنائه استطاع رؤية جزءاً من سيقان تيتا التي كانت مكشوفة . قامت تيتا و هي تحاول تفادي أن يراها بيدرو ، بانزال جونلتها . عندئذ انزلت ثمرات التشاباكانوا الباقية فوق رأس بيدرو .

- معذرة يا بيدرو . هل آلتك ؟

- ليس بالدرجة التي آلتك انا بها ، دعيني اخبرك بأن غرضي

- لم أطلب منك اى تفسير .

- من الضروري ان تسمحى لى بأن أوجه لك بعض الكلمات

- فعلت ذلك مرة ووجدت انها كانت كذبة ، لاأريد سماع كلمات أخرى

أسرعت تيتا وهي تقول هذا ، خارج المطبخ ، من الباب الآخر ، نحو الصالة حيث كانت تشيانتشا وخيرتروديس تطرزان ملاءة الزفاف . كانت ملاءة من الحرير الأبيض و كانتا تطرزانها

(٦) نبات شيطاني ينمو فى كل أنحاء المكسيك ، له زهرة شوكية صغيرة ذات رائحة وطعم قوى يستخدم كتوابل وعشب طبى .

تطريزاً رفيع الذوق فى وسطها . كان الغرض من هذا التطريز هو الدلالة فقط على نبل شأن العروس فى اللحظات الخاصة جداً من الزواج . وفى الحقيقة أن الحظ قد حالفهن بالحصول على الحرير الفرنسى فى تلك الفترة من عدم الاستقرار السياسى . فلم تسمح الثورة لأى فرد بالسفر بأمان عبر البلاد ؛ وهكذا فإنه لو لم يكن عبر مواطن صينى ، كان يعمل فى التهريب ، لما أمكنهن الحصول على القماش حيث أن ماما إيلينا لم تكن تسمح لأى واحدة من بناتها بمخاطرة الذهاب إلى العاصمة لشراء لوازم صنع فستان وجهاز روساورا . كان هذا الصينى على قدر كبير من الدهاء : كان يزاول البيع فى المدينة ويقبل الأوراق المالية الخاصة بالجيش الثوري الشمالى والتي كانت بلا قيمة هناك وغير صالحة للتداول . كان يقبلها بأسعار زهيدة بالطبع ثم يسافر بتلك الأموال إلى الشمال حيث كانت تكتسب قيمتها الحقيقية ويشتري بها بضاعة .

وفى الشمال كان يقبل بالطبع الأوراق المالية الرائجة فى العاصمة بأسعار متدنية وهكذا كان أمره طوال الثورة إلى أن صار مليونيراً . ولكن المهم أن بفضل استطاعت روساورا أن تحظى بأفخر وأروع الأقمشة لزفافها .

ظلت تيتا كالمنومة مغناطيسياً وهى تراقب بياض الملاءة ؛ كان ذلك للحظات فقط ، ولكنها كانت كافية لكي تسبب لها نوعاً من الغشاوة . كانت حين تثبت بصرها فى أى مكان لا تميز إلا اللون

الأبيض فقط. أما روساورا، وكانت تكتب بيدها بعض الدعوات، فكانت تلمسحها كشبح ناصع البياض. كانت تخفي جيداً ما يحدث لها فلم يلحظه أحد.

لم تكن تريد أن تتسبب في توبيخ آخر من ماما إيلينا؛ لذا، حين حضرت عائلة "لوبو" لتقديم هدية الزفاف، حاولت أن ترهف حواسها لتلتفت إلى من كانت تصافحه، فقد كانوا لها مثل مشهد من خيال الظل المغطى بملاءة بيضاء. ومن حسن الحظ أن صوت باكيता الصارخ حل لها المشكلة واستطاعت أن تصافحهم بلا مشقة.

فيما بعد، وهي تصحبهم إلى مدخل المزرعة، لاحظت أنه حتى الليل لاح لها بشكل لم تكن رآته قط: مشعاً بضوء الفجر.

خشيت من أن يحدث لها نفس الشيء في تلك اللحظات، وعندما لم يكن أمامها سوى التركيز بشدة في صنع الفوندام لتغطية الكعكة لم تستطع. كان بياض السكر الحشن يفرعها، كانت تشعر بأن اللون الأبيض سوف يسيطر بين لحظة وأخرى على عقلها دون أن تتمكن من تفادي ذلك، مستدعياً بصعوبة صور طفولتها الناصعة بالبراءة عندما كانوا يحملونها في شهر مايو وهي ترتدي الملابس البيضاء لتقدم الزهور البيضاء للسيدة العذراء. كانت تدخل سائرة بين صف من البنات بملابسهن البيضاء، حتى

تبلغ الهيكل الملىء بالشموع والزهور البيضاء والمضيء بضوء سماوي أبيض صادر من زجاج نوافذ الكنيسة البيضاء. لم يفتها مرة وهي تدخل الكنيسة أن تحلم بأنها يوماً ما ستدخلها متأبطة ذراع رجل. كان عليها أن تكبح ليس هذه الذكرى وحدها بل كل تلك الذكريات التي تؤلمها: كان عليها أن تنتهي من صنع فوندام كعكة زفاف أختها. وبدأت بمجهود كبير في إعداده.

مقادير الفوندام

٨٠٠ جم سكر خشن

٦٠ قطرة ليموناً وماء كاف لإذابة السكر

طريقة العمل

يوضع السكر و الماء فى كسرونة و ترفع على النار دون التوقف عن التقليب حتى يبدأ فى الغليان. يصفى فى كسرولة أخرى ويرفع على النار مرة أخرى و يضاف إليه الليمون حتى يغلظ قوامه، مع تنظيف حواف الكسرولة من حين لآخر بقطعة قماش مبللة حتى لا يتسكر الشراب ؛ وبعد أن يغلظ قوام الخليط ينقل إلى كسرولة أخرى رطبة، يندى من أعلاه ويترك ليبرد قليلاً. بعد ذلك يضرب بمعلقة خشبية حتى يتجانس.

ولإستعماله يضاف إليه ملعقة كبيرة من الحليب ويرفع على النار مرة أخرى حتى ينحل ، ثم يضاف اليه بعد ذلك قطرة من ماء الورد وتغطى به المنطقة العليا من التورته فقط .

انتبهت ناتشا إلى أن تيتا ليست على ما يرام ، عندما سألتها الأخيرة عما إذا كانت ستضيف ماء الورد .

- إبتى ، لقد اصفته لتوى - ألا ترين اللون الوردى به ؟

- لا ...

- اذهبى للنوم يابتى ، سأكمل أنا التوررون (٧) .

لا يشعر بالنار إلا قابضها ، ولكننى أدرك مابك ، كف عن البكاء انك تبللين لى الفوندام ولن يصلح ، هيا ، اذهبى .

غمرت ناتشا تيتا بالقبلاات ودفعتها خارج المطبخ . لم يفهم من أين أخرجت دموع جديدة ولكنها أخرجتها ومزجتها بخلطة التوررون . الآن سنحتاج إلى مجهود مضاعف لإعادتها إلى درجة انضباطها . تولت هى مهمة إكمال التوررون فى أسرع وقت ممكن

(٧) نوع من الحلوى (المقصود به هنا الفوندام) .

لتذهب للنوم. ويتم صنع التوررون بضرب عشر بيضات مع ٥٠٠ جم سكر ضرباً قوياً.

وعندما انتهت جاء بفكرها أن تتذوق بطرف أصبعها الفوندام لترى ما اذا كانت دموع تيتا قد غيرت طعمه. لا، لم تغير طعمه بشكل واضح، ولكن دون أن تعرف السبب سيطر على ناتشا فجأة حنين كبير. تذكرت حفلات الزفاف كلاً على حدا والتي كانت قد أعدتها لعائلة دى لا جارثا مع الأمل بأن يكون الحفل القادم حفلها. لم يكن البكاء مجدياً وهى فى الخامسة والثمانين ولا الندم على عدم مقدم الحفل المنتظر و لا الزفاف المأمول، على الرغم من أن العريس نعم جاء، يا لفرحة انه جاء! إلا أن ماما إيلينا قد تكفلت بتطفيشه. منذ ذلك الوقت اكتفت بالتمتع بحفلات زفاف الغير و ظلت هكذا لسنوات كثيرة دون ضجر. لكنها لم تكن تعرف لماذا تفعل ذلك الآن. كانت تشعر أنها مراةقة متأخرة ولكنها لم تكن تستطيع الإقلاع عن فعل ذلك. غطت الكعكة بالتوررون بأفضل ما أمكنها وذهبت إلى حجرتها وهى تشعر بألم شديد فى صدرها. بكت طوال الليل وفى اليوم التالى لم يكن لديها حماس، لحضور العرس.

كانت تيتا تتمنى التضحية بأى شئ لتكون مكان ناتشا، فلم يكن عليها أن تحضر فى الكنيسة فقط، مهما كانت حالتها، بل كان عليها أيضاً أن تحافظ على ألا يظهر على وجهها أى انفعال.

اعتقدت انها يمكن أن تحقق ذلك طالما لا تلتقى نظراتها بنظرات بيدرو. لأن ذلك لو حدث فإنه يمكن أن يفسد السلام و الهدوء اللذين كانت تتظاهر بهما.

كانت تعلم أنها ستكون مسحط الأنظار اكثر من اختها روساورا. وكانت تشعر بوضوح كيف تخترق ظهرها تهامسات الحاضرين عند مرورها.

- هل شاهدت تيتا ؟ مسكينة، ستتزوج أختها من خطيبها. لقد رأيتهما مرة في ميدان القرية، وهما ممسكى اليدين. كم كانت تبدو السعادة عليهما!

- حقاً ؟ إن باكيثا تقول إنها رأت بيدرو في يوم ما وهو يعطى لتيتا خلسة أثناء القداس خطاباً غرامياً معطراً!

- يقولون إنهما سيعيشان في نفس البيت! لو كنت مكان إيلينا ما سمحت بذلك!

- لا أعتقد انها ستسمح بذلك. فأنت ترين كيف يدور القيل و القال!

لم تعجبها تلك التعليقات بالمرة. إن دور الخاسرة لم يكتب لها. كان عليها أن تتخذ موقفاً واضحاً للانتصار! وكممثلة قديرة قامت بدورها بجدارة محاولة ألا ينشغل فكرها بعرض الزفاف ولا

فى كلام القس ولا العقد ودبلى الزواج .

انتقلت بفكرها إلى اليوم الذى كانت فىه فى التاسعة من عمرها وذهبت متنكرة مع الأولاد إلى القرية . كان محرم عليها اللعب مع الذكور ، ولكنها قد ملّت من اللعب مع شقيقاتها . ذهبوا إلى شاطئ النهر الكبير ليروا من سيكون باستطاعته عبوره سابحاً فى أقل وقت ممكن . وكم كانت سعادتها فى ذلك اليوم لكونها الفائزة .

ومن انتصاراتها ذلك الذى وقع فى يوم أحد هادئ بالقرية . كانت فى الرابعة عشرة من عمرها ، وأثناء ما كانت تتنزه فى عربة بمصاحبة شقيقاتها أطلق أحد الأولاد صاروخاً . فانطلقت الأحصنة بسرعة و هى مفزوعة ونفرت خارج القرية وفقد الحوذى السيطرة على العربة . فقامت تيتا بتنحيته جانباً بدفعة شديدة و استطاعت هى وحدها السيطرة على الأحصنة الأربعة . وعندما أسرع بعض رجال القرية ولحقوا بهن لمساعدتهن أعجبوا بعمل تيتا البطولى .

واستقبلوها فى القرية استقبال بطلة .

كانت تلك الذكريات وكثير غيرها مثلها تحتل فكرها خلال حفل الزفاف وتجعلها تضى وجهها بابتسامة قطة وديعة راضية ، حتى حانت ساعة العناق وكان عليها أن تهنى شقيقتها . فقال لها بيدرو الذى كان بجوارها .

- وأنا أئن تهئئئئئ ؟

- بلى؁ وكئف لا . أئنئ لك كل السعاعة .

قام بئءرو بعناقها مقءرباً منها اكثر مما تسمح به القواعد
الاجءماعئة ومسءغلاً الفرصة الوحئءة له لئسءطئع أن ءقول لها شئاً
فى أءنها :

- كئء واثقاً من أن الأمور سئسئر هكءا؁ فقد اسءطعء
بهءا الزواج الءصول على ماكئء أءوق للءغائة الئة : أن أكون
بءانبك؁ المرأة الءئ أءبها حباً ءقئقياً . . .

وءعء كلمات بئءرو الءئ نطقها لءوه عئء ءئءا مثل الءءوة
الءئ اءقءء فاشعءء باقى الرماء الءئ كان على وشك أن ئنطفئ .
وبءا على وءهها الءئ ظل لشهور مءبجرباً على عءم اظهار
مشاعرها؁ ءغئر لا ئمكن السئطرة عئله؁ كان وءهها ءعكس راحة
وسعاعة كئئرئ كانت كما لو كان كل ذلك الغلئان الءاءلى المءقء
قد نشط فجأة عبء انفاس بئءرو الءارة فوق عئقها وئءئ المءقءئئ
فوق ظهرها وصدرة القوى فوق نهءئها . . . كان ئمكنها البقاء
هكءا إلى الأءء لولا النظرة الءئ رمقءها بها ماما إئلئنا وءعءئها
ئنفصل عنه بسرعة . إءربء ماما إئلئنا من ءئءا وسألءها :

- ماذا قال لك بئءرو ؟

- لاشئئ ءامامئ .

- لن تخادعيني، فإن كنت انت ذكية قيراطاً فأنا أربعة وعشرين. فلا تتصنعى الضعف. الويل لك لو رأيتك مرة أخرى بالقرب من بيدرو.

حاولت تيتا، بعد هذه الكلمات المهددة لماما إيلينا، أن تكون بعيدة بقدر استطاعتها عن بيدرو. أما الذى كان مستحيلاً بالنسبة لها فهو أن تمحو من على وجهها ابتسامة رضا واضحة. ومنذ تلك اللحظة أصبح حفل الزواج معنى آخر بالنسبة لها.

لم يعد يضايقها فى شئ رؤية بيدرو وروساورا وهما ينتقلان من مائدة لأخرى لشرب نخبهما مع المدعوين ولا وهما يرقصان الفالس ولا قيامهما بعد ذلك بقطع كعكة الفرح. لقد تأكدت الآن: أن بيدرو يحبها.

كانت ترغب رغبة قاتلة فى أن تنتهى الوليمة لتجرى إلى ناتشا وتحكى لها كل شئ. وانتظرت بلا صبر أن ينتهى الجميع من أكل الكعكة التى صنعتها حتى تستطيع الذهاب. كان كتيب كاررينيو^(٨) يمنعها من الذهاب قبل إتمام ذلك، ولكنه لم يكن يمنعها من أن تخلق بين السحب و هى تأكل شريحتها بصعوبة كانت غارقة فى أفكارها إلى حد لم يسمح لها بأن تلاحظ أن شيئاً غريباً يحدث حولها. فقد تملك كل الحاضرين حنين شديد بمجرد

(٨) كتيب لتعليم فن وآداب السلوك (الإتيكيت).

تناول أول قضمة من الكعكة . حتى بيدرو ، المتماسك دائماً ، كان يبذل مجهوداً هائلاً من أجل احتواء الدموع . حتى ماما إيلينا والتي حتى عندما توفى زوجها لم تزرِف دُمعة حزن ، كانت تبكى بصمت . ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط ، فقد كان البكاء العرض الأول لتسمم نادر كان السبب بعض الشيء في حالة الكآبة الشديدة والإحباط التي سيطرت على كل المدعوين وجعلتهم ينفذون إلى الفناء وإلى الحظائر والحمامات و كل منهم متشوق إلى حبه الوحيد . لم يسلم واحد منهم من سحر الكعكة و المحظوظون منهم فقط هم الذين وصلوا في الوقت المناسب إلى دورات المياه ، أما الذين لم يستطيعوا فقد اشتركوا في حالة تقيؤ جماعي تمت في كل أنحاء الفناء . و الحقيقة أن الوحيدة التي لم يؤثر فيها طعم الكعكة كانت تيتا . فما أن انتهت من تناول نصيبها منها حتى غادرت الحفل . كانت ترغب في أن تخبر ناتشا بأسرع ما يمكن انها كانت على حق عندما كانت تقول إن بيدرو لم يكن يحب سواها . ولأنها كانت تتخيل السعادة المرتسمة على وجه ناتشا لم تنبه الى التعاسة التي كانت تنمو مع خطواتها إلى أن وصلت إلى مستويات مقلقة بشكل مؤثر . وكان على روساورا أن تغادر مائدة الشرف بين انحناءات .

كانت تحاول بكل الوسائل السيطرة على الغثيان ولكن الأخير كان أكثر تمكن منها ! كان هدفها هو انقاذ فستان زفافها من

فضلات قيء الأهل و الأصدقاء، و لكنها انزلت عند محاولتها عبور الفناء ولم تسلم و لا قطعة واحدة من فستانها من القيء. التحف بها نهر ضخمة و حزين وجذبها بعض الأمتار مؤدياً، لعدم مقدرتها على التحمل أكثر، إلى أن تطلق كبركان نائر جرعات مدوية من القيء أمام نظرات بيدرو المدعورة. ناحت روساورا كثيراً لهذا الحادث الذي افسد زفافها ولم يكن هناك قوة على الأرض يمكن أن تمحو من عقلها أن تيتا قد خلطت مادة ما بالكعكة.

أمضت الليل كله بين الأثبات و الألم الذي كان يشير لديها خاطر التبرز على الملاءات التي امضت وقتاً طويلاً في تطريزها. اقترح بيدرو عليها مسبقاً أن تترك ليوم آخر إتمام ليلة الزفاف. ولكن مرت أشهر قبل أن يشعر بيدرو بضرورة إتمام ذلك وبأن تتجراً روساورا و تقول له إنها أصبحت في صحة جيدة. كان بيدرو حتى تلك اللحظة يدرك انه لا يستطيع أن يمتنع عن القيام بدوره كرجل أكثر من ذلك في تلك الليلة ذاتها ومستخدماً ملاءة الزواج، ركع أمام سريره وعلى شكل صلاة قال:

- إلهي، ليس بهدف الرذيلة و لا الفسق و انما لمولد ابن لخدمتك.

لم تكن تيتا تتخيل أن يمر وقت بهذا القدر حتى يكتمل

العرس المذكور. لم يكن يهمها كيف تم ولا ما اذا كان يوم الإحتفال الدينى للزواج أو أى يوم آخر.

كانت مشغولة بأن تنفذ بجسدها أكثر من أى شئ آخر. كانت ليلة الزفاف قد تلقت على يد ماما إيلينا علقه ساخنة، لم تتلقاها من قبل ولن تتلقاها من بعد. ظلت أسبوعين ملازمة الفراش حتى تتعافى من الضربات. وكان سبب هذا القدر من العقاب القاسى هو تأكد ماما إيلينا من أن تيتا بالتواطوء مع ناتشا، قد خططت متعمدة إفساد حفل زفاف روساورا بأن خلطت مادة مقيئة بالكعكة. لم تستطع تيتا بالمرّة اقناعها بأن المادة الوحيدة الغريبة التى كانت بالكعكة هى الدموع التى كانت تذرفها وهى تعدّها. ولا إستطاعت ناتشا الشهادة لصالحها، فعندما جاءت تيتا تبحث عنها يوم الزفاف وجدتها قد فارقت الحياة و عيناها مفتوحتان وواضعة على صدغيها دارات الصداع^(٩). وبين يديها صورة لأحد خطّابها السابقين.

(٩) دارات من الورق المشرب بالسمن يعالج بها الصداع فى المكسيك، وتسمى تشيكيا دوريس

الفصل الثالث

ماسك

سمان بيتلات الورد

المقادير:

١٢ وردة، يفضل أن تكون حمراء - ١٢ ثمرة أبو فروة
- ملعقتان كبيرتان من الزيت - ملعقتان كبيرتان من ماء
الزهر - ملعقتان كبيرتان من الينسون - ملعقتان كبيرتان
من العسل - فصان من الثوم - ٦ وحدات من السمان -
فصان من الثوم - ٦ وحدات من السمان - ١ حبة
من صبار السيريوس

طريقة العمل

تقطف بتلات الورد بحرص شديد مع محاولة عدم وخز الأصابع، فبالإضافة إلى أن الوخزة تكون مؤلمة للغاية، فإن البتلات يمكن أن تتشرب الدماء، وبصرف النظر عن أن هذا يغير من طعم الأكلة، فإنه يمكن أن يؤدي إلى تفاعلات كيميائية تكون خطيرة للغاية.

لكن تيتا كانت غير قادرة على تذكر هذا التفصيل البسيط أمام التأثير الشديد الذي شعرت به عندما تلقت فرع ورد من يدي بيدرو. كان أول تأثير عميق تشعر به منذ ليلة زفاف شقيقتها، عندما سمعت تصریح الحب الذي يكنه لها بيدرو والذي كان يحاول أن يخفيه عن أعين الآخرين. كانت ماما إيلينا بتلك السرعة و الحدة في التفكير التي تمتلكهما تشك فيما يمكن أن يحدث إذا ما أتيحت الفرصة لبيدرو وتيتا ليختليا بعضهما ببعض. وعليه فقد استطاعت حتى الآن، عبر تباهيها بمعرفة فنون عجيبة

من الشعوذة، أن تجد سيلاً رائعاً لإخفاء أحدهما عن عيني الآخر. ولكن أمراً بسيطاً فاتها: فبموت ناتشا كانت تيتا هي اكفاً امرأة بين نساء البيت جميعاً لاحتلال المكان الشاغر في المطبخ وهناك كانت تنفذ من تحت مراقبتها الصارمة المذاقات و الروائح والمكونات وما يمكن أن تسببه الأخيرة.

كانت تيتا الحلقة الأخيرة لسلسلة من الطاهيات اللاتي منذ العهد قبل الإسباني قد تناقلن أسرار المطبخ من جيل إلى جيل. وكانت تعتبر أفضل ممثلة لهذا الفن الرائع، فن الطهي. وعليه استقبل قرار تعيينها الطاهية الرسمية للمزرعة استقبالاً حسناً من الجميع. استقبلت تيتا المنصب بسرور بالرغم من الحزن الذي كانت تشعر به لغياب ناتشا.

جعلت وفاة ناتشا المؤسفة تيتا في حالة اكتئاب شديدة. فقد تركتها ناتشا بوفاتها وحيدة للغاية. كأن أمها الحقيقية قد ماتت وفي محاولة منه لتشجيعها على النجاح فكر بيدرو في أنه سيكون تصرفاً طيباً منه لو حمل لها فرعاً من الورد بمناسبة إتمامها عامها الأول كطاهية للمزرعة. ولكن روساورا - التي كانت تنتظر مولودها الأول - لم ترتأى نفس الشيء، وعندما رآته قادماً وفرع الورد في يديه ويعطيه لتيتا بدلاً منها، غادرت الصالة وهي أسيرة نوبة من البكاء.

أمرت ماما إيلينا تيتا، بنظرة واحدة منها، بالخروج من الصلاة والتخلص من الورد. انتبه بيدرو لجرأته متأخراً جداً. لكن ماما إيلينا رمقته بالنظرة المناسبة، التي جعلته يعرف انه مازال بإمكانه إصلاح الضرر الذي سببه. وهكذا و بعد أن استأذن خرج بحثاً عن روساورا. كانت تيتا تضم الورد إلى صدرها بقوة إلى درجة انها عندما وصلت إلى المطبخ تحول الورد و الذي كان لونه في البداية وردياً إلى اللون الأحمر من دماء يدي و صدر تيتا. كان عليها أن تفكر بسرعة ماذا تفعل به. كان جميلاً للغاية! لم يكن في وسعها القاؤه في القمامة، أولاً لأنها لم تتلق قط زهوراً من قبل وثانياً؛ لأن بيدرو هو الذي أعطاها لها. فجأة سمعت صوت ناتشا بوضوح وهي تملئها في أذنيها وصفة من العهد قبل الإسباني عندما كانت تستخدم بتلات الزهور. كانت تيتا شبه ناسية تلك الوصفة لأنها كانت تحتاج في صنعها إلى الديوك البرية وفي المزرعة لم يوجهوا جهودهم البتة في تربية ذلك النوع من الطيور.

كان الشيء الوحيد الموجود في ذلك الوقت هو السمان، وهكذا قررت أن تحدث تغييراً بسيطاً في الوصفة بهدف استخدام الزهور.

وبدون إطالة التفكير في ذلك خرجت إلى الفناء وركزت اهتمامها في ملاحقة السمان. وبعد أن أمسكت بستة منها

ووضعتها فى المطبخ و تهيأت لذبحها وهو ما لم يكن سهلاً بالمرّة عليها بعد أن قامت برعايتها و إطعامها لوقت طويل .

وبعد أن أخذت نفساً طويلاً أمسكت بأول سمانة ولوت عنقها كما رأت ناتشا تفعل عدة مرات ولكن ليس بالقوة الكافية فلم تمت السمانة المسكينة بل جابت المطبخ كله وهى تتألم بشكل يثير الشفقة ورأسها مدلى على جانبها . أربعها هذا المنظر! أدركت انه لا يجب أن تكون ضعيفة فيما يتعلق بأمر الذبح : إما أن تقوم به بثبات وإلا ستسبب فى ألم كبير . فكرت فى تلك اللحظة فى أنه كم يكون طيباً لو امتلكت قوة ماما إيلينا، فهى تذبح بحدة وبلا رحمة . ولكن إذا تفكرت فى الأمر جيداً، كلا، كان ثمة استثناء فى حالتها، فقدت بدأت تذبح منذ طفولتها، قليلاً قليلاً، ومع ذلك مازالت لا تقوى على الإجهاز النهائى . لقد أصابها زواج بيدرو وروساورا بما أصاب السمانة، حطم قلبها ونفسها، وقبل أن تسمح بأن تشعر السمانة بنفس الآلام التى تشعر بها وبدافع الرحمة وبتصميم أجهزت عليها فى الحال . وكان الأمر أسهل مع البقية . فما كان عليها إلا أن تتخيل أن كل سمانة قد سدت حوصلتها ببيضة نصف مسلوقة وبأنها، رحمةً منها، ستحررها من العذاب بلى رقبة خاطف . ففي طفولتها كم تمت الموت قبل أن تأكل البيض نصف المسلوق المقرر والإجبارى . كانت ماما إيلينا تجبرها على تناوله . كانت تشعر أن مريئها يغلق بشدة، يبالغ

الشدة بحيث يغدو غير قادر على ابتلاع أي غذاء، إلى أن عاجلتها أمها بضربة قوية على الرأس كان لها فعل السحر في حل عقدة حلقها؛ ومنذ ذلك الحين كانت البيضة تنزلق منه بلا أدنى مشكلة. الآن أصبحت أكثر هدوءاً وقامت بالخطوات التالية بمهارة شديدة.

كانت تبدو كأنها ناتشا ذاتها في جسد تيتا فقامت بكل تلك الأعمال: نتف ريش السمان وهو جاف وتفرغ أحشائه وقلبه. بعد نتف ريش السمان وتفرغ أحشائه توثق أرجله حتى يحتفظ بشكل جميل بينما يوضع للقلي في الزيت بعد تنيله بالقلقل الحار والملح حسب الذوق.

مهم جداً نتف ريش السمان جافاً؛ لأن غمره في الماء المغلي يغير طعم لحمه. وهذا واحد من أسرار المطبخ التي لا تحصى والتي لا تكتسب إلا بالممارسة. ولأن روساورا لم ترغب في المشاركة في أعمال الطهي منذ أن احترقت يداها من صينية الخبز فإنها كانت تجهل هذا بالطبع وتجهل معلومات أخرى كثيرة عن فن الطهو. ومع ذلك حاولت في مرة أن تطهو، ولا ندري هل كان ذلك رغبة منها في أسر زوجها بيدرو أم لمنافسة تيتا في مجالها. وحين حاولت تيتا بلطف إعطاءها بعض النصائح غضبت روساورا بشدة وطلبت منها أن تتركها وحدها في المطبخ.

وبالطبع فسد الأرز منها، أما اللحم فكان ملحه زائداً

واحترق الحلو. لم يجرؤ أحد على المائدة على إبداء أي شعور بالكدر. علقت ماما إيلينا بشكل فيه إيعاز قائلة:

- إنها المرة الأولى التي تطبخ فيها روساورا، وأرى أنها قامت بذلك على نحو لا بأس به. ما رأيك يا بيدرو؟

أجاب بيدرو وهو يبذل مجهوداً كبيراً، بدون رغبة في أيلام زوجته:

- نعم، لكونها المرة الأولى لا بأس به.

وبالطبع أصيبت الأسرة كلها مساء ذلك اليوم بألم في معدتها.

كانت مأساة حقيقية، ولكنها لم تكن بالطبع على نفس درجة المأساة الأخرى التي وقعت في المزرعة في ذلك اليوم. فقد كان امتزاج دم تيتا ببتلات الورد الذي أهدها لها بيدرو الأمر الأكثر تفجراً.

عندما جلسوا إلى المائدة خيم جو يشوبه بعض التوتر، بيد أن التوتر لم يزد إلا حين قُدم طبق السمّان. لم يتمالك بيدرو الذي لم يكن سعيداً لأنه أثار أحاسيس زوجته، لم يتمالك نفسه بمجرد أن تذوق أول قضمة من الطبق فصاح وهو يغلق عينيه بشبق حقيقي:

- إن هذه لمتعة إلهية!

على الرغم من اعترافها بأنها طبخة لذيدة حقاً، قالت ماما إيلينا وهي مستاءة من تعليقه:

- ملحها زائد.

لم تستطع روساورا، متعلقة بإغماءات ودوار، تناول أكثر من ثلاث قضمات. أما خيرترووديس، في المقابل، فقد حدث لها أمر غريب.

يبدو أن الطعام الذي كانت تأكله قد أحدث بها تأثيراً أفروديتياً إذ بدأت تشعر بحرارة شديدة تغزو ساقيها ودغدغة في أغوار جسدها لم تجعلها تجلس براحة على مقعدها. راحت تتصبب عرقاً وهي تتخيل أنها تمتطي صهوة جواد ويضمها إليه أحد ثوار بيا^(١٠)، أحد أولئك الذين رأتهم قبل أسبوع قادماً إلى ساحة القرية تفوح منه رائحة عرق وطین ونذر خطر وريبة، رائحة حياة أو موت. كانت هي ذاهبة إلى السوق بصحبة تشيتشا الخادمة عندما رآته مقبلاً من شارع بيدراس نجراس الرئيسي، جاء متقدماً الجميع يقود بجلاء فرقة الجند. التقت نظرتاهما وما رآته في عينيه جعلها ترتعد. رآته ليالي كثيرة

(١٠) PANCHO VILLA: الثائر المكسيكي (١٨٨٧ - ١٩٢٣).

بجانب النار يرغب في مصاحبة امرأة يستطيع أن يقبلها، امرأة يستطيع أن يعانقها، امرأة... مثلها. أخرجت منديلها وحاولت أن تزيل من رأسها، إلى جانب العرق، كل تلك الأفكار الآثمة.

لكن بلا جدوى، كان يحدث لها أمر غريب. التمسست معاونة تيتا لكنها كانت غائبة، كان جسدها جالساً على المقعد، وفي منتهى الانضباط بالتأكيد، لكن لم يكن في عينيها أي علامة حياة. كانت تبدو كأن ظاهرة كيميائية غريبة قد أذابت كيائها في صلصة الورد وفي لحم السمّان وفي النبيذ وفي كل رائحة من روائح الطعام. وبنفس الطريقة نفذت إلى أعماق جسد بيدرو شهوانية زكية الرائحة ودافئة وحسية تماماً.

لاح الأمر وكأنهم اكتشفوا شفرة جديدة للمعاشرة كانت تيتا مبعثها وبيدرو متلقيها وخيرتروديس المحظوظة هي التي اصطنعت فيها هذه العلاقة الجنسية الفريدة عبر الطعام.

لم يبدِ بيدرو أية مقاومة، جعلها تنفذ حتى الركن الأخير من ذاته دون أن يستطيع أحدهما رفع عينيه عن الآخر، قال لها:

- لم أذق قط شيئاً بهذه اللذة. شكراً جزيلاً.

والحق أن هذا الطبق لذيذ. فالورد يكسبه مذاقاً خاصاً جداً. بعد الحصول على البتلات، تسحق في مدق مع الينسون. وتوضع ثمرات "أبو فروة" لتحمص على حدة في الفرن ثم

تقشر وتسلق في ماء. ثم تهرس تماماً ؛ يفرم الثوم ربيعاً ويحمر في الزيت ؛ وعندما يسوى يضاف إليه مهروس أبو فروة وحبّة الصبّار المطحونة والعسل وبتلات الورد وملح حسب الذوق لعمل صلصة سميكة بعض الشيء، ويمكن أن تضاف إلى الخليط ملعقتان من نشا الذرة. وفي النهاية تصفى وتضاف إليها نقطتان فقط من ماء الورد لا أكثر خشية أن تصبح رائحتها نفاذة ويتغير طعمها. وعند نضجها ترفع من فوق النار. يغمر السمان لمدة عشر دقائق فقط في هذه الصلصة لكي يتشرب الطعم ثم يُرفع.

إن رائحة خلاصة الورد الزكية شديدة النفاذ إلى درجة أن المدق الذي استخدم لطحن البتلات ظل محتفظاً بها لعدة أيام.

كانت خيرترووديس هي المكلفة بغسل المدق وبقية أواني المطبخ. كانت تقوم بهذا العمل بعد تناول الطعام، في الفناء، فقد كانت تستغل وجودها بالمكان لإلقاء بقايا الطعام التي بالأواني للحيوانات. ولأن أواني المطبخ كانت كبيرة إلى حد ما فإنها كانت تنظفها بشكل أفضل في حوض الغسيل. لكنها في يوم أكلة السمان لم تفعل وطلبت من تيتا أن تسدي لها معروف القيام بذلك عنها. كانت خيرترووديس تشعر بالفعل بأنها متوعكة، كانت كافة أنحاء جسدها تنضح عرقاً، وكان لحبات العرق التي تتصبب منها لون وردي ورائحة عرق نفاذة. كانت تشعر بحاجة ملحة إلى حمام وأسرعت إلى إعدادة.

كانت ماما إيلينا أمرت بإنشاء منضحة بدائية في الجانب الخلفي من الفناء بجوار الحظائر ومخزن الغلال. عبارة عن غرفة صغيرة مبنية من ألواح خشب متجاورة، وبين كل لوح وآخر منفرجات كبيرة تسمح برؤية من يستحم بداخلها بلا مجهود كبير. على أي الأحوال، كانت تلك أول منضحة عرفت لها القرية وكان قد اخترعها أحد أبناء عمومة ماما إيلينا كان يعيش في سان أنطونيو بتكساس. كان بالغرفة خزان بارتفاع حوالي المترين وبسعة أربعين لتراً، وكانت تخزن المياه فيه مسبقاً باستخدام قوة الجاذبية. وكان يحتاج إلى مجهود للصعود بدلاء مملوءة بالماء فوق سلم خشبي، لكن يلي ذلك الشعور باللذة ما أن يفتح صنبور والشعور بالماء وهو يسيل فوق الجسم كله مرة واحدة وليس على دفعات كما كان يحدث لدى الاستحمام في الطست الخشبي. بعد سنوات قام الجرينجوس^(١١) بدفع مبلغ كبير من المال لابن العم لقاء اختراعه وقاموا على تحسينه وصنعوا ألوف المناضح دون الحاجة إلى الخزان المذكور فقد استخدموا مواسير لتشغيلها.

لو كانت خيرترووديس علمت! المسكينة صعدت وهبطت مايربو على العشر مرات وهي تحمل الدلاء. كانت على وشك أن يغشى عليها فقد كان هذا التمرين القاسي يكثف ما كانت تشعر به من حرارة محرقة.

(١١) لقب احتقار يطلق في أمريكا اللاتينية على غير الناطقين بالإسبانية وعلى لغتهم.

كان الشيء الوحيد الذي يشجعها هو تخيل الحمام المنعش الذي ينتظرها ولكنها للأسف لم تستطع أن تستمتع به فلم تكن قطرات الماء التي تسقط من المنضحة تصل إلى جسدها: كانت تبخر قبل حتى أن تحتك بها. كانت الحرارة التي تنبعث من جسدها من الشدة بحيث راح الخشب يردد ويضطرم. وأمام الذعر من الموت حرقاً من اللهب خرجت مسرعة من الغرفة الخشبية وهي على حالها، عارية تماماً.

عندئذ كان شذى الزهور المنبعث من جسدها قد وصل إلى بعيد جداً جداً، إلى ضواحي القرية حيث كان ثوار واتحاديون يتقاتلون في معركة شرسة، وبرز من بينهم لشجاعته ذلك الثائر الموالي ليّا الذي كان دخل قبل اسبوع شارع بيدراس نجراس ورآها في الساحة.

بلغته سحابة وردية، احتوته وحشته على الاتجاه مسرعاً نحو مزرعة ماما إيلينا. غادر خوان، وهذا اسمه، ميدان المعركة مخلفاً وراءه عدواً نصف هالك دون معرفة السبب. كانت هناك قوة عليا تسيطر على أفعاله، وتحركة ضرورة قوية للوصول في أسرع وقت ممكن للقاء شيء مجهول في مكان غير محدد. لم يكن الأمر صعباً عليه. كان يرشده عبق جسد خيرتروديس. وصل في الوقت المحدد ليجدها وهي تجري وسط الحقول. عندئذ عرف لم وصل حتى هناك. كانت هذه المرأة في حاجة سريعة إلى

رجل يطفىء النار المحرقة المتولدة داخل أحشائها.

رجل في حاجة إلى الحب بقدر حاجتها إليه، رجل مثله. توقفت خيرترووديس عن العدو عندما رآته قادماً نحوها. كانت وهي عارية وشعرها مسترسل ومتهدل حتى خصرها وتشع طاقة مشرقة، تمثل ما يمكن أن يكون تركيبة بين امرأة ملائكية وأخرى جهنمية. كانت رقة ملامحها وكمال جسدها الطاهر والعذري يتناقضان مع الولع والشبق المنبعثين من عينيها ومسامها. أدت هذه العناصر، بتوحيدها مع الرغبة الجنسية التي كان خوان يكتبها زمناً طويلاً وهو يكافح في الجبال، إلى أن يكون اللقاء بينهما مشيراً.

قام هو، بدون التوقف عن العدو بحصانه حتى لا يضيع الوقت، بالإنحناء والتقطها من خصرها ورفعها فوق الحصان امامه ولكن بوضعها وجهاً لوجه وانطلق بها. أما الحصان الذي كان على ما يبدو يتبع أيضاً أوامر عليا، فقد استمر في عدوه كما لو كان على علم تام بنهاية مساره بالرغم من أن خوان كان قد أرخى له اللجام ليستطيع عناق وتقيل خيرترووديس بحرارة. كانت حركة الحصان تعوق حركة جسديهما وهما يقومان بأول اتصال جنسى في سرعة شديدة و بصعوبة بالغة.

مر كل شيء بسرعة كبيرة لدرجة أن الحرس الذي كان يتبع خوان لمحاولة اللحاق به وإعادته لم يوفق في ذلك بالمرة. فعاد

يائساً ، و كان الخبر الذى نقله هو أن القائد قد أصيب بالجنون فجأة خلال الحرب ، وأنه - بسبب ذلك - قد هجر الجيش .

عامّة تلك هى الصورة التى تروى بها الحكاية عبر روايات شهود العيان والتى لا تنتمى دائماً إلى الحقيقة . أما وجهة نظر تيتا فيما حدث فكانت مغايرة تماماً لوجهة نظر الثوار . فقد راقبت كل شئ من الفناء حيث كانت تغسل الأواني . لم يفتها أى تفصيل بالرغم من أن سحابة من البخار الوردى و ألسنة لهب حجرة الاستحمام كانت تعوق رؤيتها . وكان بجوارها بيدرو هو الآخر و الذى حظى بمتابعة المشهد حيث كان قد خرج إلى الفناء بدراجته للتنزه .

ومثل شاهدين صامتين لفيلم تأثر بيدرو و تيتا حتى البكاء لدى رؤية بطلين فى حالة جماع وهو ما كان محرماً عليهما . وكانت لحظة ، لحظة واحدة كان بإمكان بيدرو أن يغير فيها مجرى القصة . فقد استطاع و هو يمسك بيد تيتا أن يقول : - تيتا . . . فقط . لم يكن هناك وقت ليقول أكثر من ذلك . فقد حالت الحقيقة القدرة دون ذلك . فقد سمعت صيحة ماما إيلينا وهى تسأل عما كان يجرى فى الفناء . لو كان بيدرو قد طلب من تيتا الهروب معه لما فكرت فى الأمر لحظّة ، لكنه لم يفعل ، بل صعد إلى دراجته بسرعة و هو يبدّل غضبه . لم يستطع أن يحو من عقله صورة خيرتروديس وهى تجرى فى الحقل . . . عارية تماماً !

أما حركة نهديها الكبيرين وهما يتأرجحان من جانب لآخر فقد تركته منوماً. انه لم يرَ زوجته عارية قط. ففي علاقته الجنسية مع روساورا لم يشعر برغبة في رؤية جسدها ولا مداعبته. ففي هذه الحالة كانا يستخدمان دائماً ملاءة الزواج التي لم تكن تسمح برؤية شئ سوى الأماكن البارزة من زوجته. وبعد انتهاء الجماع كان يغادر غرفة النوم قبل أن تنكشف هي. و الآن، على العكس، استيقظ لديه الفضول لرؤية تيتا لوقت طويل هكذا بلا أى ملابس.

فاحصاً ومتشهماً ومتقصياً عن نكهته حتى آخر سنتيمتر من ملمس جسدها الهائل و الجذاب. مؤكداً أنه يشبه جسد خيرترووديس فليستا هباءً شقيقتان.

كان الجزء الوحيد الذى يعرفه تمام المعرفة من جسد تيتا، بخلاف الوجه و اليدين، هو الجزء الملفوف من بطن الساق و الذى استطاع أن يراه ذات مرة. تلك الذكرى كانت تؤرقه لياليه. كم كان يشعر بالرغبة فى وضع يده على ذلك الجزء من البشرة ثم يمر بعد ذلك بكل أنحاء جسدها تماماً مثلما رأى الرجل الذى حمل خيرترووديس يفعل: بولع وبتفجر وبشبق!

حاولت تيتا، من جانبها، أن تصرخ فى بيدرو لينتظرها، ليحملها بعيداً، إلى حيث يتركانهما يتحابان، إلى حيث لم تخترع بعد قواعد لتتبع وتحترم، إلى حيث لا تكون أمها، ولكن

حنجرتها لم تصدر أى صوت . فقد انعقدت الكلمات و خنق بعضها بعضاً قبل أن تخرج .

كانت تشعر بأنها وحيدة وجد مهجورة! كانت أسوأ من فلفلة حارة فى صلصة الجوز بالتوابل المنسية فى صينية بعد وليمة عظيمة . كم من المرات كان عليها وهى وحدها فى المطبخ أن تأكل إحدى هذه الأكلات اللذيذة قبل تركها لتفسد . و مسألة أن لا أحد يأكل آخر فلفلة حارة فى الصينية تحدث عامة عندما لا يرغب الناس فى إظهار نهمهم بالرغم من أنهم كان سيسعدهم التهامها غير أن أحداً لا يجرؤ . وهكذا يكون رفض فلفلة حارة محشوة تحوى كل المذاقات التى يمكن أن نتخيلها ، حلاوة السكر المعقود بالليمون و حرارة الفلفل وخفة صلصة الجوز وبرودة الرمانة .

فلفلة حارة رائعة فى صلصة الجوز! تحتوى داخلها كل اسرار الحب و لكن لأحد يستطيع نزع أحشائها بسبب اللياقة .

اللعنة على اللياقة! اللعنة على كتيب كارينيو! فسيبه ظل جسدها معرضاً للذبول شيئاً فشيئاً بدون أى علاج ، واللعنة على بيدرو المذهب للغاية . . . المستقيم للغاية . . . الرجل للغاية و المحبوب للغاية . . . للغاية!

لو كانت تيتا تعلم حينئذ أنه لن يمر وقت طويل حتى يعرف جسدها الحب لما يئست بهذا القدر فى تلك اللحظة .

أدت الصيحة الثانية لماما إيلينا إلى اخراجها من تفكيرها العميق فى أمرها وجعلتها تفكر بسرعة فى إجابة . لم تكن تعلم ماذا سوف تقول لأُمها ، هل تقول لها أولاً إن الجزء الخلفى من الفناء يحترق ، أو أن خيرترووديس قد ذهبت مع أحد اتباع بيّا على ظهر جواد . . . وعارية .

قررت أن تنسج رواية تذكر فيها أن الفيدراليين ، الذين كانت تيتا تمسقتهم ، قد دخلوا أفواجاً و أشعلوا النيران فى الحمامات و اختطفوا خيرترووديس . صدقت ماما إيلينا القصة كلها ومرضت من الأسى ولكنها كانت على وشك الموت لدى علمها بعد أسبوع على لسان الأب اجناثيو راعى كنيسة القرية - والذي لا يعرف أحد كيف علم - أن خيرترووديس كانت تعمل فى بيت دعارة على الجبهة ، فحرمت ذكر اسم ابنتها و أمرت بإحراق صورها وشهادة ميلادها .

وبالرغم من ذلك ، لا النيران و لا مرور السنين استطاعت محو رائحة الورد النفّاذة التى كانت تفوح فى المكان الذى كان حماماً سابقاً ، والذي يشغل حالياً موقف سيارات مبنى دواوين . لم يستطع أيضاً أن يمحو من عقل بيدرو و تيتا المناظر التى رآياها و التى أثرت فيهما إلى الأبد . منذ ذلك اليوم تحول السّمان المصنوع ببتلات الورد إلى ذكرى صامته لهذه التجربة الساحرة .

كانت تيتا تعد الوجبة كل عام كقربان للحرية التى نالتها
شقيقتها وكانت تولى عناية خاصة لتزيين السّمان.

يوضع السّمان فى طبق كبير و تصب الصلصة فوقه و يزين
بوردة كاملة فى وسطه و ببتلات على الأطراف أو يمكن تقديمه كل
واحدة على حدة فى طبق فردى بدلاً من استخدام الطبق الكبير.
كانت تيتا تفضله هكذا لأنه بهذه الطريقة لا يتعرض لخطر فقدان
شكل زينته عند توزيعه. وهكذا بالضبط أفردته فى كتاب الطهى
الذى بدأت فى كتابته تلك الليلة ذاتها بعد أن غزلت جزءاً كبيراً
من مفرش سريرها. كما كانت تفعل يومياً. وبينما كانت تغزل.
كانت تدور برأسها وتدور صور خيرتروديس و هى تجرى فى
الحقل بجانب صور أخرى تخيلتها هى عما قد يكون حدث بعد
ذلك، بعد أن غابت أختها عن بصرها. وكان خيالها بالطبع فى
هذا الصدد محدوداً للغاية نظراً لعدم خبرتها.

كان لديها فضول لمعرفة هل تدثرت بشيء من الملابس أم
أنها مازالت هكذا عا. . . غير مستورة! كان يشغلها أنها قد تشعر
بالبرد، مثلها، ولكنها انتهت إلى نتيجة تنفي ذلك. الأكثر احتمالاً
هو أن تكون قريبة من النار بين ذراعى رجلها وذلك لابد أنه يمنح
قطعاً الدفء.

فجأة اختسرت فكرة ما عقلها وجعلتها تقوم لتنظر إلى
السماء المليئة بالنجوم. كانت تعرف القوة التى يمكن أن تكون

عليها النار المنبعثة من نظرة فقد شعرت بها بلحمها و دمها .

إنها قادرة على إشعال الشمس ذاتها . تساءلت و هى تضع هذا الاعتبار ، ماذا يمكن أن يحدث لو أن خيرترووديس تنظر لنجمة؟ من المؤكد أن حرارة جسدها ، المشتعل منذ الحب ، ستسافر ببصرها عبر الفضاء اللانهائى بدون أن تفقد طاقتها حتى ترسب فى بريق استقطابها . هذه النجوم العظيمة قد بقيت لملايين السنين بفضل حفاظها الجيد على ذاتها بعدم امتصاصها للإشعاعات الملهبة التى يطلقها المحبون فى كل الدنيا ليلة بعد ليلة ؛ لأنها لو فعلت ذلك لتولدت فى داخلها حرارة كبيرة ولتفجرت إلى ألف قطعة . لذلك فإنها عند استقبالها لأى نظرة فإنها ترفضها مباشرة وتعكسها نحو الأرض كما يحدث فى مجموعة من المرايا . لهذا تلمع كثيراً فى الليل . ولذلك خالج تيتا الأمل فى أنها لو استطاعت أن تكتشف بين كل نجوم السماء أيها كان الذى تنظر إليه شقيقتها فى تلك اللحظة فإنها ستستقبل عبر الانعكاس قليلاً من الدفء الذى فاض عنها .

حسنٌ ، كان ذلك أملها ولكن بالرغم من مراقبتها لكل نجم من نجوم السماء على حدة لم تشعر مطلقاً بأى حرارة ، و إنما كان على العكس تماماً حقاً . عادت إلى سريرها مرتعدة ومقتنعة تماماً بأن خيرترووديس تنام فى هدوء و النوم ملء جفניה وأنه لذلك لم تؤد التجربة عملها . وضعت عندئذ فوقها غطاء سريرها الذى كان

فى ذلك الوقت يطوى ثلاثاً؁ راجعت الوصفة التى كتبها لترى ما
اذا كانت قد نسيت تسجيل شىء؁ و أضافت: " اليوم لأننا أكلنا
هذا الطبق؁ هربت خيرتروديس من البيت... ".

الفصل الرابع

إبريل

موليه^(١٢) الديك الرومي باللوز والسمن

المقادير:

- ربع كيلو من الفلفل الأحمر - ٢ وحدات من الفلفل البلدى -
- ٣ وحدات من الفلفل الرومى - قبضة من السمن - حساء
- ديك رومى - بقسماط (من نوع كونتشا) - فول سودانى -
- نصف كيلو من البصل - نبيذ - ٢ لوح من الشيكولاته -
- ينسون - سمن - كبش قرنفل - قرفة - فلفل اسود -
- سكر - بنور فلفل حامى - ٥ فصوص من الثوم

(١٢) موليه: أكلة مكسيكية قوامها اللحم والفلفل الحار والسمن... الخ. وهى كلمة عامة تطلق على أى خليط أو عجين أو مكبوس أى طعام.

طريقة العمل

بعد يومين من ذبح الديك الرومى ينظف ويوضع لينضج مع ملح . يصبح لحم الديكة الرومى ممتعاً بل ولذيذاً إذا ما سمن بعناية . وهذا يكون بوضع الطيور فى حظائر نظيفة ومدها بالحبوب والماء بوفرة .

وقبل خمسة عشر يوماً من ذبح الديكة تتم تغذيتها بحبات جوز صغيرة . نبدأ اليوم الأول بحبة واحدة وفى اليوم الثانى توضع فى منقارها اثنتان و هكذا يتم تباعاً زيادة الكمية حتى ليلة ذبحها بدون إغفال الذرة التى تأكلها حسب إرادتها فى ذلك الوقت .

أولت تيتا عناية كبيرة بتسمين الديكة كما يجب فقد كان يهتمها للغاية أن توفق فى الاحتفال الهام جداً الذى سيقام بالمزرعة وهو : تعميد ابن أختها ، أول ابن لبيدرو وروساورا . كان هذا الحدث يستحق وليمة كبيرة بصلصة المولىه . ولهذه المناسبة أرسل

فى طلب عمل طاقم أطباق خاص من الفخار يحمل اسم روبرتو ، وهو اسم الطفل المحفوظ ، الذى لم يتوقف عن تلقى رعاية وهدايا الأهل والأصدقاء ، وخاصة من جانب تيتا التى ، على عكس المتوقع ، كانت تشعر بعاطفة قوية نحو هذا الطفل ناسية تماماً انه كان نتاج زواج أختها من بيدرو ، حب حياتها .

واستعدت بحماس حقيقى لإعداد وجبة المولىة الخاصة بالتعميد قبل الموعد بيوم . كان بيدرو يسمعها من الصلاة وهى تمارس تأثيراً جديداً عليه . فصول الأوانى وبعضها يتخبط فى بعض ورائحة اللوز وهو يحمص فى الفرن وصوت تيتا الرخيم التى كانت تغنى وهى تطبخ ، قد أيقظ فيه غريزته الجنسية . وكما يشعر المحبون بدنو لحظة علاقة جنسية فإنه ، أمام قرب ورائحة المحبوب أو المداعبات المتبادلة فى علاقة حب سابقة ، فإن هذه الأصوات و الروائح وخاصة رائحة السمسسم المحمص ، قد أنبأت بيدرو بقرب حدوث لذة حسية حقيقية .

يتم تحميص اللوز و السمسسم فى محمصة . ويتم أيضا تحميص الفلفل العريض بعد إزالة بذوره ولكن ليس بدرجة كبيرة حتى لا يصبح طعمه مرّاً ويتم هذا فى مقلاة على حدة حيث يضاف إليه قليل من الشحم . بعد ذلك يتم طحنه فى رحنى إضافة إلى اللوز والسمسسم .

كانت تيتا جاثية على ركبتيها فوق الرحنى ، كانت تتحرك بشكل إيقاعي ومنسجم وهى تطحن اللوز و السمسسم . كان نهداها

يهتزان تحت بلوزتها بحرية فلم تستخدم قط أى حمالة للمصدر .
وكانت تسيل من رقبته قطرات العرق التى كانت تنساب إلى
أسفل باتجاه الثنايا التى بين نهديها المكورين و المشدودين .

ولعدم قدرته على مقاومة الروائح المنبعثة من المطبخ ، توجه
بيدرو نحوه ووقف جامداً بالبواب أمام الوضع المثير الذى وجد
عليه تيتا .

رفعت تيتا بصرها دون التوقف عن الحركة و التقت عيناها
بعينى بيدرو . ذابت نظراتهما مباشرة فى نظرة واحدة إلى درجة أن
من كان يراهما ما كان ليلحظ إلا نظرة واحدة وحركة إيقاعية
وحسية واحدة وتنفساً متفضلاً واحداً ورغبة واحدة .

مكثا فى حالة نشوة عاطفية حتى أخفض بيدرو بصره وثبته
على نهدي تيتا . توقفت هي عن الطحن واعتدلت و نصبت
صدرها لكى يتفحصها بيدرو بشكل تام . غير الاختبار ، الذى
استهدفه ، العلاقة بين الاثنين إلى الأبد . فبعد تلك النظرة
المتفحصية التى كانت تخترق ثيابها لن يصبح الأمر بالمرّة كما كان .
أدركت تيتا بنفسها لماذا تتغير العناصر لدى تلامسها بالنار . لماذا
تتحول قطعة العجين إلى عجة ولماذا يكون النهد الذى لا يكوى
بنار الحب نهداً خامداً ، قطعة من عجين بلا أية فائدة . لقد استطاع
بيدرو فى لحظات فقط أن يحوّل نهدي تيتا من نهدين عفيفين إلى
نهدين شهوانيين دون الحاجة إلى لمسهما .

ولولا عودة تشينتشا من السوق حيث كانت تشتري الفلفل
العريض، من يدري ماذا كان سيقع بين بيدرو و تيتا ؛ ربما انتهى
الأمر بيدرو بعجن النهدين اللذين تقدمهما إليه تيتا ولكن لسوء
الحظ لم يحدث هذا، تظاهر بيدرو بأنه ذهب إلى المطبخ في طلب
كوب من ماء الليمون بالتشيا (١٣) تناوله بسرعة ثم خرج منه .

أما تيتا فقد حاولت، بيدين مرتعنتين، مواصلة عملية
الطحن كما لو لم يحدث شيء .

بعد طحن اللوز و السمسم جيداً، يخلطان بمرق الديك
الحبشى ويضاف إلى الخليط الملح المناسب . ويتم طحن القرنفل في
هون (من الحجر) والقرفة و الينسون والفلفل ثم يضاف في
النهاية البقسماط الذى تم قليه فى السمن مع البصل و الثوم
المفرى . يخلط كل ذلك مباشرة بالنيذ ويضاف إلى ماسبق .

عشأحاولت تشينتشا أن تلفت انتباه تيتا وهى تطحن
التوابل . فبالرغم من المبالغة لها فى الأحداث التى رأتها فى الميدان
و التفاصيل الكاملة التى روت بها عنف المعارك التى وقعت فى
القرية لم تلفت انتباه تيتا إلا للحظات قصيرة فقط .

ففى ذلك اليوم لم يكن يشغل بال الأخيرة شئ آخر سوى
الإحساس الذى شعرت به لتوها . إضافة إلى أن تيتا كانت تعلم

(١٣) chia : نوع من بذور القويصة يصنع منه مشروباً منعشاً .

تماماً ما يدفع تشنيتشا إلى إخبارها بتلك الأشياء . فلأنها لم تكن
الطفلة التى تخاف من حكايات البكاءة و الساحرة الشريرة مصاصة
دماء الأطفال وقصة أمنا الغول وغيرها من الحكايات المرعبة ، فإن
تشنيتشا كانت تحاول الآن إرعبها بحكايات المشنوقين والمغتالين و
المقطوعة أوصالهم و المذبوحين و بشكل خاص المضحين بأنفسهم ،
الذين كانت تقتلع قلوبهم فى أوج المعركة! فى أوقات أخرى كان
يمكن أن يحلو لها الاستسلام لسحر حكايات تشنيتشا الظرفية وأن
ينتهى بها الأمر بتصديق أكاذيبها بما فى ذلك القصة التى تروى
فيها أن بانتشو يياً كانت تُحمل له قلوب أعدائه الدامية لكى
يأكلها ، أما الآن فلا .

لقد جعلتها نظرة بيدرو تستعيد الثقة فى الحب الذى كان
يعترف لها به . لقد عاشت شهوراً وهى مسممة بفكرة إما أن
بيدرو قد ضحك منها يوم الزفاف باعترافه لها بحبه لكى لا
تتعذب فقط أو أنه مع الوقت قد أحب روساورا بالفعل . وقد
تولّد عدم الأمان هذا عندما توقف هو عن التغزل بأطباقها بلا
تفسير . فقد كانت تيتا شديدة الاعتناء بطهيها يوماً بعد يوم . كانت
فى الليل وهى يائسة وبعد بالطبع أن تقوم بغزل جزء طيب من
غطاء سريرها ، تبتكر وصفة طعام جديدة بغية أن تستعيد العلاقة
التي نشأت بينها وبين بيدرو عن طريق الطعام . وفى تلك الفترة
من العذاب ولدت أفضل وصفاتها .

وهكذا، ومثلما يلعب الشاعر بالكلمات، كانت هي تلعب حسب هواها بالمكونات والمقادير محققة نتائج هائلة. ولكن بلا فائدة، راحت كل مجهوداتها هباء. لم تنجح فى نزع كلمة استحسان واحدة من شفتى بيدرو. ومالم تكن تعلمه هو أن ماما إيلينا قد طلبت من بيدرو الامتناع عن الشئاء على الطعام فقد كان يكفى روساورا ما تعاني من عدم الثقة لبدانتها وتشوه قوامها بسبب حملها، حتى يكون عليها فوق ذلك تحمل المجاملات التى كان يثنى بها على تيتا بحجة طهيها الشهى.

كم شعرت تيتا بالوحدة فى تلك الفترة. استوحشت للغاية ناتشا! كانت تكره الجميع بما فيهم بيدرو. كانت مقتنعة بأنها لن تعود أبداً إلى حب أحد طوال حياتها. كل هذه القناعات تلاشت بالطبع بمجرد أن استقبلت بيديها طفل روساورا.

كان صباحاً بارداً من مارس، كانت هى فى حظيرة الدجاج تجمع البيض الذى وضعته الدجاجات لتوها لاستخدامه فى وجبة الإفطار. كان بعضه مازال دافئاً، ولهذا كانت تضعه أسفل بلوزتها و تلصقه بصدرها لتخفف البرد المزمّن الذى كانت تعاني منه والذى اشتد عليها مؤخراً. كانت قد استيقظت كالعادة قبل الجميع.

لكنها اليوم استيقظت قبل موعدها المعتاد بنصف ساعة لكى تعبئ ملابس خيرتروديس فى حقيبة. كانت تريد أن تستغل ذهاب

نيكولاس للسفر من أجل استلام ماشية، لتطلب منه معروف أن يوصلها إلى شقيقتها. كانت تفعل ذلك خفية عن أمها بالطبع. وقد قررت تيتا إرسال حقيبة الملابس تلك لأنه لم يكن يغيب عن عقلها فكرة أن خيرترووديس مازالت عارية. وواضح أن تيتا كانت ترفض قبول حقيقة أن ذلك كان بسبب ما يتطلبه عمل أختها في بيت دعارة على الحدود بل لأن السبب، في الأغلب، هو أنها ليس لديها ما ترتديه.

أعطت نيكولاس حقيبة الملابس بسرعة و مظروفاً بعنوان الوكر الذي يمكنه أن يجد خيرترووديس فيه وعادت لتتولى أعمالها. فجأة سمعت بيدرو يُعد الكارته. استغربت أن يكون ذلك في ساعة مبكرة هكذا، ولكنها ما أن رأت ضوء الشمس حتى أدركت أن الوقت أصبح متأخراً جداً وأن إرسال جزءاً من ماضيها إلى خيرترووديس بجانب ملابسها أخذ منها وقتاً أكثر مما كانت تتصور. لم يكن سهلاً عليها أن تضع في الحقيبة ذكريات يوم أول مناولة لهن الثلاث معاً. فقد وجدت الشمعة و الكتاب وصورتهن خارج الكنيسة مكانها بشكل جيد جداً ولكن طعم التماليس والأتوليه الذي أعدته لهن ناتشا و الذي أكله بعد ذلك مع أصدقائهن والأقارب لم يجد مكاناً له. وجدت عظيمات التشاباكانو الملونة مكانها ولم تجد الضحكات التي كن يطلقنها وهن يلعبن معهم في فناء المدرسة ولا خويستا المعلمة ولا

الأرجوحة ولا رائحة حجرة نومهن ولا الشيكولاتة المخفوقة الطازجة. والأمر الطيب أن الحقيبة لم تسع أيضاً ضرب و زجر ماما إيلينا؛ لأن تيتا قامت بإغلاقها بقوة قبل أن تتسلل.

خرجت إلى الفناء بالضبط في اللحظة التي كان بيدرو يصيح باحثاً عنها بيأس. كان عليه أن يصل إلى ايجل باس بحثاً عن دكتور براون، طبيب العائلة، ولم يكن يجدها في أي مكان. فقد كانت روساورا قد بدأت تشعر بالآلام الوضع.

سألها بيدرو أن تعتني بها إلى أن يعود. كانت تيتا هي الوحيدة التي يمكنها فعل ذلك. لم يكن أحد بالبيت. كانت ماما إيلينا و تشينتشا قد ذهبتا إلى السوق من أجل إعداد خزين من الطعام لأنهما كانتا في انتظار الولادة بين لحظة و أخرى ولم تشأ أن يخلو البيت من أي سلعة ضرورية في هذه الظروف. لم تستطعا القيام بذلك قبلاً فقد حال وصول الفيدراليين ووجودهم الخطر في القرية دون ذلك. لم تتخيلا، عند خروجهما، أن قدوم الطفل سيقع في أسرع مماكانتا تتصوران، فبمجرد أن ذهبتا بدأت روساورا في عملية الولادة.

لم يكن أمام تيتا عندئذ إلا الذهاب لتكون بجوار أختها على أمل أن يكون الأمر لوقت قصير.

لم يكن لدى تيتا أي اهتمام بالتعرف على الطفل أو الطفلة أو أي من كان.

ولكن مالم يكن منتظراً البتة هو أن يقوم الفيدراليون بالقبض على بيدرو ظلماً ومنعه من إحضار الطبيب و ألا تستطيع ماما إيلينا و لا تشينتشا العودة بسبب معركة بالرصاص اندلعت فى القرية اضطرتهما إلى اللجوء لبيت عائلة لوبو، وبهذه الطريقة أصبحت الوحيدة التى حضرت ميلاد ابن شقيقتها هى، وهى بالذات!

تعلمت فى الساعات التى أمضتها بجوار شقيقتها أكثر مما تعلمته فى كل السنوات التى درستها فى مدرسة القرية. كرهت أكثر من أى وقت مضى معلميها و أمها لأنهم لم يخبروها فى أى مناسبة ما يجب القيام به فى حالة ولادة، فقيم تنفعها فى تلك اللحظة معرفة أسماء الكواكب و كتاب كارينيو من الألف إلى الياء وأختها كانت قد زاد وزنها ٣٠ كيلو خلال الحمل، مما كان يزيد من صعوبة عملية الولادة كبرى. فإلى جانب بدانة شقيقتها المفرطة، لاحظت تيتا أن جسم روساورا يتفخ بشكل غير عادى. بدأ بقدميها ثم الوجه و اليدين بعد ذلك. كانت تيتا تمسح لها عرق جبهتها و تحاول تشجيعها، ولكن روساورا بدت كأنها لا تسمعها.

كانت تيتا قد رأت ميلاد بعض الحيوانات، ولكن تلك الخبرات لن تنفعها فى شئ فى هذه اللحظات فقد كانت تحضر تلك الحالات كمتفرجة فقط. كانت الحيوانات تعرف جيداً ما

عليها أن تفعل . وعلى العكس ، لم تكن تعرف هي أى شيء عن أى شيء . أعدت ملاءات وماء ساخناً ومقصاً معقماً . كانت تعلم أن عليها أن تقص الحبل السرى ولكنها لم تكن تعلم كيف و لا متى و لا بأى طول . كانت تعلم أن عليها تنبيه الطفل بخطبات وقت خروجه إلى الدنيا ولكن لم تكن تعرف ما هي . كل ما كانت تعرفه هو أنه يجب أولاً أن يولد ، ولم تكن تعرف متى ! كانت تيتا تطل بين فخذى أختها بكثرة ولا شيء . نفق مظلم فقط ، صامت عميق . طلبت تيتا من ناتشا و هي جاثية على ركبتها أمام روساورا ، يائسة ، إلهامها فى هذه اللحظات .

فإذا كان ممكناً أن تملى عليها بعض وصفات الطعام ، يمكنها أيضاً مساعدتها فى هذا الموقف الحرج ! كان يجب أن يأتى روساورا أحد من أعلى لأن أهل الدنيا لاحيلة لهم .

لم تعرف كم من الوقت صلت وهي جاثية ، ولكنها عندما فتحت عينيها تحول النفق المظلم بين لحظة و أخرى إلى نهر أحمر ، إلى بركان مندفع ، إلى شق من ورق . كان لحم شقيقتها يفتح لإعطاء فرصة للحياة . لن تنسى تيتا أبداً ذلك الصوت ولا صورة رأس ابن شقيقتها و هي تخرج متصرة فى صراعها من أجل الحياة . لم تكن رأساً جميلة ، كانت تشبه على الأكثر هاوناً صغيراً نتيجة الضغط الذى خضعت له عظامها لساعات طويلة . ولكنها بدت لتيتا أجمل من كل الرؤوس التى رأتها فى حياتها .

غزا بكاء الطفل كل المساحات الخالية داخل قلب تيتا. عند ذلك عرفت أنها أحبت من جديد: الحياة وهذا الطفل و ييدرو وبمن فى ذلك أختها، والتي كانت تكرهها منذ زمن طويل. أخذت الطفل بين يديها وحملته إلى روساورا وبكت كلتاها لبرهة وهما تضمانه. بعد ذلك، وتبعاً للتعليمات التى كانت تعطيها لها ناتشا فى أذنيها، عرفت تماماً كل الخطوات التى يجب عليها إتباعها: قطع الحبل السرى فى المكان والوقت المناسب، تنظيف جسم الطفل بزيت اللوز الحلو، تقييط السرة و إلباسه. وبدون أى مشكلة عرفت كيف تضع له أولاً الفانلة و القميص ثم القمط على السرة ثم الحفاض من القطن الناعم ثم آخر أكثر سمكاً ثم بعده فانلة طويلة لتغطية الساقين ثم القميص والشراب و الحذاء ثم أخيراً، وضعت يديه فوق صدره وربطتهما بواسطة طرحة ناعمة الملمس حتى لا يخدش وجهه. وعندما عادت فى الليل ماما إيلينا و تشينتشا ومعهما أسرة لوبو أعجبوا بالعمل المتقن الذى قامت به تيتا. وكان الطفل نائماً فى هدوء وهو ملفوف مثل قطعة خشب.

عاد ييدرو مع دكتور براون فى اليوم التالى بعد أن أطلقوا سراحه، أراحت عودتهما الجميع.

كانوا يخشون على حياته. أما الآن فلم يعد أمامهم سوى القلق على صحة روساورا، التى كانت ماتزال متوعكة و متورمة.

كشف عليها دكتور بروان بدقة . وعند ذلك شعروا بمدى خطورة عملية الولادة . وحسب الطبيب فإن روساورا عانت من تشنج نفاسي كان سيودي بحياتها . ولقد أبدى دهشته لأن تيتا استطاعت إسعافها بهذا القدر من رباطة الجأش والعزيمة في ظروف غير مواتية إلى حد ما . حسنٌ ، ولكن من يعلم ما الذي لفت نظره أكثر ، هل أن تيتا قد أعانت أختها وحدها وبدون أن تكون لديها أية خبرة أم أنه اكتشف فجأة أن تيتا ، تلك الطفلة التي كان يتذكرها بأسنانها الكبيرة ، قد تحولت إلى امرأة جميلة دون أن يلحظ ذلك ؟

فمنذ وفاة زوجته قبل خمس سنوات ، لم يشعر بميل إلى أية امرأة . فألم فقدان زوجته الذي وقع وهما حديثا الزواج جعله يفقد الإحساس بالحب طيلة تلك السنين . أي شعور غريب انتابه حين رأى تيتا . سرت في جسده قشعريرة موقظة ومنبهة لحواسه النائمة . كان يتأملها وكأنه يراها لأول مرة . كم تبدو له أسنانها الآن مناسبة ؛ إذ بلغت حجمها الحقيقي الملائم للإنسجام التام لقسمات وجهها الدقيقة والرقيقة .

قطع صوت ماما إيلينا أفكاره :

- دكتور ، هل يضايقك الحضور مرتين في اليوم حتى تجاوز ابنتي الخطر ؟

- بالطبع لا ! أولاً لأنه واجبي ، وثانياً لأنه يسرني التردد على منزلكم .

كان من حسن الحظ حقيقةً أن تشغل ماما إيلينا بصحة روساورا وألا تلاحظ بريق الإعجاب في نظرة جون وهو يتأمل تيتا، فلو كانت فعلت لما فتحت له أبواب بيتها بثقة.

لم يكن الدكتور آنذاك يمثل أي مشكلة لماما إيلينا، فكل ما كان يشغلها بشدة هو خلو ثدي روساورا من اللبن.

من يمن الطالع أنهم وجدوا في القرية مرضعة تولت إرضاع الطفل. كانت من قريبات ناتشا، وقد رزقت طفلها الثامن وقبلت برضى شرف تغذية حفيد ماما إيلينا. قامت بذلك على نحو رائع لمدة شهر، إلى أن جاء ذلك الصباح وكانت متجهة إلى القرية لزيارة أسرتها فأصابته رصاصة طائشة انطلقت من تراشق النيران بين المتمردين والفيدراليين وأصابته في مقتل. قدم أحد أقاربها ينعيها إلى المزرعة فيما كانت تيتا وتشينتشا تخطان في إناء كبير من الفخار مكونات المولية.

وهذه هي الخطوة الأخيرة، ويتم بعد طحن كل المكونات تماماً كما أُشير آنفاً. تخلط المواد في إناء وتضاف إليها قطع الديك الرومي والشيكولاتة والسكر حسب الطلب. وبعد أن تترسب ترفع على النار.

انتهت تيتا من إعداد المولية وحدها، لأن تشينتشا ذهبت من فورها وبمجرد أن سمعت الخبر، إلى القرية لمحاولة إيجاد مرضعة أخرى لابن أختها. لم تعد إلا ليلاً ودون أن تحقق ذلك. كان

الطفل يبكي في حلق. حاولن إعطائه لبناً بقرياً فرفضه. حاولت تيتا عندئذ إعطائه شايّاً كما كانت ناتشا قد فعلت معها لكن بلا طائل: رفضه الطفل تماماً. فجال بخاطرهما أن تضع اللثام الذي كانت نسيته لوبيتا المرضعة، معتقدة أن الطفل قد يهدأ عندما يشم الرائحة المألوفة المنبعثة منه، لكن حدث العكس، بكى الطفل على نحو أشد لأن تلك الرائحة كانت تبشره بقرب حصوله على غذائه دون أن يفهم سبباً لتأخره. كان يبحث في يأس عن لبنه بين ثديي تيتا. والشيء الوحيد الذي لم تكن تيتا تتحمله أن ترى جوعان يطلب طعاماً ولا تستطيع منحه له. كان ذلك يسبب لها ضيقاً شديداً. وحين فاق الأمر احتمالها فتحت تيتا بلوزتها وقدمت ثديها للطفل. كانت تعلم أنه جاف تماماً، ولكنه على الأقل كان سيفيده كحلمة ويشغله فيما تقرر هي ما سوف تفعله لكي تهديء من جوعه.

التقط الطفل الحلمة بيأس وامتنص وامتنص بقوة خارقة حتى استطاع استخراج لبناً من تيتا. عندما رأت هي الطفل يستعيد هدوء محياه شيئاً فشيئاً وسمعته يبتلع، ارتابت من حدوث شيء غريب. أمن الممكن أن يرضع الطفل منها؟ للتأكد من ذلك، أبعدت الطفل عن ثديها ورأت كيف ينبع منها سرسوب لبن. لم تستطع تيتا إدراك ما يحدث. فلا يمكن لفتاة لم تتزوج أن تدر لبناً. كان بالفعل أمراً خارقاً وبلا تفسير في ذلك الوقت. حين

شعر الرضيع بأنهم يبعدونه عن غذائه راح يبكي من جديد.
وسرعان ما تركته تيتا يمتصها إلى أن أشبع جوعه تماماً. ونام في
دعة كقديس. كانت مستغرقة في تأمل الطفل فلم تنتبه لدخول
بيدرو المطبخ. في تلك اللحظة كانت تيتا تجسد تماماً صورة
ثيريس، إلهة الغذاء.

لم يندهش بيدرو البتة، ولم يحتج إلى تفسير. اقترب منها
وهو مفتون ومبتسم، ومال على تيتا وقبلها في جبهتها. جذبت
تيتا ثديها من فم الطفل بعد أن أشبع جوعه، حينئذ رمقت عينا
بيدرو بشكل فعلي ما كانتا رأتاه من قبل تحت الملابس: نهدي
تيتا.

حاولت تيتا أن تغطي نفسها بالبلوزة وساعدها بيدرو في
صمت وبحنان شديد. عند القيام بذلك تمكنت منهما مجموعة من
المشاعر المتلاقية: حب ورغبة وحنان وشهوة وحياء... ورعب من
أن يُكتشف أمرهما. فوق خطوات ماما إيلينا فوق الأرضية
الخشبية حذرهما في الوقت المناسب من الخطر. تمكنت تيتا من
أن تصلح جيداً من بلوزتها وابتعد بيدرو عنها قبل أن تدخل ماما
إيلينا المطبخ بحيث إنها عندما فتحت الباب لم تجد ما يقلقها من
حيث ما تسمح به المعايير الاجتماعية. تظاهر بيدرو وتيتا برباطة
جأش كبيرة. ولا ريب من أنها اشتمت في الجو شيئاً جعلها
ترهف كل حواسها وتحاول اكتشاف ما كان يثير قلقها.

- تيتا، ماذا يحدث لهذا الطفل؟ هل نجحت في إطعامه؟

- أجل يا مامي، شرب شايه ونام.

- تبارك الله! ماذا تنتظر إذن يا بيدرو لحمل الطفل إلى امرأتك؟ لا يجب أن يظل الأطفال بعيداً عن أمهاتهم.

خرج بيدرو حاملاً الطفل بين ذراعيه؛ ولم تتوقف ماما أيلينا عن مراقبة تيتا بدقة فقد كان في عينيها وميض اضطراب لم يكن يعجبها بالمرّة.

- هل مشروب^(١٤) أختك معدّ؟

- أجل يا مامي.

- أعطيني إياه لكي أحمله إليها، فهي في حاجة إلى تناوله ليل نهار لكي يدر لبنها. فبالرغم من كم المشروب الذي تناولته لم تدر لبناً بعد.

في المقابل، كان بثدي تيتا في ذلك اليوم لبن كافٍ لتغذية ليس روبرتو وحده بل وطفلين آخرين، إن شاءت. ولما امتد وهن روساورا لعدة أيام لم يتعجب أحد لأن تيتا تتولى إطعام ابن اختها؛ وما لم يكتشفوه قط هي الطريقة التي كانت تنتهجها في

(١٤) ذكر اسم مشروب التشامبورادو EL CHAMPURRADO، وهو مزيج من المشروبات الروحية.

ذلك، إذ كانت تيتا، بمساعدة بيدرو، تحترس تماماً من أن يراها أحد.

وبذلك عزز الطفل ارتباطهما بدل أن يكون سبب فرقتهما فبدت تيتا هي أم الطفل وليس روساورا. كانت هي تشعر بذلك وتبديه. ففي يوم تعميده كم كانت فخورة وهي تحمل ابن شقيقته وترى لكل المدعوين! لم تستطع روساورا الحضور إلا إلى الكنيسة لأنها كانت لاتزال تشعر بالإعياء. لذا، احتلت تيتا مكانها في المائدة.

كان الدكتور جون براون ينظر إلى تيتا مفتوناً. لم يكن يستطيع أن يرفع عينيه عنها. لقد حضر جون حفل التعميد فقط لكي يرى هل سيتمكن من التحدث معها على انفراد. فبالرغم من أن كلاهما كان يرى الآخر يومياً أثناء الزيارات العلاجية التي كان جون يقوم بها لروساورا، لم تسنح لهما فرصة الحديث بحرية وبدون وجود شخص آخر. نهض مستغلاً أن تيتا كانت تسير بالقرب من المائدة التي كان يجلس إليها، واقترب منها بحجة رؤية الطفل.

- كم يبدو هذا الطفل جميلاً بجوار خالة بهذا الجمال!

- شكراً يا دكتور.

- إذا كان ذلك والطفل ليس ابنك فإنني أخال الجمال الذي

سأراه عندما يكون الطفل الذي تحملينه ابنك.

مرت سحابة حزن على وجه تيتا. اكتشفها جون وقال:

- معذرة، يبدو أنني قلت شيئاً غير مناسب.

- لا، ليس كذلك. كل ما في الأمر هو أنني لا أستطيع الزواج ولا أن يكون لي أولاد، لأن عليّ أن أرى أمي حتى وفاتها.

- لكن كيف! إن ذلك حمق.

- ولكنه هكذا. والآن أرجو المعذرة، سأذهب لأهتم

بضيوفي.

ابتعدت تيتا مسرعة، تاركة جون مرتبكاً تماماً. كانت هي أيضاً كذلك، ولكنها أفاقت في الحال عندما شعرت بروبرتو بين ذراعيها، ففيم يهملها قدرها طالما وجدت ذلك الطفل قريباً منها، وكان ملكاً لها قبل غيرها. لقد كانت تمارس بالفعل دور الأم بدون اللقب الرسمي. إن بيدرو وروبرتو ينتميان إليها، وهي لم تكن تحتاج في حياتها إلى أكثر من ذلك.

ومن فرط سعادتها لم تنتبه تيتا إلى أنها لم تغيب لحظة واحدة عن بصر أمها أو بصر جون وإن اختلف السبب. كانت الأم موقنة من أن شيئاً ما يشغل أمر تيتا وبيدرو. وفي محاولة استكناها لم تذوق الطعام وصرفت اهتمامها إلى مهمة المراقبة مما حال دون انتباهها إلى نجاح الحفل. كان الجميع متفقاً على أن

الفضل في جانب كبير من ذلك النجاح يعود لتيتا، فقد كان الموليه الذي أعدته لذيذاً! ولم تتوقف هي عن تلقي التهاني على جدارتها كطاهية، وكان الجميع يرغبون في معرفة السر. كان من المؤسف حقاً أنه في اللحظة التي كانت تيتا تجيب فيها بأن السر هو أنها أعدت الموليه بحب عميق، كان يبدرو على مقربة ونظر كل منهما إلى الآخر متذكرين معاً اللحظة التي كانت فيها تيتا تطحن مكونات الموليه في المدق ولكن حدة بصر ماما إيلينا، والتي كانت كحدة الصقر، اكتشفت من مسافة عشرين متراً ذلك البريق وضايقتها للغاية.

من بين جميع الحضور، كانت هي المستاءة الوحيدة، فبعد تناول الموليه انتابت الجميع حالة من الانتعاش فجاءت ردود أفعالهم على شكل شعور بسعادة غير عادية. كانوا يضحكون ويضحجون بصخب لم يعهدوه من قبل، وقد يمر وقت طويل قبل أن يتكرر. كان الكفاح الثوري يهدد بالجوع والموت أينما حل. لكن، في تلك اللحظات، لاح الجميع كأنهم يجتهدون لنسيان وجود تراشق النيران في القرية.

والوحيدة التي لم تفقد هدوءها هي ماما إيلينا التي كانت جد منشغلة بالبحث عن حل لحرقتها، قالت مستغلة لحظة كانت فيها تيتا على مقربة منها بحيث لن تفوتها كلمة مما يقال، قالت للأب إجناثيو بصوت عالٍ:

- نظراً لما يستجد من أمور يا أبانا، يساورني قلق من أن تحتاج ابنتي روساورا يوماً إلى الطبيب فلا نستطيع إحضاره، مثلما حدث يوم أن وضعت. أعتقد أنه من الأنسب أن تذهب عندما تقوى مع زوجها وطفلها لتعيش في سان أنطونيو بتكساس، مع ابن أخي. فهناك ستحصل على رعاية طبية أفضل.

- أنا لا أرى ما ترينه يا دونيا إيلينا، وبالأخص لما هو عليه الموقف السياسي، أنت في حاجة إلى رجل في البيت لحمايتك.

- لم أحتج به بالمرّة في شيء، لقد رعت وحدي المزرعة وبناتي. لا أهمية للرجال في الحياة إلى هذه الدرجة يا أبانا - ودعمت قولها- كما أن الثورة ليست خطيرة كما يصفونها. فالفلفل الحار يكون أسوأ في غياب الماء!

- نعم، ذلك حق! -أجاب ضاحكاً- آه، يالها من امرأة دونيا إيلينا! دائماً سريعة البديهة جداً. وأخبريني، هل فكرت بعد أين سيعمل بيدرو في سان أنطونيو؟

- يمكنه العمل كمحاسب في شركة ابن أخي، لن تكون لديه مشكلة فهو يتحدث الإنجليزية بإتقان.

دوت الكلمات التي سمعتها تيتا في رأسها كطلقات مدفع. لم يكن في وسعها أن تسمح بذلك. لا يمكنهم أن ينتزعوا الطفل منها. كان عليها أن تمنع ذلك بكل السبل. فجأة، نجحت ماما إيلينا في أن تفسد عليها الحفل، أول حفل تستمتع به في حياتها.

الفصل الخامس

مايو

سجق منه الشمال

المقادير:

٨ كجم من لحم ^(١٥) الفلتو - ٢ كيلو من قطع لحم الفلتو أو
أطرافه - كيلو جرام واحد من الفلف الأحمر الرومي -
٦٠ جم من الكمون - ٦٠ جم من الزعتر - ٣٠ جم من
حببات القرنفل - كويان من الثوم - لتران من خل التفاح -
١/٤ كجم من الملح أمعاء غنم ^(١٦)

(١٥) ذكر لحم خنزير.

(١٦) لم تذكرها المؤلفة في الكتاب.

طريقة المصنع

يوضع الخل فوق النار ويضاف إليه الفلفل الأحمر الحار العريض بعد أن تنزع منه البذور. وعندما يبدأ في الغليان يرفع من فوق النار ويوضع غطاء فوق الإناء لكي يطرى الفلفل.

وضعت تشيتشا الغطاء وأسرعت إلى الحديقة لمساعدة تيتا في البحث عن ديدان الأرض. فبين لحظة وأخرى ستصل ماما إيلينا إلى المطبخ لمراجعة عمل السجق وإعداد الماء لحمامها وكانتا متأخرتين في الأمرين. ومرد ذلك أن تيتا منذ أن ذهب بيدرو وروساورا والطفل للعيش في سان أنطونيو تكساس فقدت كل رغبة في الحياة ماعدا تلك التي كان يوقظها فيها فرخ حمام أعزل كانت هي تطعمه ديدان الأرض. فيما خلا ذلك لم يكن يهمها حتى لو انهدم البيت.

لم تكن تشيتشا تريد تخيل ما يمكن أن يحدث لو علمت ماما إيلينا أن تيتا لا تريد المشاركة في عمل السجق. وكن قررن

إعداده لكونه أفضل وسيلة لاستخدام لحم الخنزير بطريقة اقتصادية اذ كان يؤمن لهن غذاء جيداً لمدة طويلة بدون خطر أن يفسد. وأعددن أيضاً كمية كبيرة من اللحم المقدد وخبز الخنزير المملح وشحم الخنزير والسمن. كان عليهن الإفادة بقدر المستطاع من هذا الخنزير وهو من الحيوانات القليلة التي نجت من زيارة الجيش الثوري لهن قبل أيام.

ففي اليوم الذي وصل فيه الثوار، لم يكن بالمرعة سوى ماما إيلينا وتيتا وتشينتشا وعاملين: روساليو وجوادالوبي. أما نيكولاس الخولي فإنه لم يكن عاد بعد بالماشية، وكان نظراً إلى الحاجة الماسة قد ذهب لشرائها، فإزاء نقص الغذاء اضطروا إلى قتل الحيوانات التي لديهم واحداً تلو الآخر ولزم تعويضها. وكان اصطحب معه اثنين من أكثر العمال أمانة لمساعدته. وترك ابنه فيليبي لحراسة المزرعة لكن ماما إيلينا أعفته من المهمة وتولتها هي عنه ليتمكن فيليبي من الذهاب إلى سان أنطونيو تكساس بحثاً عن أخبار حول بيدرو وأسرته. فقد كانوا يخشون من أن يكون قد أصابهم مكروه لعدم الاتصال منذ ذهابهم.

جاء روساليو مسرعاً ليلغهم بأن قوة من العسكر تقترب من المزرعة، فحملت ماما إيلينا بندقيتها في الحال وبينما كانت تنظفها فكرت في إخفاء أكثر الأشياء التي تمتلكها قيمة عن جشع وشهوة هؤلاء الرجال. فلم تكن الشواهد التي أبلغت بها عن الثوار طيبة

بالمرة. ولم تكن بالطبع جديرة بأية ثقة؛ لأنها كانت صادرة من الأب إجناثيو ورئيس بلدية بيدراس نجراس. فقد عرفت عن طريقهما كيف كانوا يدخلون البيوت ويخربون كل شيء وكيف كانوا يغتصبون الفتيات اللاتي كن يجدونهن في طريقهم. لهذا إذن أمرت بأن تبقى تيتا وتشينتشا والخنزير في البدروم.

وعندما وصل الثوار وجدوا ماما إيلينا عند مدخل البيت. كانت تخفي بندقيتها تحت تنورتها وإلى جوارها روساليو وجوادالوبي. التقت نظرتها بنظرة الضابط الذي يتولى القيادة والذي فطن في الحال، من شراسة تلك النظرة، إلى أنهم أمام امرأة ينبغي الحذر منها.

- مساء الخير يا سيدتي، هل سيادتك صاحبة هذه المزرعة؟

- أجل. ماذا تريدون؟

- جئنا نطلب من سيادتك تعاونك، عن طيب خاطر، من

أجل القضية.

- وأنا أقول لكم، عن طيب خاطر، أن تحملوا ما تشاءون

من المؤن التي تجدونها في الشونة وفي الحظائر. ولكن ما بداخل

بيتي لا تلمسوه، مفهوم؟ فذلك يخص قضيتي الشخصية.

أدى لها القائد التحية مازحاً وأجابها:

- مفهوم يا سيادة القائد.

وقعت المزحة موقعاً حسناً من الجنود جميعاً وتغزلوها ولكن

القائد انتبه إلى أن المزاح لا يفيد مع ماما إيلينا، فقد كانت تتحدث بجدية، بجدية صارمة.

وفي محاولة للتصدي لنظرتها المتسلطة والحادة أمر بتفتيش المزرعة. لم يجدوا شيئاً ذا قيمة، قليل من الذرة بدون درس وثمانى دجاجات. اقترب أحد العسكر، ببالغ الضيق، من القائد وقال له:

- لا بد أن هذه العجوز تخفي كل شيء داخل المنزل، دعني أدخل لمراجعة ذلك!

أجابت ماما إيلينا وهي تضع إصبعها على الزناد:

- أنا لا أمزح وقلت لن يدخل أحد بيتي!

حاول الرقيب وهو يضحك ويؤرجح بعض الدجاجات التي كان يحملها في يده أن يتسجه نحو المدخل. رفعت ماما إيلينا البندقية واستندت إلى الحائط حتى لا تسقط على الأرض من الدفعة التي كانت ستلقاها وأطلقت النار على الدجاجات. انتشرت في كل الأنحاء قطع من اللحم ورائحة ريش محترق.

أخرج روساليو وجوادالوبي بندقيتيهما مرتعدين ومقتنعين تمام الاقتناع بأن ذلك كان آخر يوم لهما على الأرض. حاول الجندي الذي كان بجوار القائد إطلاق النار على ماما إيلينا، لكن القائد منعه بإشارة منه. كان الجميع في انتظار أمر منه بالهجوم.

- أنا ماهرة جداً في الرماية وسيئة الطبع جداً يا كابتن .
الطلقة القادمة ستكون من نصيبك ، وأؤكد لك أنني أستطيع
إطلاق النار عليك قبل أن يقتلونني ، وعليه فمن الأفضل أن يحترم
كل منا الآخر ، لأننا لو قُتلنا فلن يحتاجني أحد ، لكن المؤكد أن
الأمة سوف تأسف كثيراً لفقدك . أليس كذلك ؟

كان من الصعب حقيقةً تحمل نظرة ماما إيلينا حتى على
القائد . كان بها شيء يثير الرعب . وكان الأثر الذي تخلفه فيمن
يتلقاها هو خوف يفوق الوصف : كانوا يشعرون بأنهم حوكموا
وصدر ضدهم حكم لجرائم ارتكبوها . وكان الواحد منهم يقع
فريسة لخوف صبياني من سلطة الأم .

- أجل ، معك حق . لكن لا تقلقي ، لن يقتلك أحد أو
يفقدك احترامك . لم يبقَ سوى ذلك ! إن امرأة بهذه الشجاعة
تحوز دائماً إعجابي .

وقال متوجهاً إلى جنوده :

- لن يدخل أحد هذا البيت ، انظروا ما يمكن أن تجدوه هنا
وهيا بنا .

كان ما اكتشفوه هو برج الحمام الذي يحتل سطح واجهتي
المنزل الضخم . وللوصول إليه كان عليهم أن يتسلقوا سلماً طوله
سبعة أمتار . صعد ثلاثة من الثوار وظلوا مذهولين لمدة طويلة قبل
أن يستطيعوا الحركة . هالهم حجمه وظلمته وهديل الحمام

المجتمع هناك والذي كان يدخل ويخرج من كوات صغيرة جانبية. أغلقوا الباب والكوات حتى لا تستطيع أية حمامة الهروب وبدأوا في الإمساك بصغار الفرخ وبالحمام.

جمعوا كمية كبيرة تكفي لأطعام الكتيبة لمدة أسبوع. وقبل الانسحاب تفقد القائد وهو يمتطي جواده الفناء الخلفي واستنشق بعمق أريج الورد الذي لا ينمحي والذي كان لا يزال في المكان. أغمض عينيه ولبث على ذلك لبرهة طيبة. ولدى عودته إلى ماما إيلينا سألها:

- أعلم أن لديك ثلاث بنات، فأين هن؟

- الكبرى والصغرى تعيشان في الولايات المتحدة والأخرى ماتت.

بدا على القائد التأثر للخبر، فأردف بصوت لا يكاد يسمع:

- شيء مؤسف، مؤسف حقاً.

ودّع ماما إيلينا بانحناءة. وذهبوا بهدوء مثلما قدموا تماماً ولبثت ماما إيلينا في حيرة إزاء السلوك الذي اتبعوه معها والذي لم يكن ينتمي إلى سلوك السفاحين العتاة الذين كانت تنتظرهم. منذ ذلك اليوم، فضلت ألا تظن السوء بالثوار. وما لم تكن تعلمه مطلقاً هو أن ذلك القائد كان خوان أليخاندريس ذاته الذي أخذ قبل ذلك بشهور ابنتها خيرتروديس.

وما لم يكن القائد يعلمه بدوره أن ماما إيلينا دفنت في رماد
الجهة الخلفية من البيت كمية كبيرة من الدجاج كانت في متناول
يدهم. فقد استطعن ذبح عشرين دجاجة قبل وصولهم. يحشى
الدجاج بحبوب القمح أو الشوفان وتوضع الدجاجة بأكملها
وبريشها في إناء من الفخار المطلي. يغطى الإناء جيداً بقطعة
قماش وبهذه الطريقة يمكن حفظ اللحم في حالة جيدة لأكثر من
أسبوع. كانت هذه الطريقة معروفة في المزرعة منذ زمن بعيد
ومتبعة عند الحاجة إلى حفظ الطيور بعد عملية قنص.

كان أول ما استوحشته تيتا عند خروجها من مخبئها هديل
الحمام المستمر وكان منذ أن ولدت يمثل جانباً من حياتها اليومية.
ذلك الصمت المبالغ جعلها تشعر فجأةً بالوحدة. كانت تلك
اللحظة التي شعرت فيها تيتا بوطأة رحيل بيدرو وروساورا
وروبرتو عن المزرعة. صعدت بسرعة درجات السلم الكبير الذي
كان ينتهي إلى برج الحمام وكان الشيء الوحيد الذي وجدته
كمظهر للمكان بساطاً من الريش والقذارة.

كانت الريح تتسلل من الباب المفتوح، وتطير بعض الريش
فيقع فوق بساط من الصمت. فجأةً سمعت صوتاً خافتاً: كان
فرخاً صغيراً فقس حديثاً ونجا من المذبحة. أخذته تيتا واستعدت
للتزول ولكنها توقفت قبل ذلك لتشاهد لوهلة غيمة الغبار التي
خلفتها جياد الجنود عند رحيلهم. وتساءلت متعجبة عن سبب

عدم تعرض أمها لأي أذى . فقد كانت تصلي في مخبئها حتى لا يقع مكروه لماما إيلينا، ولكنها بلا وعي منها كانت تأمل أن تجدها لدى خروجها ميتة .

في خجل من تلك الأفكار، وضعت فرخ الحمام بين صدرها لكي تحرر يديها وتمسك جيداً بالسلم الخطير، ثم هبطت برج الحمام . ومنذ ذلك اليوم وشاغلها الأكبر إطعام الفرخ الهزيل . بهذه الطريقة فقط كان للحياة معنى . وهي لا تقارن بالمتعة التي كانت تشعر بها عند إرضاع طفل لكنها، بشكل ما، كانت تشبهها .

كان ثدياها قد جفا بين يوم وآخر من جراء الألم الذي سببه لها إبعاد ابن شقيقتها عنها . لم تكن تستطيع وهي تبحث عن الديدان التوقف عن التفكير فيمن وكيف تراه يطعم روبرتو . كان هذا التفكير يعذبها ليلاً ونهاراً . خلال شهر كامل، لم تستطع مصالحة النوم ولو للحظة . كان كل ما حققته خلال تلك الفترة هو مضاعفة حجم مفرش سريرها الكبير خمس مرات . جاءت تشينتشا لتخرجها من أفكارها المثيرة للشفقة ودفعتها دفعاً إلى المطبخ . أجلستها أمام المدق وجعلتها تطحن التوابل مع الفلفل الأحمر الحار . ولتسهيل هذه العملية من المستحسن أن نضع من حين لآخر قليلاً من الخل ونحن نقوم بالطحن . وأخيراً يخلط اللحم المفروم جيداً أو المهروس مع الفلفل والبهارات ويترك

ليترسب مدة طويلة وليكن طوال الليل .

كانت عملية إعداد حمام ماما إيلينا مثل الإعداد لاحتفالية .
إذ كان يلزم وضع الماء ليغلي مع زهور خيري البر وهي الرائحة
المفضلة لماما إيلينا . تلي ذلك مرحلة استخلاصها بقطعة قماش
نظيفة ثم تضاف إليها قطرات من الروم . وأخيراً يحمل هذا الماء
الساخن في إجانات خشبية واحدة تلو الأخرى حتى الحجرة
المظلمة وهي حجرة صغيرة تقع في نهاية البيت بجوار المطبخ .
وهذه الحجرة ، كما يشير اسمها ، لا تستقبل أي شعاع ضوء لأنها
بلا نوافذ . كان لها باب ضيق فقط . وبالداخل ، في وسط
الحجرة ، كان ثمة حوض خشبي كبير يوضع فيه الماء . وإلى
جانبه ، في إناء من القصدير ، يصب الماء مضافاً إليه "تشي"
تشي^(١٧) لغسيل شعر ماما إيلينا .

كانت تيتا فقط ، ومهمتها خدمة أمها حتى مماتها ، هي
الوحيدة التي تستطيع حضور ذلك الطقس ورؤية أمها عارية . ولا
أحد غيرها . من أجل ذلك صنعت تلك الحجرة للتصدي لمحبي
الاستطلاع . كان على تيتا أن تغسل أولاً جسم أمها ثم شعرها
وأخيراً تتركها للحظات للراحة مستمتعة بالماء ، بينما تقوم هي بكي
الملابس التي سترتيديها ماما إيلينا عند خروجها من الحوض
الخشبي .

(١٧) صنف من الصابون .

وبأمر من أمها تساعدتها تيتا في تجفيف جسدها وفي ارتداء ملابسها الدافئة تماماً في أسرع وقت ممكن تفادياً لنزلات البرد. بعد ذلك كانت تفتح الباب مليمتراً واحداً حتى تبرد الحجرة تدريجياً فلا يتأثر جسم ماما إيلينا لأي تغيير مفاجيء في درجة الحرارة؛ فيما تمشط تيتا لها شعرها وهي لا ترى سوى على ضوء الشعاع الخافت الذي يتسرب من فتحة الباب الضيقة والذي كان يخلق جواً من السحر بإظهاره الأشكال الوهمية لبخار الماء. كانت تمشط لها شعرها إلى أن يجف تماماً، عندئذ كانت تصنع لها ضفيرة وينتهي الطقس. كانت تيتا تشكر الله دائماً لأن ماما إيلينا لم تكن تستحم سوى مرة واحدة في الأسبوع وإلا لكانت حياتها عذاباً حقيقياً.

وكانت ماما إيلينا ترى أن ما يحدث في الاستحمام يحدث في الطعام، فكلما اجتهدت تيتا ارتكبت عدداً لانهائياً من الأخطاء. فإما أن تكون بالقميص تجعيدة صغيرة أو لا يكون الماء ساخناً بالقدر الكافي أو أن خط الضفيرة ليس مستقيماً؛ عموماً، يبدو أن فضيلة ماما إيلينا الوحيدة هي إيجاد العيوب. غير أنها لم تجد في حياتها كماً مثل ذلك اليوم. والحق أن تيتا كانت قد أهملت بالفعل كل تفاصيل تلك الطقوس. فكان الماء شديد السخونة فتحرقت قدما ماما إيلينا عندما وضعتهما فيه، كما أنها نسيت إحضار الـ "تشي تشي" لغسل الشعر وأحرقت البطانة

والقميص الداخلي وفتحت الباب أكثر من اللازم، وفي النهاية، وصلت بالفعل إلى درجة أن ماما إيلينا قامت بزجرها وطردها من حجرة الحمام.

اتجهت تيتا بسرعة نحو المطبخ وهي تحمل تحت ذراعها الملابس المتسخة وتتنحب بسبب الزجر وإخفاقاتها الجسيمة. كان أشد ما يؤلمها هو العمل الإضافي الذي يستتبع إحراقها للملابس. كانت المرة الثانية في حياتها التي يقع لها فيها هذا النوع من سوء الحظ. فالآن عليها أن تبلل البقع الضاربة للحمرة بمحلول كلورات البوتاسا والماء المقطر ومحلول قلوي مخفف ويتم الدحك المتكرر حتى تزول البقعة، وعليها أيضاً أن تضيف إلى هذا العمل الشاق غسل الملابس السوداء التي كانت ترتديها أمها، وللقيام بذلك كان عليها إذابة مرارة بقرة في كمية صغيرة من الماء المغلي وتغمر إسفنجة ناعمة في هذا الماء وتبلل بها الملابس كلها، ثم تشطف الملابس مباشرة بالماء النظيف. كانت تيتا تدحك وتدحك الملابس كما كانت تفعل من قبل مع غيارات روبرتو لإزالة البقع منها. كانت تفعل ذلك بغلي كمية من البول و تغمر فيها البقعة للحظة ثم تشطفها بالماء. وهكذا بكل بساطة كانت تختفي البقع. ولكنها الآن بالرغم من كثرة ما غمرت الغيارات في البول لم تستطع إزالة ذلك اللون الأسود الفظيع، ولكنها سرعان ما انتبهت إلى أنها ليست حفاضات روبرتو وإنما ملابس أمها. لقد ظلت

تغمرها في المبولة التي نستها منذ الصباح بجانب حوض الغسيل دون أن تنظفها. بدأت في تصحيح خطئها وهي مغمومة.

زمت تيتا، عندما أقامت أسباب معيشتها في المطبخ، على الاهتمام أكثر بما تقوم به. كان عليها أن تضع حداً للذكريات التي كانت تعذبها أو لشدة غضب ماما إيلينا التي كان يمكن أن تنفجر بين لحظة وأخرى.

كانت تيتا قد تركت خلطة السجق لترسب منذ أن بدأت في إعداد حمّام ماما إيلينا لذا كان قد مر وقت كافٍ لأجل البدء في حشو الأمعاء.

يجب أن تكون أمعاء الغنم نظيفة ومملحة. ولحشوها يستخدم قمع. تُربط جيداً على أبعاد أربعة أصابع وتوخز بأبرة لإخراج الهواء لأنه يمكن أن يفسد السجق. مهم جداً ضغطه جيداً أثناء الحشو حتى لا يبقى فراغ.

بالرغم من إصرار تيتا على تفادي أن تحضرها الذكريات وتجعلها ترتكب أخطاء أخرى، لم تستطع تجنبها، وفي يدها قطعة كبيرة من السجق، وتذكرت ليلة الصيف التي خرج فيها الجميع للنوم في صحن البيت. ففي أيام القيظ، كانوا يعلقون في صحن البيت شبكات كبيرة للنوم، إذ كان الحر لا يطاق، ويوضع فوق منضدة دن مليء بالثلج ويدخله بطيخة مقطعة حتى إذا ما قام أحد في منتصف الليل وهو حيران وأراد أن يتعش فبوسعه تناول

شريحة . كانت ماما إيلينا خبيرة بتقطيع البطيخة : كانت تدخل طرف سكين مسنون في البطيخة بحيث يولج فقط إلى حيث ينتهي الجزء الأخضر من قشرتها تاركة قلب البطيخة دون أن يمس .

كانت تحدث عدة قطوع في القشرة بإتقان محسوب بحيث أنها ما إن تنتهي كانت تحمل البطيخة في يدها وتخبطها خبطة واحدة فوق قطعة حجر ولكن في المكان المناسب بالضبط ، وبطريقة سحرية كانت قشرة البطيخة تتفتح مثل بتلات زهرة تاركة قلبها سليماً على المنضدة . ومما لا شك فيه أنه فيما يتعلق بالتقطيع والهدم وقطع الأوصال والتدمير والفظام والعقر والتحطيم وعزل أي حيوان عن أمه كانت ماما إيلينا أستاذة . فمنذ أن ماتت ماما إيلينا لم يستطع أحد أن يعود إلى فعل تلك المأثرة (مع البطيخ) .

سمعت تيتا من أعلى شبكة نومها كما لو أن أحداً قد نهض ليتناول شريحة من البطيخ . أما هي فقد أيقظتها الرغبة في الذهاب إلى دورة المياه . كانت احتست بيرة طوال النهار ، ليس للتخفيف من الحر وإنما لتدر لبناً أكثر لإرضاع ابن أختها .

كان هذا ينام في هدوء بجوار أختها . نهضت تتلمس الطريق أمامها ، لم تكن تستطيع تمييز أي شيء ، كانت ليلة مظلمة تماماً . سارت باتجاه الحمام محاولة أن تتذكر موضع الشبكات فلم تكن ترغب في أن تتعثر بأحد .

كان بيدرو جالساً في شبكته يتناول شريحة البطيخ ويفكر في تيتا. فقد كان قريبها يصيبه ببالغ الالتهاب. لم يكن يستطيع النوم وهو يتخيلها هناك على بعد خطوات منه. . . ومن ماما إيلينا، بالطبع. توقف تنفسه للحظات لدى سماعه وقع خطوات في الظلام، لابد أنها تيتا، فالتفت للخاص الذي شاع في الجو ما بين ياسمين وروائح المطبخ لا يمكن أن ينتمي إلا إليها فقط. اعتقد لبرهة أن تيتا قامت تلمسه. امتزج وقع خطواتها وهي تقترب منه بدقات قلبه الذي كان ينبض بشدة. لكن لا، إن الخطوات لتبتعد الآن صوب الحمام. نهض بيدرو مثل قط وبدون أن يحدث أي صوت لحق بها.

فوجئت تيتا عندما شعرت بأن أحداً يجذبها ويغطي فمها ولكنها تنبهت بسرعة إلى من تنتمي تلك اليد وسمحت لها بلا أدنى مقاومة أن تنساب أولاً عبر رقبتها حتى نهديها ثم بامتنان كامل عبر كل جسدها. وبينما كانت تتلقى قبلة في فمها أخذت يد بيدرو يدها ودعتها إلى تعرف جسده. تلمست تيتا بخجل عضلات ذراعي وصدر بيدرو القوية. ثم، إلى أسفل أكثر، كانت جذوة مشتعلة تخفق تحت الملابس. جذبت يدها منزعجة ليس بسبب الاكتشاف بل لصيحة من ماما إيلينا.

- تيتا، أين أنت؟

- هنا يا مامي، جئت إلى الحمام.

وخشية أن تشك أمها في شيء، عادت تيتا بسرعة وأمضت ليلة من العذاب متحملة الرغبة في التبول المصحوبة بشعور آخر مشابه. ولكن تضحياتها لم تفدها في شيء. ففي اليوم التالي قامت ماما إيلينا، التي اعتقد لفترة أنها غيرت رأيها فيما يتعلق بذهاب بيدرو وروساورا للعيش في سان أنطونيو بتكساس، بالإسراع من الرحيل وخلال ثلاثة أيام نجحت في أن يرحلوا عن المزرعة.

طرد دخول ماما إيلينا المطبخ الذكريات. وتركت تيتا السجق يسقط من يدها. كانت ترتاب من قدرة أمها على قراءة أفكارها. دخلت خلفها تشيئتشا وهي تبكي بحزن.

- لا تبكي يا بنتي! تؤلني رؤيتك تبكين. ما الذي جرى؟

- لقد جاء فيليبيه وقال إنه مات.

- ماذا تقولين؟ من الذي مات؟

- الطفل!

- أي طفل؟

- من سيكون؟ حفيدك. كان كل ما يأكله يؤلمه. وعليه فقد

مات.

شعرت تيتا بضربة فوق رأسها وسقطت. وبعد الخبطة،

صوت أطباق تتكسر إلى ألف قطعة كالمدفوعة من زنبرك.

- اجلسي للعمل ولا أريد دموعاً. مسكين يا صغيري،
عسى الله يشمله في جنته، ولكننا لا يجب أن نجعل الحزن يتتصر
علينا، فأمامنا الكثير من العمل. انتهي أولاً منه ثم افعلي ما
تشائين إلا البكاء، أسمعني؟

شعرت تيتا بهياج شديد يسيطر على كيائها. واجهت بثبات
نظرة أمها وهي تربت على السجق وبعد ذلك، بدلاً من أن
تطيعها، حملت السجق الذي كان أمامها ومزقته إرباً وهي تصيح
بجنون.

- انظري ما أفعل بأوامرك! لقد سئمت! لقد سئمت من
طاعتك!

اقتربت ماما إيلينا والتقطت ملعقة خشبية ولطمت بها
وجهها.

- أنت المسئولة عن موت روبرتو! صرخت فيها تيتا وهي
خارج وعيها وخرجت وهي تجرى، مجففة الدماء التي كانت
تسيل من أنفها ؛ اخذت فرخ الحمام ووعاء الديدان وصعدت إلى
برج الحمام.

أمرت ماما إيلينا برفع السلم وبتركها تمضي طوال الليل
هناك. وأكملت ماما إيلينا وتشينتشا حشو السجق في صمت.
وبرغم درجة اتقان ماما إيلينا و الاهتمام الذي كانت توليه دائماً

حتى لا يتبق هواء داخل السجق، كان أمراً بلا تفسير بحق لدى الجميع عندما وجدوا بعد اسبوع أن الديدان قد غزت السجق في مخزن المؤن حيث وضع ليحف.

وفي اليوم التالي أمرت ماما إيلينا تشييتشا بإنزال تيتا. لم تكن ماما إيلينا تستطيع القيام بذلك فالشيء الوحيد الذى كانت ماما إيلينا تخشاه فى حياتها هو الخوف من الإرتفاعات. لم تكن تتحمل حتى التفكير فى أن عليها الصعود على سلم طوله سبعة أمتار، وأن تفتح للخارج الباب الصغير لكى تستطيع الدخول. وكانت عليها بالطبع أن تتظاهر بالكبرياء أكثر مما تمتلك، وأن ترسل شخصاً آخر لإنزال تيتا بالرغم من أنها كانت تقتلها الرغبة فى الصعود بنفسها وانزالها جراً من شعرها.

وجدتها تشييتشا وفرخ الحمام بين يديها. كان يبدو أن تيتا لم تنبته إلى انه قد مات. كانت تحاول اطعامه ديداناً أكثر. يبدو أن المسكين قد مات من التخممة لأن تيتا أطعمته أكثر من اللازم. كانت نظرة تيتا تائهة وكانت تنظر إلى تشييتشا وكأنها تراها لأول مرة فى حياتها.

هبطت تشييتشا وهى تقول إن تيتا تبدو كالمجنونة وأنها لاتريد مغادرة برج الحمام.

- حسناً جداً، إذا كانت مجنونة فسوف تنتهى بمستشفى المجانين. فلا مكان فى هذا البيت لمخايل!

وبالفعل قامت فوراً بإرسال فيليبيه ليحضر دكتور بروان ليحمل تيتا إلى مستشفى للأمراض العقلية. جاء الدكتور وسمع الرواية حسب رؤية ماما إيلينا و استعد لصعود البرج.

وجد تيتا عارية وانفها مكسور وكل جسدها مغطى بقاذورات الحمام. وقد التصق بعض الريش بجلدها و شعرها. وما أن رأت الدكتور حتى جرت إلى ركن وأخذت وضع القرفصاء.

لم يعرف أحد كم ما قاله لها دكتور بروان خلال الساعات التي أمضاها معها ولكنه هبط بتيتا في المساء و هي بملابسها ووضعها في عربته و ذهب بها.

استطاعت تشييتشا بالكاد و هي تجرى وتبكي بجوارهما، أن تضع لتيتا على اكتافها المفرش الهائل الذي غزلته في ليالى الأرق التي كانت بلا نهاية. كان كبيراً وثقيلاً لدرجة أن العربة لم تكفيه. تشبثت تيتا به بقوة بحيث لم يكن هناك أى وسيلة إلا حمله جراً مثل ذيل فستان عروس ضخمة متغير الألوان غطى طوله كيلومتراً كاملاً. ولأن تيتا كانت تستخدم فى غزل مفرشها ما يقع بين يديها من صوف دون أن يهتمها اللون، فإن المفرش كان يمثل خليطاً من الألوان والنسج والأشكال التي كانت تظهر وتختفى بشكل يشبه الفن السحري، بين غيمة الغبار الهائلة التي كان يثيرها فى طريقه.

الفصل السادس

يوني

عجينة لصنع أعواد الثقاب

المقادير:

أوقية من ملح البارود المطحون - $\frac{1}{2}$ أوقية من أكسيد
الرصاص الأحمر (سلاقون) - $\frac{1}{2}$ أوقية من الصمغ
العربي المطحون - درهم واحد من الفسفور - زعفران -
كرتون

طريقة المصنة

أذب الصمغ العربي في ماء ساخن حتى يصير عجينة لينة، يضاف إليها بعد ذلك الفوسفور ويذاب فيها كذلك ملح البارود المطحون. ثم يضاف السلاقون بالقدر الذي يعطيها لوناً.

كانت تيتا تراقب في صمت الدكتور براون وهو يقوم بهذه الخطوات. كانت تجلس بجانب نافذة معمل صغير للدكتور يقع في الجانب الخلفي من صحن البيت. كان الضوء المتسرب من النافذة يسقط على ظهرها وينفحها شعوراً بالدفء. كان خائياً ولا يكاد يُحس به. كان شعورها المزمّن بالبرد لا يسمح لها بالدفء بالرغم من أنها تتدثر بغطائها الصوفي الثقيل. كانت تتابع الغزل من أحد طرفيه بصوف أحضره لها جون.

من بين أرجاء المنزل، كان ذلك المكان المفضل لكليهما. وكانت تيتا اكتشفته بعد أسبوع من وصولها إلى بيت الدكتور جون براون. وكان جون، بدل أن يودعها مصحة عقلية، قد أخذها

لتعيش معه . لم تكف تيتا قط عن شكره لذلك . إذ كان محتملاً أن تنتهي في المصلحة العقلية إلى الجنون بالفعل . غير أنها ، بكلمات جون الدافئة وسلوكه معها ، راحت تشعر بتحسن يوماً بعد يوم . وكانت تتذكر وصولها إلى البيت . كالخلم . كانت تحتفظ في ذاكرتها بصور مطموسة للألم الشديد الذي شعرت به عندما أعاد الدكتور أنفها إلى مكانه . ثم يدي جون ، الكبيرتين والحائيتين ، وهما تخلعان ملابسها وتحميَّانها ؛ ثم تزيلان بكل الحرص عن جسدها قاذورات الحمام لتصبح نظيفة ومعطرة . كما أنهما ، في النهاية ، صففتا شعرها في لين وأنامتاها في سرير بملاءات منشة .

إن هاتين اليدين أنقذتاها من الرعب وهي لن تنسى ذلك أبداً .

يوماً ما ، عندما تصبح لديها الرغبة في الكلام ، فإنها تفضل الإفصاح لجون عن ذلك ؛ أما الآن فتفضل الصمت . كان لديها الكثير من الأمور التي عليها أن ترتبها في ذهنها ولا تجد الكلمات للتعبير عما كان يختمر في داخلها منذ أن تركت المزرعة . كانت تشعر بأنها مشوشة . ففي الأيام الأولى لم ترد حتى الخروج من حجرتها ؛ وكانت تحمل إليها الطعام إلى هناك كاتي ، وهي سيدة أمريكية في السبعين من عمرها ، كانت إضافة إلى تولي أمور المطبخ تسهر على رعاية أليكس ، الابن الصغير للدكتور . فقد

ماتت أمه عند ولادته . كانت تيتا تسمع أليكس يضحك ويجوب
الفناء ركضاً ولا ترغب في التعرف عليه .

أحياناً، لم تكن تيتا حتى تذوق الطعام، كان ماسخاً ولا
يعجبها . كانت تفضل على الأكل قضاء ساعات طويلة تنظر إلى
يديها . كانت تتأملهما كطفل وتسلم بأنهما يداها . كانت تستطيع
تحريكهما كما تشاء ولكنها لم تكن تعرف بعد ماذا تفعل بهما،
فضلاً عن الغزل . لم يكن أمامها وقت من قبل للتوقف والتفكير
في مثل هذه الأشياء . فبجوار أمها كان ما على يديها أن تفعله
محددًا بجفاء، بلا أدنى شكوى . كان عليها الاستيقاظ وارتداء
ملابسها وإشعال النار في المدفأة وإعداد الإفطار وإطعام البهائم
وغسل الأواني وترتيب الأسرة وإعداد الغداء وغسل الأواني وكي
الملابس وإعداد العشاء وغسل الأواني، يوماً بعد يوم، عاماً بعد
عام . دون التوقف لحظة ودون التفكير فيما إذا كان ذلك
يناسبهما . وعند رؤيتهما الآن متحررتين من أوامر أمها لم تكن
تعرف ماذا تطلب منهما أن تفعلاه، فلم تكن هي قد قررت ذلك
قط . كانتا تستطيعان القيام بأي شيء أو التحول إلى أي شيء .
لو تستطيعان التحول إلى طائر وتحلّقان! كانت تريد أن تحملها
بعيداً، إلى أعلى ارتفاع ممكن . اقتربت من النافذة المظلة على
الفناء ورفعت يديها إلى السماء، كانت تريد الهروب من نفسها،
لم تكن ترغب في العودة إلى الكلام . لم تكن ترغب في أن
تصرخ كلماتها بألمها .

رغبت من كل قلبها أن تعلو يداها. ظلت فترة طويلة هكذا وهي ترى الخلفية الزرقاء للسماء من خلف يديها الساكنتين. اعتقدت تيتا أن المعجزة تتحول إلى حقيقة عندما لاحظت أن أصابعها بدأت في التحول إلى بخار خفيف يرتفع في السماء. تأهبت للصعود تجذبها قوة عليا، ولكن لا شيء من ذلك حدث. اكتشفت، يائسة، أن الدخان لم يكن يخصها.

كان الدخان صادراً من حجرة صغيرة في نهاية الفناء. كانت مدخنة تشر في الجو رائحة زكية للغاية ومألوفة في نفس الوقت جعلتها تفتح النافذة حتى تتمكن من استنشاقها بعمق. رأت نفسها وهي مغمضة العينين جالسة بجوار ناتشا في حجرة المطبخ وهما تصنعان عجة الذرة: رأت الإناء؛ حيث كان يطهى به أكلة من أزكى الروائح وكانت بجانبها الفاصوليا تطلق أول غليان لها. . . . وبلا تردد قررت الذهاب للبحث عن كان يطهو. لم يكن الأمر يتعلق بكاتي. فالشخص الذي كانت تنبعث من طهوه تلك الرائحة كان يجيد الطهو بالفعل. كانت تيتا تشعر بأنها وجدت نفسها في ذلك الشخص دون أن تراه، أياً كان.

عبرت الفناء بعزم، فتحت الباب فوجدت امرأة لطيفة في حوالي الثمانين من عمرها. كانت شديدة الشبه بناتشا، وتغطي رأسها ضفيرة هجين طويلة وتمسح عرق جبهتها بمرولتها. كان لوجهها ملامح واضحة لأهل البلد الأصليين. كانت تغلي شاياً في إناء من الفخار.

رفعت بصرها وابتسمت لها بلطف داعية إياها للجلوس بجوارها. فعلت تيتا ما طلبت. قدمت لها في الحال فنجاناً من ذلك الشاي اللذيذ.

احتسته تيتا على مهل، مستمتعة إلى أقصى حد بمذاق تلك الأعشاب المجهولة والمعروفة في نفس الوقت. يا للإحساس الشديد بالمتعة الناشيء عن حرارة وطعم هذا المنقوع.

لبثت وقتاً طويلاً بجوار هذه السيدة. لم تكن هي الأخرى تتحدث، بيد أن ذلك لم يكن ضرورياً. فمنذ البداية قام بينهما اتصال مداه أبعد من الكلمات.

كانت تزورها يومياً منذ ذلك اليوم. ولكن، شيئاً فشيئاً، بدأ الدكتور براون يظهر بدلاً منها. تعجبت لذلك في المرة الأولى. فلم تكن تنتظر أن تجده هناك ولا التغيرات التي أحدثها في ديكور المكان.

توجد الآن أجهزة علمية كثيرة، أنابيب اختبار، مصابيح، ترمومترات، إلخ. فقدت المدفأة مكانها المعتاد لتحتل حيزاً صغيراً في ركن من الحجرة. شعرت بأن إهمال المدفأة على ذلك النحو لم يكن من الصواب في شيء لكنها، لعدم رغبتها في أن تحدث شفتها أدنى صوت، احتفظت برأيها في هذا الأمر إلى ما بعد بجانب السؤال عن مكان وهوية هذه المرأة. وكان عليها أيضاً أن تعترف بأنها كانت تستمتع كثيراً برفقة جون. كان الفارق الوحيد

أنه كان بالفعل يتكلم، وبدلاً من الطهي كان يجرب نظرياته علمياً.

كان قد ورث هواية إجراء التجارب هذه عن جدته، وهي هندية من كيكابو كان جده اختطفها وحملها للعيش معه بعيداً عن قبيلتها. وبالرغم من كل شيء ومن أنه تزوج منها، لم تقبلها قط عائلة الجد الأمريكية الخالصة والمتغترسة كزوجة شرعية. عندئذ بنى لها الجد هذه الحجرة في الجانب الخلفي من البيت حيث كان بمستطاع الجدة أن تمضي معظم فترة النهار في القيام بالنشاط الذي يشغل اهتمامها أكثر: إجراء التجارب على الخواص العلاجية للنباتات.

كما كانت هذه الحجرة ملجأً لها من إهانات أسرته. وفي مقدمة هذه الإهانات أنهم أطلقوا عليها لقب "الكيكابو" بدلاً من أن ينادوها باسمها الحقيقي، معتقدين بذلك أنهم سوف يضايقونها بشدة. وبالنسبة إلى عائلة براون، كانت كلمة "كيكابو" تشمل كل ما هو كريه في هذا العالم، ولكنها لم تكن كذلك عند "ضوء الفجر". كانت تعني لها العكس تماماً وكانت مدعاة لبالغ الفخر.

كان هذا مثلاً بسيطاً للاختلاف الكبير في الآراء والمفاهيم بين ممثلي ثقافتين على درجة كبيرة من التباين كانت تحول دون شعور عائلة براون بالرغبة في مقارنة عادات وتقاليدها "ضوء

الفجر". كان يجب أن تمر سنوات قبل أن يولجوا قليلاً في ثقافة الـ "كيكابو". وكان ذلك حين أصيب بيتر، جد جون لأبيه، بمرض شديد في الشعب الهوائية. كانت نوبات السعال تحيل لونه دائماً إلى البنفسجي. لم يكن السهواء يدخل رثتيه بسهولة. وكانت زوجته ماري، الملمة بالمعارف الطبية لكونها ابنة طبيب، تعلم أن جسم المريض في مثل هذه الحالات ينتج أكبر قدر ممكن من كرات الدم الحمراء؛ ولمقاومة هذا القصور كان يُنصح بفصد الدم للحيلولة دون الإصابة بذبحة أو جلطة؛ لأن أياً منهما قد تؤدي بحياة المريض.

عندئذ، بدأت ماري جدة جون في إعداد العلق الذي ستقوم به بعمل بذلٍ لزوجها. كانت تشعر وهي تقوم بذلك بزهو كبير لكونها ملمة بأفضل المعارف العلمية والتي تسمح لها برعاية صحة أسرتها بطريقة حديثة ومناسبة، وليس بالأعشاب مثل الـ "كيكابو"!

يوضع العلق في كوب مع ٩ مم ٣ ماء لمدة ساعة. وتغسل منطقة الجسم التي سوف يبذل منها الدم بماء فاتر مسكر. في أثناء ذلك يوضع العلق في قطعة قماش نظيفة من الكتان أو القطن وتلف به. ثم توضع فوق المنطقة التي سوف يعلقون منها مع سندها جيداً بقطعة القماش ومحاولة ضبطها حتى لا تلدغ في مكان آخر. وإذا كانت هنالك رغبة بعد نزعها في سحب دماء

أخرى فيتم ذلك عن طريق التدليك بماء ساخن . ولوقف الدم والتّام الشقوق فإنها تغطى بصوفان الحور أو بقطعة قماش ثم توضع لبخة من لبابة الخبز والحليب ولا ترفع إلا بعد أن تكون التشققات قد التّامت تماماً .

فعلت ماري كل ذلك حرفياً ولكنهم عندما رفعوا العلق عن ذراع بيتر بدأ يثرّف ولم يتمكنوا من وقف التزيف . وحين سمعت الـ "كيكابو" صيحات اليأس المنبعثة من البيت أسرع لتري ما يجري . وفي لحظة اقتربت من المريض وما إن وضعت إحدى يديها على الجروح حتى توقف التزيف . بقي الجميع في ذهول . حيثذ رجّتهم أن يتركوها وحدها مع المريض . لم يجرؤ أحد على الرّفص بعد ما شاهدوه لتوهم . أمضت طوال المساء بجوار حميها وهي تغني له أغنيات غريبة وتضع له لبخة من الأعشاب بين دخان البخور والكوباليه التي أشعلتها . مكثت حتى جن الليل ثم فتحت باب حجرة النوم وخرجت محوطة بسحب من البخور؛ وظهر خلفها بيتر وهو معافى تماماً .

منذ ذلك اليوم أضحت الـ "كيكابو" طبيبة العائلة واعترُف بها تماماً كشافية لها معجزاتها بين الجالية الأمريكية . أراد الجد أن يبني لها مكاناً أكبر لإجراء تجاربها لكنها رفضت . فلم يكن هنالك مكان في البيت أسمى من عملها الصغير . وأمضى جون فيه الجزء الأكبر من طفولته وفترة المراهقة . وعندما دخل الجامعة كف

عن التردد عليه وذلك لأن النظريات الحديثة التي كانوا يدرسونها له هناك كانت تتعارض بشكل كبير مع نظريات جدته ومع ما تعلمه هو منها. وحمل تقدم الطب جون إلى العودة شيئاً فشيئاً إلى المعارف التي لقنتها له جدته في بداياته، والآن، وبعد سنوات كثيرة من العمل والدراسة، كان يعود إلى المعمل مقتنعاً بأنه هناك فقط سوف يجد آخر ما توصل إليه الطب وهو شيء يمكن أن يكون من المعارف العامة ولكنه كان يستطيع أن يختبر علمياً كل الوسائل العلاجية المعجزة التي كانت "ضوء الفجر" قد حققتها.

كانت تيتا تستمتع للغاية برؤيته وهو يعمل. فكانت معه تجد دائماً أشياء لتعلمها واكتشافها. مثلما حدث الآن، فكان وهو يصنع أعواد الثقاب يعطيها درساً بكل أستاذية في الفوسفور وخواصه.

- في عام ١٦٦٩ اكتشف براندت، وهو كيميائي من هامبورج، الفوسفور أثناء بحثه عن أكسيد حجر الفلاسفة. كان يعتقد أنه باتحاد خلاصة البول مع معدن ما يمكن تحويله إلى ذهب. ولكن ما حصل عليه كان جسماً مضيئاً إضاءة ذاتية، كان يسطع بنشاط غير معروف وقتئذ. وبعد وقت طويل تم الحصول على الفوسفور بالتكليس الشديد لبقايا بخار البول في أنبوب ملتوٍ من الطين كان يغمر عنقه في الماء. أما اليوم فيستخرج من عظام الحيوانات التي تحتوي على أكسيد الفوسفور والكلس.

لم يكن الطبيب يغفل ، لكونه يتحدث ، عملية تحضير الفوسفور . وكان يفصل النشاط الذهني عن الفيزيائي بلا أي مشاكل . كان يستطيع حتى التفلسف في مظاهر عميقة جداً في الحياة دون أن تخطيء يده أو تتوقفا لحظة . وبذلك يستطيع مواصلة عملية تصنيع الثقاب وهو يتحدث مع تيتا .

- وبعد الحصول على عجينة الفوسفور فإن الخطوة التالية هي تحضير الكرتون لعيدان الثقاب . يذاب في حوالي نصف لتر من الماء رطل من ملح البارود ويضاف إليه قليل من الزعفران ليكسبه لوناً ويتم غسل الكرتون في المحلول . عندما يجف يقطع إلى أشرطة صغيرة يوضع في أطرافها قليل من العجين . ثم تترك لتجف مدفونة في الرمل .

وبينما كانت الأشرطة الصغيرة تجف قام الطبيب بتجربة لتيتا .

- بالرغم من أن الفوسفور لا يحترق مع الأكسجين في درجة الحرارة العادية ، فإنه قابل للاشتعال بسرعة كبيرة في درجة حرارة مرتفعة ، انظري . . .

ادخل الدكتور قطعة صغيرة من الفوسفور داخل أنبوب مغلق من أحد طرفيه وملئ بالزئبق . ثم صهر الفوسفور بتقريب الأنبوب من شعلة شمعة . ثم بعد ذلك بواسطة ناقوس تجارب

ملئ بغاز الأكسجين قام بإمرار الغاز إلى الناقوس قليلاً قليلاً .
وعندما وصل غاز الأكسجين إلى المنطقة العليا من الوعاء حيث
يوجد الفوسفور المصهور، حدث احتراق نشط وخاطف، خطف
بصرهما كما لو كان برقاً.

- كما ترين، كلنا نملك في داخلنا العناصر اللازمة لإنتاج
الفوسفور. بل دعيني أخبرك بشيء لم أأتمن عليه أحد. كانت
لجذتي نظرية هامة جداً، كانت تقول إذا كنا جميعاً نولد بعلبة
كبريت في داخلنا فإننا لا نستطيع أن نشعلها وحدنا، نحتاج،
مثلاً في التجربة، إلى أكسجين وشمعة. إلا أن الأكسجين، في
هذه الحالة، ينبغي أن يستمد من أنفاس المحبوب؛ والشمعة يمكن
أن تكون أي نوع من الغذاء، موسيقى، لمسة حب، كلمة، صوت
يطلق صمام التفجير وهكذا يشتعل عود الثقاب. نشعر للحظة
أننا نشعل بعاطفة قوية. وينشأ في داخلنا دفء ممتع يبدأ في
الاختفاء تدريجياً تبعاً لمرور الزمن، إلى أن يأتي انفجار جديد
لينشطه. وعلى كل إنسان أن يكتشف ما هي صمامات تفجيره
ليستطيع الحياة، فإن الوقود الناتج عن اشتعال أحدها هو الذي
يغذي الروح بالطاقة. بمعنى آخر، إن هذا الوقود هو غذاؤها.
فإذا لم يكتشف المرء في الوقت المناسب صمامات تفجيره الذاتي،
فإن أعواد الثقاب تندي ولا نستطيع عندئذ إشعال ثقاب واحد.

إذا حدث ذلك فإن الروح تفر من جسدنا وتهيم في دياجير

الظلام محاولة في غير جدوى إيجاد غذاء لذاتها، جاهلة أن الجسد الذي تركته أعزل، مترعاً بالبرودة، هو وحده القادر على إعطائه لها.

كم كانت هذه الكلمات حقيقية! لو كان هنالك من يعلم ذلك فإنها هي.

من سوء طالعها كان عليها أن تعترف بأن ثقابها مليئة بالعفن والرطوبة. لا أحد يستطيع العودة إلى إشعال ثقاب واحد. والمؤسف أنها كانت تعرف بالفعل ما هي صمامات إشعالها، لكنها في كل مرة تمكنت فيها من إشعال ثقاب كانوا يطفئونه بلا رحمة.

ساور جون القلق، وكأنه يقرأ أفكارها:

- لذلك يجب أن نظل بمنأى عن الأشخاص ذوي الأنفاس الجليدية. إن وجودهم يمكن أن يطفىء أشد النيران كثافة. فتبعاً للنتائج التي عرفناها، كلما ابتعدنا عن هؤلاء الأشخاص، كانت حمايتنا أسهل من نفحته. -وأضاف بدمائة وهو يأخذ إحدى يدي تيتا بين يديه: - هنالك طرق كثيرة للبدء في تجفيف علبة ثقاب رطبة. لكن تأكدي من أن هناك علاجاً لذلك.

سمحت تيتا لبعض الدموع بأن تنساب على وجهها. مسحها جون بمنديله في رقة.

- وبالطبع يجب أيضاً الحرص الشديد عند إشعال الثقاب

على أن يكون عوداً بعد عود. لأنه لو أدت عاطفة قوية إلى اشتعالها كلها مرة واحدة فإنها تحدث بريقاً قوياً جداً يضيء أبعد مما نستطيع رؤيته بشكل عادي، وعندئذ يظهر أمامنا نفق مضيء يشير لنا إلى الطريق الذي نسيناه عند مولدنا والذي ينادينا للعودة إلى اللقاء بأصلنا الإلهي الضائع. تشتاق الروح إلى العودة إلى مصدر نشأتها تاركة الجسد جامداً... منذ ماتت جدتي وأنا أحاول أن أثبت علمياً هذه النظرية. ربما أحقق ذلك يوماً. ما رأيك؟

ظل الدكتور براون صامتاً، لإعطاء تيتا وقتاً لتقول شيئاً لو كانت ترغب في ذلك. لكن صمتها كان كالحجر.

- حسنٌ، لا أريدك أن تملي من حديثي. هيا لنسترح ولكن قبل أن نذهب أريد أن أريك لعبة كنا نمارسها أنا وجدتي كثيراً. كنا نقضي هنا معظم النهار وكانت تنقل لي عن طريق الألعاب كل معارفها. كانت امرأة صموتاً، مثلك. كانت تجلس أمام تلك المدفأة بصفيرتها الكبيرة الملتفة فوق رأسها واعتادت دائماً أن تتكهن بما كنت أفكر فيه. كنت أرغب في تعلم ذلك وبعد إصرار شديد أعطتني أول درس. كانت تكتب دون أن أراها جملة على الحائط بمادة غير مرئية. وفي الليل عندما كنت أرى الحائط، كنت أتكهن بما كتبه. هل تريد أن نقوم بالتجربة؟

بهذه المعلومة أدركت تيتا أن المرأة التي جلست معها مرات عديدة كانت جدة جون الراحلة. لم يكن عليها أن تسأل في

ذلك . أخذ الدكتور قطعة من الفوسفور بريشة وأعطائها لتيتا .

- لا أريد كسر قانون الصمت الذي فرضته على نفسك .

ولكنني سوف أطلب منك كسر بيننا أن تقومي بمجرد خروجي بكتابة أسباب امتناعك عن الكلام على هذه الحائط ، اتفقنا؟ وغداً سوف أتكهن بها أمامك .

وبالطبع أخفى الدكتور على تيتا أن إحدى خصائص الفوسفور أنه سيضيء في الليل ما ستكتبه على الحائط . وواضح أنه لم يكن يحتاج هذه الحيلة لمعرفة ما كانت تفكر فيه ، ولكنه كان واثقاً من أنها سوف تكون بداية طيبة لكي تبدأ تيتا من جديد اتصالاً واعياً بالعالم ، حتى لو كان ذلك عبر الكتابة . كان جون يشعر أنها أصبحت مهياة لذلك . بعد أن خرج الدكتور ، تناولت تيتا الفوسفور واقتربت من الحائط .

وفي الليل ، عندما دخل جون براون المعمل ابتسم برضى عندما رأى مكتوباً على الحائط بحروف ثابتة وفوسفورية لأنني لا أريد . بهذه الكلمات الثلاث كانت تيتا قد بدأت أول خطوة نحو الحرية .

وفي أثناء ذلك ، لم تكن تيتا وعيناها مثبتتان على الحائط تستطيع أن تتوقف عن التفكير في كلمات جون : هل من الممكن جعل روحها تنتفض من جديد؟ رغبت في ذلك بكل كيائها .

كان عليها أن تجد أحداً يستطيع أن يشعل فيها هذه الرغبة .
وماذا لو كان ذلك الشخص هو جون؟ تذكرت الإحساس
المتع الذي سرى في جسدها عندما أخذها من يدها إلى العمل .
كلا . لم تكن تعرفه . الشيء الوحيد الذي كانت مقتنعة به هو
أنها لم تكن تريد العودة إلى المزرعة . لم تكن ترغب في العيش
بالقرب من ماما إيلينا بعد ذلك مطلقاً .

الفصل السابع

يوليو

حساء عكاوى الغنم

المقادير:

٢ عكاوى غنم - بصلة - فصان - فصان من الثوم - ٤
ثمرات من الخيتوماتس (كاكا)^(١٨) Jitomates - ١/٤ كجم
من اللوييا الخضراء - ٢ ثمرة من البابا - ٤ ثمرات من
الفلف الأحمر الحار

(١٨) ثمرة دائرية قطرها من ٦ إلى ٨ سم، لونها أحمر وبجلد لامع، وهي تستخدم بكثرة في عمل أطباق مختلفة و صلصات مكسيكية مميزة.

طريقة العمل

توضع العكاوى المقطعة مع قطعة من البصل وفص ثوم وملح وفلفل حسب الذوق على النار لتطهى . من المناسب وضع كمية من الماء أكثر من التى تستخدم عادة فى عمل حساء اللحم بالخضار واضعين فى الاعتبار أننا سنعد حساءً . وحساء جيد يعتد به يجب أن يكون كثير المرق دون أن يصل إلى درجة الميوعة .

إن الحساء يمكن أن يشفى أى مرض جسمى أو عقلى ، حسناً ، كان ذلك على الأقل اعتقاد تشينتشا و تيتا ، التى ظلت لوقت طويل لا تصدقه بالشكل الكافى . الآن لم يكن أمامها إلا قبوله كاعتقاد مؤكد .

كان ذلك منذ ثلاثة أشهر ، فعندما ذقت ملعقة من الحساء الذى كانت قد أعدته تشينتشا وحملته لها إلى منزل الدكتور جون بروان ، استعادت تيتا كل رشدها .

كانت مستندة إلى زجاج النافذة تنظر من خلالها إلى أليكس

ابن جون وهو يجرى فى الفناء خلف بعض الحمام.

سمعت خطوات جون وهو يصعد الدرج، كانت تنتظر بشوق زيارته المعتادة. كانت كلمات جون هى صلتها الوحيدة بالعالم. لو كان باستطاعتها الكلام ل قالت له كم كان مهماً بالنسبة لها وجوده وحديثه. لو كان باستطاعتها النزول و تقبيل أليكس، تقبيلها لابن لم تلده وأن تلعب معه حتى التعب، لو كان باستطاعتها أن تتذكر كيف تطهو حتى لو بيضتين، لو كان باستطاعتها تذوق أى طبق كان، لو كان باستطاعتها... العودة إلى الحياة. أحسّت برائحة أرجفتها. كانت رائحة غريبة على هذا البيت. فتح جون الباب وظهر بصينية فى يديه و طبق به حساء عكاوى غنم!

حساء عكاوى الغنم! شئ لا يمكن تصديقه. وخلف جون دخلت تشيتشا غارقة فى دموعها. كان العناق بينهما قصيراً حتى لا يبرد الحساء. عندما تناولت أول رشفة اقتربت ناتشا منها وداعبت رأسها وهى تأكل، كما كانت تفعل عند مرضها وهى طفلة، وقبلتها عدة مرات فى جبهتها. كان هناك، بجانب ناتشا، لعب طفولتها فى المطبخ، الخروج إلى السوق، عجة البيض المطهية لتوها، بذور الشباباكانو الملونة، كعك أعياد الميلاد، بيتها، رائحة الحليب المغلى، وحلو القشدة وكوكتيل المشروبات والكمون والثوم و البصل. وكالمعتاد طوال حياتها؛ فإنها ما أن شعرت

بالرائحة المنبعثة من البصل حتى ظهرت دموعها. بكت كما لم تبك من قبل منذ مولدها. كم أفادتها ملازمتها الطويلة لاناتشا. كما كان يحدث في الزمن الماضي، واناتشا مازالت على قيد الحياة وقد أعدتا سوياً مرات بلا نهاية حساء العكاوى. ضحكنا وهما تحيان تلك اللحظات ويكتا عند تذكر الخطوات المتبعة لإعداد هذه الوصفة. أخيراً استطاعت أن تتذكر وصفة أكلة، عندما تذكرت أول خطوة فيها وهى بشر البصلة.

تفرم البصلة و الثوم جيداً ويوضعان على النار ليحمر في قليل من الزيت، بعد أن يحمر يضاف إليهما البابا و اللوبيا الخضراء و الخيتوماتيه المفرومة ويترك الخليط حتى ينضج.

قطع جون هذه الذكريات عندما دخل فجأة الحجرة و هو منزعج نتيجة رؤيته لنهر صغير ينحدر على السلم.

عندما انتبه إلى أنهادموع تيتا شكر تشيتشا وحساء العكاوى الذى أعدته لأنهما استطاعا تحقيق ما لم يستطيع أى دواء تحقيقه: أن تبكى تيتا بذلك الشكل. حزيناً لتدخله، هم بالخروج من الحجرة. حال دون ذلك صوت تيتا. ذلك الصوت الطرب الذى لم ينطق بكلمة طوال ستة أشهر.

- جون! لا تذهب.

بقى جون بجوارها وشاهد كيف انتقلت تيتا من الدموع إلى

الابتسام عندما سمعت من فم تشيتشا كل أنواع النكات و المصائب. وهكذا علم الدكتور أن ماما إيلينا قد حرمت زيارة تيتا. ففي عائلة دى لا جارثا كان يمكن أن تغتفر بعض الأشياء، ولكن لا يغتفر بالمرّة عقوق ولا مناقشة تصرفات الأبوين. فلن تغفر ماما إيلينا أبداً لتيتا، مجنونة كانت أم لا، أنها حملتها ذنب موت حفيدها. ونفس الشئ مع خيرترووديس التى كانت تجزع من مجرد أن ينطق اسمها. ومما لاشك فيه أن نيكولاس كان قد عاد منذ فترة قصيرة بأخبار عنها.

كان قد وجدها بالفعل تعمل فى بيت دعارة، كان قد حمل لها ملابسها وقامت هى بإرسال رسالة إلى تيتا. أعطتها لها تشيتشا وقرأتها تيتا فى صمت:

عزيزتى تيتا:

لن تعرفى مدى شكرى لك لقيامك بإرسال ملابسى. من حسن الحظ أننى كنت ما أزال هنا واستطعت استلامها. سأترك غداً هذا المكان لأنه ليس مكانى. لأعرف حتى الآن أى مكان يكون لكنى أعرف أنه فى جهة ما على أن أجد مكاناً مناسباً لى. إذا كنت قد حللت هنا فلأننى كنت أشعر بنار قوية تحرقنى داخلياً، إن الرجل الذى التقطنى فى الحقل قد أنقذ حياتى بالفعل. ياليتنى أقابله ثانية يوماً ما. لقد تركنى لأن قواه كانت تخور بجوارى دون أن يستطيع إطفاء نارى الداخلية. وأخيراً وبعد

أن مر عليّ عدد لانهاى من الرجال ، فإننى أشعر براحة كبيرة .
ربما أعود يوماً إلى البيت وأستطيع أن أشرح لك الأمر .

أختك التى تحبك خيرتروديس

حفظت تيتا الرسالة فى جيب فستانها ولم تبد أدنى تعليق .
وأما أن تشينتشا لم تسألها أى شئ عن محتوى الرسالة المشار إليها
فلأنها كانت قد قرأتها بالطبع كلمة كلمة .

بعد ذلك قام كل من تشينتشا وجون بتجفيف حجرة النوم و
السلم و الدور الأرضى .

وعند لحظة الوداع أبلغت تيتا تشينتشا قرارها بعدم العودة
مطلقاً إلى المزرعة وطلبت منها أن تعرف أمها ذلك . وبينما كانت
تشينتشا تعبر للمرة التى لا حصر لها الجسر الذى بين ايجل باس
وبيدراس نجراس ، كانت تفكر بلا انتباه فى أفضل طريقة لنقل
الخبر إلى ماما إيلينا . أوقف تفكيرها حراس البلدين فقد كانوا
يعرفونها منذ أن كانت طفلة . إضافة إلى أنهم كانوا يتسلون
برؤيتها وهى تسير من جهة إلى أخرى وهى تحدث نفسها وتقرض
عصاة رأسها . شعرت تشينتشا بأن براعتها فى الاختلاق قد شلت
من الرعب .

فأى رواية سوف تحكيها ستغضب بالتأكيد ماما إيلينا . كان
عليها أن تخلق واحدة بحيث تخرج بها هي على الأقل سالمة

تماماً. ولتحقيق ذلك كان عليها أن تجد حجة تبرر بها زيارتها لتيتا. لكن ماما إيلينا لن تنطلي عليها أى منها. هذا لو لم تكن على علم بها أصلاً! كانت تحسد تيتا لأنها امتلكت الشجاعة لعدم العودة إلى المزرعة. ليتها تستطيع فعل نفس الشئ هى أيضاً، ولكنها لم تكن تجرؤ. فمنذ طفولتها وهى تسمع عن سوء عاقبة النساء اللاتى يعصين آباءهن أو أسيادهن ويهربن من البيت. فإن نهايتهن تكون بالتمرغ فى قارعة طريق الحياة الفاجرة الدنس. ظلت تدير وتدير مهماتها فى عصبية، محاولة أن تعتصر أفضل كذباتها لهذه اللحظات. ولم تخذلها من قبل مطلقاً. كانت مع مهمتها المائة تجد الكذبة المواتية للمناسبة. كان الكذب عندها ممارسة للنجاة تعلمتها منذ وصولها إلى المزرعة. كان أفضل لها بكثير أن تقول إن الأب إجناثيو جعلها تجمع الصدقات على الاعتراف بأن الحليب قد طرح منها نتيجة لثروتها فى السوق، فقد كان العقاب الذي تجلبه على نفسها مختلفاً تماماً.

كل شيء قد يكون حقيقة أو كذباً خالصاً. هذا يعتمد على تصديق الإنسان للأشياء إن كانت حقيقيه أم لا. فمثلاً، كل ماكانت تتخيله عن مصير تيتا لم يكن حقيقياً.

فقد أمضت كل هذه الشهور مغمومة وهى تفكر فى الأهوال التى يمكن أن تمر بها وهى خارج مطبخ بيتها، محوطة بمجانين يصيحون ببداءات وهى مكبله بقميص المجانين وتأكل من يدرى

أى صنف من الطعام، مرعوبة وهى خارج البيت. كانت تتخيل طعام مستشفى للمجانين وحقير سيتهى باضمحلالها كأشوأ شىء فى الدنيا. والحقيقة أنها وجدت تيتا فى أحسن حال، لم تطأ قدمها قط مستشفى مجانين، كان واضحاً أنها تعامل أحسن معاملة فى منزل الدكتور ولم يكن هنالك أى طعام سئ بهذه الدرجة بل لقد لاحظت عليها زيادة فى وزنها. ولكن الصحيح هو أنها مهما أكلت فإنهم لم يقدموا لها قط مثل حساء العكاوى. كانت متأكدة جداً من ذلك بالفعل، والإ فلماذا بكت إلى هذه الدرجة عندما تناولته ؟

مسكينة تيتا، مؤكد أنها تبكى الآن من جديد لأنها تركتها، تؤلمها الذكريات والتفكير فى أنها لن تعود للطهى بجوار تشيتشا أبداً بعد اليوم. نعم، مؤكد أنها تعاني بشدة. لم يدر بخلدها قط تخيل ماكانت عليه حقيقة، جميلة للغاية، مشرقة بفستان من الساتان متموج الألوان بالدانتيل، وهى تتناول العشاء على ضوء القمر وتتلقى اعترافاً بالحب. كان هذا بالنسبة لعقلىة معذبة ومبالغة كعقلىة تشيتشا شيئاً مفرطاً. كانت تيتا جالسة بالقرب من نار موقدة أسفل خنزير يشوى. وكان جون بروان بجوارها يعرض عليها الزواج. كانت تيتا قد وافقت على مصاحبة جون فى يوم للشواء فى المزرعة المجاورة احتفالاً بتمائلها للشفاء، وكان جون قد أهداها فستاناً رائعاً اشتراه منذ فترة من سان انطونيو بتكساس

لهذه المناسبة . كان تعدد ألوانه يذكرها بألوان رقاب الحمام ولكن بدون أي تداعيات مؤلمة خاصة بذلك اليوم البعيد الذي حبست فيه في برج الحمام . كانت بصراحة قد شفيت تماماً ومعدة لبداية حياة جديدة بجوار جون ، وطبعاً ارتباطهما بقبلة حانية . لم تشعر تيتا بنفس الإحساس عندما قبلها بيدرو ، ولكنها كانت تأمل أن تتمكن روحها التي خبت لمدة طويلة من أن تستضاء ، شيئاً فشيئاً ، بقرب هذا الرجل الشديد الروعة .

وأخيراً وبعد أن سارت تشينتشا ثلاث ساعات اهتدت إلى الجواب ! فقد وجدت ، كمعادتها دائماً ، الكذبة المناسبة . ستقول لماما إيلينا إنها وهى تعبر ايجل باس وجدت فى ناصية متسولة بملابس قدرة وممزقة . وقد اخذتها الشفقة بها فاقتربت منها لإعطائها عشرة سنتات وأنها اكتشفت عندما ارتبكت أنها تيتا . فقد فرت من مستشفى الأمراض العقلية وهامت على وجهها فى الدنيا لتدفع بذلك ثمن سبها لأُمها . وقد دعتها للعودة ولكن تيتا رفضت . فإنها لم تكن تشعر بأنها جديدة بالعيش من جديد بجوار أم بهذه الطيبة وأنها طلبت منها معروفاً وهو أن تبلغ أمها أنها تحبها جداً وأنها لم تنسَ بالمرّة الكثير مما فعلته من أجلها وأنها تعدها بالعودة عندما تصبح امرأة صالحة إلى جوارها لمنح ماما إيلينا كل الحب و الاحترام اللذين تستحقهما .

كانت تشينتشا تشعر بفخر كبير بهذه الكذبة ولكن لسوء

الحظ لم تحققها. فعند وصولها للبيت فى تلك الليلة هاجمت مجموعة من قطاع الطرق المزرعة. وقاموا باغتصاب تشيتشا وعندما حاولت ماما إيلينا الدفاع عن شرفها تلقت ضربة قوية على ظهرها أدت إلى إصابتها بشلل نصفى أقعدها عن الحركة من منطقة الوسط حتى أسفل جسدها. وفى تلك الظروف لم تكن فى وضع يسمح لها بتلقى تلك النوعية من الأخبار ولا تشيتشا كانت فى حالة تسمح لها بإبلاغها بها.

من جهة أخرى كان من الخير أنها لم تخبرها بشئ، فبعودة تيتا إلى المزرعة لدى علمها بالمأساة، فإن كذبة الشفقة كانت ستكشف أمام الجمال الرائع و القوة اللذين كانا يشعان من تيتا. استقبلتها أمها بالصمت. ولأول مرة نظرت إليها تيتا نظرة ثابتة وسحبت ماما إيلينا نظرتها. فقد كان فى نظرة تيتا بريق غريب.

تجاهلت ماما إيلينا ابتها. وتبادلتا العتاب بدون كلمات وبهذا انقطع بينهما ما كان يعتبر حتى ذلك الوقت صلة الدم القوية و الطاعة اللتين كانتا تجمعهما و لم تلتئما أبداً. كانت تيتا تعلم جيداً أن أمها تشعر ببالغ الذل لأن عليها أن تقبل عودتها من جديد للبيت، وليس ذلك فقط، بل ولحاجتها إلى رعايتها حتى تستعيد قواها. لذلك حاولت بكل صدق رعايتها على أفضل نحو ممكن. كانت تعد بكل حرص الطعام لأمها وخاصة حساء العكاوى، مع صدق النية فى أنه سيساعدها على استرداد عافيتها كما حدث معها.

أفرغت الحساء بعد نضجه مع البابا و اللوبيا الخضراء فى الإناء الذى وضعت فيه العكاوى لتنضج .

بعد إفراغها به يترك الخليط كله ليغلى لمدة نصف الساعة .
يرفع مباشرة من على النار ويقدم ساخناً جداً .

أعدت تيتا الحساء وصعدت به إلى أمها فى سلطانية رائعة من الفضة ومغطاة بفوطة من القطن المطرز بالشبيكة تطريزاً جميلاً والمبيض والمنشى تماماً .

كانت تيتا تنتظر بلهفة رد الفعل الإيجابى لأمها عندما تناول أول رشفة ، ولكن حدث العكس ، فقد بصقت ماما إيلينا الطعام فوق مفرش السرير وطلبت من تيتا صائحةً أن تبعد عن بصرها مباشرة تلك السلطانية .

- لكن لماذا ؟

- لأنه مرّ بشكل مقزز ، لا أريده ! ألم تسمعينى ؟

وبدلاً من أن تطيعها أدارت ظهرها محاولة أن تخفى عن نظر أمها حالة الإحباط التى كانت تشعر بها . لم تفهم تصرف ماما إيلينا . لم تكن تفهمها بالمرّة . كانت لا تستطيع أن تفهم كيف أن إنساناً ، بصرف النظر عن صلة القرابة التى يمكن أن تربطه بغيره ، يرفض ، لمجرد الرفض ، بتعال ، وبطريقة فظة للغاية ، رعاية ما . لأنها كانت متأكدة من أن الحساء كان لذيذاً . لسقد ذاقته هى

بنفسها قبل أن تصعد به لها . كان لا يمكن أن يكون غير ذلك ، فقد أولته عناية كبيرة و هى تعده .

شعرت أنها غبية بالفعل لعودتها إلى المزرعة لرعاية أمها . كان من الأفضل أن تظل بمنزل جون بدون التفكير مطلقاً فى المصير الذى يمكن أن توؤل إليه ماما إيلينا . ولكن وخز الضمير ماكان ليتركها . إن الطريقة الوحيدة للتحرر منها بالفعل تكون بموت ماما إيلينا وهو ما لا يُعرف موعده .

كانت تشعر بالرغبة فى الجرى بعيداً ، بعيداً جداً لحماية النار الداخلية القليلة التى جاهد جون للنجاح فى إشعالها من طلعة أمها الجليدية . كانت تشعر و كأن بصقة ماما إيلينا قد سقطت بالضبط فى وسط النار المبتدئة وأنها أطفأتها . كانت تعاني فى داخلها من آثار الانطفاء ؛ كان الدخان يصعد إلى حلقها ويتجمع حول نفسه مكوناً عقدة سميكة كانت تغيم لها الرؤية وتسيل دموعها .

فتحت الباب بعنف و جرت فى نفس اللحظة التى كان جون قادماً فيها للقيام بزيارته الطبية . تصادما فى وقت غير ملائم . سندها جون بين ذراعيه فى الوقت المناسب لتفادى سقوطها . أنقذها عناقه الدافئ من التجمد ، كانت لحظات التى ظلا فيها متحدين ولكنها كانت كافية لتقوية روحها من جديد . كانت تيتا قد بدأت فى الشك فيما إذا كان شعور الأمان و الأمن

الذى كان جون يمنحه لها هو الحب الحقيقى وليس شعور اللوعة
و العذاب الذى كانت تشعر به بجوار بيدرو . انفصلت بجهد شديد
عن جون وخرجت من غرفة النوم .
- تيتا! تعالى هنا . لقد قلت لك إنك سوف تتحملين
ذلك!

- دونيا إيلينا، أرجوك لا تغضبى من ذلك، فهذا يضرك .
سوف أبعد تلك السلطانية، ولكن أخبرينى، أليست لديك الرغبة
فى تناول الطعام ؟

طلبت ماما إيلينا من الدكتور إغلاق الباب بالمفتاح وفى شبه
تكتم أفضت له بجزعها بشأن ما يتعلق بمرارة الطعام . أجابها
جون بأنه ربما كان ذلك نتيجة تأثير الأدوية التى كانت تتناولها .

- بالمره يادكتور، لو كان من الدواء لظل هذا الطعم فى
فمى وليس هكذا . إنهم يفسدون لى شيئاً فى الطعام . والغريب أن
ذلك منذ عودة تيتا . أريدك أن تختبره .

اقرب جون، وهو يبتسم أمام التعليمات الخبيثة، ليحرب
حساء العكاوى الذى أحضروه لها و الذى كان لم يمس فى
السلطانية .

- لنر، سنكتشف ماذا يضعون لك فى الطعام . مم!
ياللذة! إن بهذا لوبيا خضراء وبابا وفلفل حار و . . لا أستطيع أن
أميز جيداً . . . أى نوع من اللحم هو ؟

- لست فى حالة تسمح بالمزاح ، ألا تشعر بطعم مر ؟
- نعم ، يا دونيا إيلينا ، البتة . لكن إذا أردت سأرسله
للتحليل . أنا لا أريدك أن تقلقى . ولكن بينما يرسلون لى بالتائج
يجب أن تأكلى .

- أرسل لى إذن طاهية جيدة .

- لكن كيف ولديك فى المنزل أفضل واحدة ؟ لقد نما إلى
علمى أن ابنتك تيتا طبخة غير عادية ! يوماً ما سوف أطلب منك
يدها .

- أنت تعلم أنها لا تستطيع الزواج ! - صاحت وهى أسيرة
هياج حائق .

صمت جون . لم يكن من المناسب إثارة ماما إيلينا أكثر .
ولا كان متأكداً من اقتناعه التام بأنه سيتزوج تيتا بإذنها أو بغير
إذنها . كان يعلم أيضاً أنه لا يبالى كثيراً بمصير تيتا المحال حالياً
وأنها حين تبلغ الثامنة عشرة سوف يتزوجان . أنهى زيارته بأن
طلب من ماما إيلينا الهدوء واعدأ إياها بأنه سوف يرسل لها فى
اليوم التالى طاهية جديدة . وفعل ذلك ولكن ماما إيلينا لم تتفضل
حتى باستقبالها . فقد كان حوار الدكتور حول طلب يد تيتا قد
فتح عينيها .

مؤكد أن هناك علاقة عاطفية بين الاثنين .

كانت تشك منذ وقت طويل أن تيتا كانت ترغب فى

اختفائها من هذه الدنيا لكي تستطيع بذلك الزواج بحرية، ليس مرة واحدة و إنما ألف مرة إذا رغبت في ذلك. كانت تدرك هذه الرغبة بينهما كحقيقة مؤكدة، في كل احتكاك، كل كلمة، كل نظرة. لكن الآن ليس لديها أدنى شك في أن تيتا كانت تحاول أن تسمها قليلاً بقليل لتستطيع الزواج من دكتور بروان. وعليه، فإنها منذ ذلك اليوم رفضت بشكل قاطع أن تأكل أى شئ يكون من طهى تيتا. أمرت تشيتشا بأن تتولى عملية إعداد طعامها. هي فقط ولا أحد غيرها كان يستطيع تقديم الطعام لها وكان عليها أن تذوقه أمامها قبل أن تقدم ماما إيلينا على أكله.

لم يؤثر الأمر الجديد على تيتا فى شئ بل على العكس كان راحة بالنسبة لها تكليف تشيتشا بالواجب الشاق الخاص برعاية أمها وهكذا يكون لديها مطلق الحرية للبدء فى تطريز ملابس جهاز عرسها. كانت قد قررت الزواج من جون عندما تتحسن حالة أمها.

كانت تشيتشا هي التي وجدت نفسها متأثرة بهذا الأمر. فقد كانت ماتزال تستعيد قواها البدنية و الانفعالية نتيجة الاعتداء الوحشى الذى استهدفها. وبالرغم من أنها كانت تبدو ظاهرياً مستفيدة، لأنها لن يكون عليها سوى طهى الطعام و حمله لماما إيلينا، إلا أنها لم تكن كذلك. استقبلت النبأ فى البداية بسرور، ولكن ما أن بدأ الصراخ والتأنيب حتى تنبعت إلى أنه لا توجد

حلاوة بدون نار. وكان أن ذهبت يوماً إلى الدكتور جون بروان ليزيل عنها خيوط الجرح التي اضطر إلى عملها لها لإصابتها بتهتك خلال الاغتصاب، فقامت تيتا بإعداد الطعام مكانها.

اعتقدتا أن بإمكانهما خداع ماما إيلينا بدون أى مشكلة. ولدى عودتها قامت تشينتشا بحمل الطعام لها وذاقته كما كانت تفعل دائماً ولكنها عندما قدمته لها لتأكله هي، اكتشفت ماما إيلينا في الحال الطعم المر. فألقت بالسلطانية على الأرض بغضب وطردت تشينتشا من البيت لمحاولتها الاستهزاء بها.

استغلت تشينتشا هذه الحجة لقضاء بضعة أيام في قربتها. كانت تحتاج إلى نسيان حادثة الاغتصاب ووجود ماما إيلينا. حاولت تيتا أن تقنعها بعدم الاهتمام بما قالت ماما إيلينا. فإنها تعرفها منذ سنوات بعيدة و تعرف تماماً كيف تسوسها.

- نعم يابنتي، لكن لماذا أجلب على نفسي مرارة أكثر إذا كان لدى ما يكفيني! اتركيني أذهب، لا تكوني صعبة.

عانقتها تيتا وواستها كما كانت تفعل معها كل ليلة منذ عودتها. لم تكن تجد الوسيلة التي تخرج بها تشينتشا من اكتئابها وتفكيرها في أن أحداً لن يتزوج منها بعد الاعتداء العنيف الذي واجهته من جانب قطاع الطرق.

- تعلمين كيف هم الرجال. جميعهم يقولون إن الطعام البائت ولا في الآخرة، إلا في هذا!

وأمام يأسها، قررت تيتا أن تتركها تذهب. فقد كانت تعلم عن تجربة أنها لو ظلت في المزرعة و بالقرب من أمها فلن يكون أمامها أى خلاص. البعد فقط هو الذى كان يمكن أن يشفيها. أرسلتها فى اليوم التالى مع نيكولاس إلى قريتها.

وجدت تيتا نفسها فى حاجة إلى تأجير طاهية. ولكن هذه غادرت البيت بعد ثلاثة أيام من وصولها. لم تتحمل الطلبات الملحة ولا المعاملة السيئة لماما إيلينا. عندئذ بحثوا عن أخرى استمرت يومين فقط وأخرى وأخرى حتى لم تعد هنالك امرأة فى القرية تريد العمل فى البيت. كانت أكثر من بقين امرأة صماء بكماء: تحملت ١٥ يوماً، ولكنها ذهبت؛ لأن ماما إيلينا قالت لها بالإشارة إنها غبية.

حينئذ لم يكن أمام ماما إيلينا خيار آخر سوى أن تأكل مما كانت تطهوه تيتا، ولكنها كانت تفعل ذلك مع الإجراءات الوقائية اللازمة. فبجانب مطالبة تيتا بتذوق الطعام قبلها، كانت تطلب منها دائماً كوباً من الحليب الدافئ مع كل وجبة وكانت تشربه قبل أن تتناول الطعام لمقاومة آثار السم المر والذى، حسب رأيها، تشعر به مذاًباً فى الطعام. أحياناً كانت هذه الوسيلة كافية، ولكن فى أوقات أخرى كانت تشعر بآلام حادة فى البطن، عندئذ كانت تتناول، إضافة إلى الحليب الدافئ، جرعة نبيذ إيبىكا كوانا وأخرى من بصل الفأر كمتقى. ولكن ذلك لم يدم وقتاً طويلاً. بعد شهر

ماتت ماما إيلينا ضحية آلام رهيبة مصحوبة بتقلصات وتشنجات شديدة. فى البداية لم يفهم كل من تيتا وجون أسباب هذه الميته الغريبة، فما عدا الشلل النصفى لم تكن ماما إيلينا تعاني طيباً من أى مرض. ولكن عند فحص مكتبها وجدا زجاجة نبيذ أيبىكا كوانا واستنتجا أن ماما إيلينا كانت بالتأكيد تتناوله فى الخفاء. وقد أخبر جون تيتا بأن هذا المقيء قوى جداً إلى درجة التسبب فى الموت.

لم تستطع تيتا أن تبعد عن بصرها وجه أمها خلال التكفين. فحتى الآن، منذ وفاتها، تراها لأول مرة قد بدأت تفهمها. فمن يراها كان يمكن أن يخلط نظرة الامتنان تلك بنظرة ألم، ولكن تيتا لم تشعر بأى ألم. فالآن فقط تعرف معنى جملة " باردة مثل ورقة خس "؛ فهكذا كانت تشعر ورقة الخس بأنها غريبة وبعيدة أمام انفصالها المفاجئ عن الورقة الأخرى التى نمت معها. كان يبدو غير منطقي أن ينتظر من ورقة خس أن تتعذب لانفصالها عن الأخرى التى لم تستطع البتة التحدث معها ولا إقامة أى نوع من الاتصال، والتى لم تعرف عنها إلا أوراقها الخارجية جاهلة أنه كانت بداخلها خفايا أخرى كثيرة.

لم تكن تستطيع تخيل ذلك الفم ذا الكشرة المرة وهو يقبل بحرارة و لاهذين الخدين الأصفرين الآن، وهما موردان من حرارة ليلة حب. كان ذلك ما حدث بدون شك يوماً ما. ولم

تكن تيتا قد اكتشفته إلا الآن، متأخراً جداً وبالصدفة البسطة .
عندما كانت تيتا تضع لها ملابسها للصلاة عليها، أخذت من
وسطها سلسلة المفاتيح الكبيرة التي كانت تلازمها كسلسلة منذ أن
وعيت . كل شئ في البيت كان مغلقاً بمفتاح و تحت مراقبة
صارمة . لم يكن أحد يستطيع إخراج حتى فنجان من السكر من
خزانة الأطعمة دون إذن ماما إيلينا . كانت تيتا تعرف كل مفاتيح
الأبواب و المخابئ . ولكن بالإضافة إلى سلسلة المفاتيح الكبيرة،
كانت معلقة في رقبتها حلية صغيرة على شكل قلب، وكان
بداخلها مفتاح صغير لفت نظرها .

ربطت فوراً بين المفتاح و القفل الدال عليه . فقد كانت يوماً
تلعب الاستغماية واختبأت في دولاب ملابس ماما إيلينا .
واكتشفت بين الملاءات صندوقاً صغيراً . وبينما كانت تنتظر
البحث عنها حاولت فتحه ولكن دون جدوى لأنه كان مغلقاً
بمفتاح . وبالرغم من أن ماما إيلينا لم تكن تلعب الاستغماية إلا
أنها هي التي وجدتها عندما فتحت الدولاب . كانت تريد إحضار
ملاءة أو شئ كهذا و ضبطتها متلبسة . عاقبتها في الشونة، وكان
العقاب هو فرط مائة قولة . شعرت تيتا أن الخطأ لم يكن
يستوجب عقاباً بهذا الحجم، فالاختباء بالخفاء بين الملاءات النظيفة
لم يكن يستحق كل ذلك . ولكنها الآن وأما ميتة، وهي تقرأ
الخطابات التي كان يحتويها الصندوق، تنبهت إلى أنها لم تعاقب

لذلك، ولكن لأنها حاولت معرفة ما يحتويه الصندوق، وأن العقاب كان بالفعل مناسباً.

فتحت تيتا الصندوق بحب استطلاع مريض، كانت به مجموعة من الخطابات من شخص يدعى خوسيه تريبينيو ويوميئات. كانت الخطابات موجهة إلى ماما إيلينا. رتبها تيتا حسب تواريخها وعرفت قصة الحب الحقيقية لأمها. كان خوسيه هو حب حياتها. لم يسمحوا لها بالزواج منه لأن بعروقه دماء سوداء. وكانت مستعمرة من السود قد هربت من الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية ومن خطر إعدامها، ووصلت لتستقر بالقرب من القرية. وكان خوسيه نتاج العلاقة غير الشرعية بين خوسيه تريبينيو الأب وزنجية جميلة. و عندما اكتشف والدا ماما إيلينا العلاقة التي كانت بين ابنتهما وهذا المولّد، أجبرها وهما متزعجان، على الزواج فوراً من خوان دي لا جارتا، أبيها. هذا التصرف لم يستطع أن يمنعها حتى وهى متزوجة من الاستمرار فى مراسلة خوسيه سراً ويبدو أنهما لم يكتفيا بهذا النوع من الاتصال بل، وحسب تلك الرسائل، فإن خيرتروديس كانت ابنة خوسيه وليست من أبيها.

حاولت ماما إيلينا الهرب مع خوسيه عندما علمت بذلك الحمل، ولكن فى الليلة التى كانت تنتظره فيها مختبئة فى ظلام الشرفة ظهر طيف رجل مجهول، دون سبب ظاهر، وتحت ستار

الليل هاجم خوسيه وأزاحه عن هذه الدنيا . وبعد معاناة كبيرة استسلمت ماما إيلينا للعيش بجانب زوجها الشرعى . وكان خوان دي لاجارثا يجهل لسنوات طويلة كل هذه القصة ، ولكنه علم بها عند مولد تيتا بالضبط . كان قد ذهب إلى الحانة للاحتفال مع بعض الأصدقاء بميلاد ابنته الجديدة و هناك نقل له المعلومة لسان مسمم . أصابه الخبر الرهيب بسكته قلبية . هكذا كان الأمر .

كانت تيتا تشعر بالذنب لأنها شاركت فى هذا السر . لم تكن تعرف ماذا تفعل بهذه الرسائل . فكرت فى إحراقها ولكنها لم تقوَ على ذلك ؛ فإذا كانت أمها لم تجرؤ عليه فهى أقل منها جرأة . حفظت كل شئ كما وجدته ووضعت مكانه .

بكت تيتا بكاء حقيقياً خلال دفن أمها . ولكن ليس على المرأة الجافة التى كبتهها طوال حياتها ، وإنما لذلك الكائن الذى عاش حباً محبطاً . وأقسمت أمام قبرها على أنها لن تتخلى أبداً عن الحب ، وليكن ما يكون . فى تلك اللحظات كانت مقتنعة بأن حبها الحقيقى هو جون . الرجل الذى وقف بجانبها يساندها بلا قيد أو شرط . ولكنها ما أن رأت مجموعة من الناس تقترب من الضريح وميزت من بعيد صورة خيال بيدرو بصحبته روساورا لم تعد واثقة بنفس الدرجة من مشاعرهما .

كانت روساورا التى تبدو حاملاً وبطنها كبير ، تسير ببطء .

عندما رأت تيتا اقتربت منها و عانقتها و هى تبكى بحزن . كان يليها فى الدور بيدرو . فما أن عانقها بيدرو حتى أرتج جسدها مثل الجيلاتين . باركت تيتا أمها لأنها أعطتها الذريعة لتستطيع العودة إلى رؤية ومعانقة بيدرو . بعد ذلك مباشرة انسحبت فجأة . لم يكن بيدرو يستحق أن تحبه بهذه الدرجة . لقد أظهر ضعفاً ببعده عنها وهى لن تغفر له ذلك .

أخذ جون تيتا من يدها أثناء العودة إلى المزرعة ، وأمسكته تيتا بدورها من ذراعه لتؤكد أن ما بينهما شئ أكثر من الصداقة . كانت تريد أن تسبب لبيدرو نفس الآلام التى كانت تشعر بها دائماً عندما كانت تراه بجوار أختها .

كان بيدرو يراقبهما و عيناه مطبقتان . لم يكن يعجبه فى شئ رفع الكلفة التى كان جون يقترب بها و التى كانت تيتا تحدثه بها فى أذنه . ما الذى كان يجرى ؟ إن تيتا له ولن يسمح بأن تؤخذ منه ، والآن أكثر من أى وقت مضى بعد أن زال أكبر حائل أمام ارتباطهما : ماما إيلينا .

الفصل الثامن

أغسطس

تشامباندونجو Champandongo

المقادير:

ربع كجم من لحم الفئم المفروم - ربع كجم من اللحم^(١٩)
المفروم - ٢٠٠ جم من الجوز - ٢٠٠ جم من اللوز - بصلة
- ثمرتان من الخيتوماتس (كاكا) - سكر - ربع كجم من
الكريمة - نصف كجم من الجبنة المانتشيجو^(٢٠) - ربع
كجم من المولايه - كمون - حساء لجاج - عجة نرة - زيت

(١٩) ذكر لحم خترير.

(٢٠) نوع مشهور من الجبن الرومي ينتسب إلى إقليم «لامانشا» بإسبانيا.

طريقة المصنة

تفرم البصلة رفيعاً و تحمر مع اللحم فى قليل من الزيت .
وبينما تحمر يضاف إلى الخليط الكمون المطحون و ملعقة سكر .

وكالعادة ، كانت تيتا تبكى وهى تخرط البصلة . كانت الرؤية أمامها غائمة إلى درجة أنها جرحت أحد أصابعها بالسكين دون أن تتبه . أطلقت صيحة غيظ وكما لو لم يقع شئ واصلت إعداد التشامباندونجو . فى هذه اللحظات لم يكن باستطاعتها التوقف و لو ثانية لتداوى الجرح . فاليوم يأتى جون ليلاً ليطلب يدها وكان عليها أن تعد عشاءً طيباً فى خلال نصف ساعة فقط .
لم تكن تيتا تحب الطهى بتعجل .

كانت تعطى الطعام دائماً الوقت المناسب و اللازم لطهيهِ .
وكانت تحاول أن تنهى كل أعمالها حتى تصبح هادئة بما فيه الكفاية فى المطبخ لتستطيع إعداد أطباق لذيذة ومتقنة . لكنها الآن

متأخرة جداً إلى درجة أن حركاتها كانت قلقة ومتعجلة وبالتالي كانت تتعرض إلى هذا النوع من الحوادث.

كان السبب الرئيسى فى تأخيرها ابنة أختها المعبودة التى ولدت قبل أوانها بثلاثة أشهر. مثل تيتا، بشكل مبكر. فقد تأثرت روساورا بموت أمها مما أدى إلى تبكير ولادة ابنتها وبقيت عاجزة عن إرضاعها. وفى هذه المرة لم تستطع تيتا ولم تشأ تبني دور المرضعة مثلما حدث مع ابن أختها بل وأكثر من ذلك، لم تحاول حتى ذلك، ربما نتيجة التجربة المدمرة التى مرت بها عندما أبعدوها عن الطفل. عرفت الآن انه لا يجب إقامة علاقات حميمة مع اطفال ليسوا ابنائها.

على العكس فضلت أن توفر لاسبرانثا نفس الغذاء الذى كانت ناتشا قد استخدمته معها عندما كانت طفلة لا حول لها ولا قوة: أتوليه^(٢١) وشاى.

تم تعميدها وأطلق عليها اسم اسبرانثا بطلب من تيتا. كان بيدرو مصمماً على أن تحمل الطفلة نفس اسم تيتا، خوزيفينا. ولكنها رفضت نهائياً. لم تكن تشاء أن يؤثر الاسم على مصير الطفلة. فكفاهها أن أمها عانت بميلادها من عدة اضطرابات

(٢١) Atole شراب سميك مكون من الذرة المطحونة ودقيق أرز... إلخ. مذاق ومغلى فى ماء أو حليب. يمكن أن يحتوى على مواد أخرى مثل السكر، والقرفة، الشيكولاتة، عسل أو عصير لإكسابه طعماً أكثر.

اضطرت جون إلى إجراء عملية عاجلة لها لإنقاذ حياتها ولتصبح عاجزة عن الحمل مرة أخرى.

شرح جون لتيتا أنه أحياناً، لأسباب غير عادية، فإن المشيمة لا تنزع فقط في الرحم، وإنما تستقر فيه وعليه فإنه في اللحظة التي يولد فيها الطفل فإن المشيمة لا يمكنها الانفصال. تكون مثبتة بقوة بحيث أنه لو حاول أحد غير خبير مساعدة الأم وجذب المشيمة مستخدماً الحبل السرى فإن الرحم يخرج معها بأكمله. عندئذ يجب التدخل الجراحي الفوري لإستئصال الرحم لتصبح هذه الإنسانة غير قادرة على الحمل بقية حياتها.

لم يكن التدخل الجراحي لروساورا بسبب عدم خبرة جون، وإنما لأنه لم يكن هناك أى خيار آخر يمكن به فصل المشيمة وعليه تصبح اسيرانثا هي ابنتها الوحيدة، والصغرى ولزيادة همها، أنثى! . وهو ما يعنى فى التقليد العائلى أنها المعنية برعاية أمهاحتى نهاية أيامها. لعل اسبرانثا قد تشبثت ببطن أمها لأنها كانت تعرف مسبقاً ما ينتظرها فى هذه الدنيا. كانت تيتا تصلى من أجل ألا يخطر ببال روساورا فكرة تخليد هذا التقليد القاسى.

ولهذا، لم تشأ إعطاء أفكار خاصة باسمها وظلت تضغط ليل نهار حتى توصلت إلى أن يسموها اسبرانثا.

كانت هناك بلا شك مجموعة من المصادفات شاركت فى أن يكون مصير هذه الطفلة يشبه مصير تيتا، مثلاً، للصدفة البحتة

كانت تقضى معظم وقتها فى المطبخ، لأن أمها لا تستطيع رعايتها، وكانت خالتها تحاول العناية بها فى المطبخ فقط، وهكذا بين الشاى و الآتوليه كانت تنمو بكل صحة بين روائح ومذاقات هذا المكان الفردوسى والدافئ.

أما من كانت لا يعجبها إلى حد كبير ما يمكن أن نطلق عليه هذه العادة فكانت روساورا، كانت تشعر أن تيتا تأخذ منها ابتتها لوقت طويل من جوارها وعندما تماثلت للشفاء تماماً من العملية طلبت بأن يعيدوا إليها اسبرانثا بعد تناول طعامها مباشرة إلى حجرتها لتنام بجوار سريرها، حيث مكانها. جاء هذا الوضع متأخراً جداً؛ لأن الطفلة كانت حينئذ قد تعودت على أن تظل فى المطبخ ولم يكن من السهولة بمكان إخراجها منه. كانت تبكى كثيراً عندما تشعر أنها تبتعد عن حرارة المدفأة، إلى درجة أن تيتا كانت تقوم بحمل الطعام الذى تقوم بطهيه إلى حجرة النوم لتخضع بذلك الطفلة بحيث أنها عند شم و الشعور بقرب حرارة الوعاء الذى تطهو فيه تيتا منها تستطيع مصالحة النوم. عند ذلك كانت تيتا تعيد إلى المطبخ الحلة الكبيرة وتواصل طهى الطعام.

لكن الطفلة اليوم كانت تتمتع ببصيرة، و محتمل أنها كانت تتنبأ بأن خالتها تفكر فى الزواج ومغادرة المزرعة و تصبح هى غير هدى، وذلك لأنها لم تتوقف طوال اليوم عن البكاء. كانت تيتا تصعد و تهبط الدرج و هى تحمل أوانى بها طعام من مكان

لآخر. حتى وقع ما كان يجب وقوعه: " لا تسلم الجرة في كل مرة " .

فعندما كانت تهبط للمرة الثامنة تعثرت و سقطت الحلة وبها الخلطة الخاصة بالتشامباندونجو وتدحرجت على الدرج إلى أسفل . وتبددت معها أربع ساعات من العمل المكثف في فرم و طحن عناصر هذه الأكلة .

جلست تيتا فوق إحدى الدرجات ورأسها بين يديها لتلتقط أنفاسها . فقد استيقظت منذ الخامسة صباحاً حتى لا يسرقها الوقت وذهب كل شيء هباءً، عليها الآن أن تعد الخلطة من جديد .

لم يحسن بيدرو اختيار اللحظة المناسبة للحديث مع تيتا، ولكنه، مستغلاً أنه وجدها على السلم، تبدو ظاهرياً أنها تأخذ قسطاً من الراحة، اقترب منها بهدف الحديث معها حول عدم زواجها من جون .

- تيتا، كنت أريد أن أقول لك إنني أعتبر فكرة زواجك من جون خطأ مؤسفاً . مازال الوقت أمامك لعدم ارتكاب تلك الغلطة، لا تقبلي ذلك الزواج من فضلك!

- بيدرو ليس لك الحق في أن تقول لي ماعليّ أن أفعل أو لا أفعل . عندما تزوجت لم أطلب منك ألا تفعل، بالرغم من أن ذلك الزواج دمرني . لقد صنعت حياتك، دعني الآن أصنع حياتي في سلام .

- بسبب ذلك القرار الذى اتخذته بالذات و الذى أندم عليه تماماً، أطلب منك التروى . إنك تعرفين تماماً السبب الذى ربطنى بشقيقتك، ولكن ثبت أنه كان تصرفاً غير مجد ولم يؤت هدفه، إننى أريالآن أنه كان من الأفضل الهروب معك.

- لقد فكرت متأخراً جداً، لم يعد هناك حل لذلك الآن . أتوسل اليك ألا تعود أبداً إلى مضايقتى ولا أن تتجراً على تكرار ما قلته لى تواء، فيمكن أن تسمعك أختى، وليس هناك داع لخلق إنسان آخر تعيش فى هذا البيت . عن إذنك! آه وأنصحك بأنه عندما تحب فى المرة القادمة، لا تكن جباناً بهذه الدرجة!

اتجهت تيتا وهى تحمل الحلة بغضب نحو المطبخ.

أنهت صنع خلطة المولىه بين همهمات وتقليب الأواني وبينما كانت تلك على النار حتى تنضج تابعت أعداد التثامباندونجو .

عندما يبدأ اللحم فى الاحمرار يضاف إليه الخيتوماتيه المطحونة مع الأترنج المسكر و الجوز واللوز المقطع قطعاً صغيرة .

اختلطت حرارة البخار المتصاعد من الإناء مع الحرارة المنبعثة من جسد تيتا . كانت تشعر بالغضب الداخلى و هو يعمل ماتفعله الخميرة فى عجينة الخبز . كانت تشعر به ينمو بسرعة حتى يغمر آخر فجوة يمكن لجسدها أن يحتويها ومثل الخميرة التى تكون فى وعاء

صغير، فإنها تطفح إلى الخارج على شكل بخار عبر الأذنين وكل مسام جسمها.

هذا الغضب الهائل كان سببه في جانب قليل منه حديثها مع بيدرو، ومن جهة أخرى بسبب الأحداث والعمل في المطبخ، أما الجانب الأكبر المسبب لهذا الغضب فهي كلمات روساورا التي قالتها قبل أيام. كانوا مجتمعين في حجرة نوم أختها كل من تيتا وجون و أليكس، كان جون قد اصطحب معه ابنه أثناء الزيارة الطبية، فقد كان الطفل قد أوحشه للغاية وجود تيتا في بيته وكان يريد رؤيتها من جديد. أطل الطفل على مهد الطفلة ليتعرف على اسبرانثا وكان معجباً جداً بجمالها. ومثل كل الأطفال في ذلك السن الذين ينطلقون على سجيتهم، قال بصوت عال:

- إسمع يابابى، أريد أن أتزوج أنا أيضاً، مثلك. ولكن من هذه الطفلة الصغيرة.

ضحك الجميع من النكته الظريفة ولكن عندما قالت روساورا لأليكس إن ذلك لا يمكن أن يكون لأن تلك الطفلة الصغيرة مكرسة لرعايتها إلى يوم وفاتها، شعرت تيتا أن شعرها قد ازبأر. فروساورا فقط هي التي كان يمكن أن يخطر ببالها هول كهذا، تخليد تقليد غير إنسانى بالمرّة.

ليت فم روساورا قد احترق! وما استطاع بالمرّة تسريب تلك

الكلمات المنفرة والنتنة و الوهنة كريهة الرائحة والبذئثة و المقززة .
كان من الأفضل أن تبستلعتها ، وأن تحتفظ بها داخل أحشائها حتى
تتعفن وتدوّد . وليتها تعيش طويلاً حتى تستطيع منع أختها من
تحقيق نوايا مشئومة بهذه الدرجة .

أخيراً ، لم تكن تعرف لماذا تفكر في تلك الأشياء المكدره
للغاية في هذه اللحظات التي يجب أن تكون بالنسبة لها أسعد أيام
حياتها ، ولم تعرف لماذا كانت تشعر بهذه الدرجة من الضيق . ربما
نقل لها ييدرو عدوى مزاجه السيئ . فمنذ أن عادا إلى المزرعة
وعلم أن تيتا تفكر في الزواج من جون وقد ركبته ألف عفريت .
لم يكن أحد يستطيع حتى توجيه الكلام له . كان يحاول الخروج
مبكراً جداً ويجوب المزرعة وهو يمتطي حصانه . ويعود في الليل
وقت العشاء تماماً ويغلق على نفسه حجرة نومه بعد ذلك مباشرة .

لم يجد أحد تفسيراً لهذا السلوك ، اعتقد البعض أنه كان
نتيجة تأثره بأنه لن يصبح لديه أبناء آخرون . على كل ، كان يبدو
أن الغضب يسيطر على أفكاره و تصرفات كل من في البيت .
كانت تيتا في حالة " غليان " بمعنى الكلمة . كانت تشعر بأنها
سريعة الغضب . حتى هديل الحمام ، أحب شيء لديها ، والذي
أعادوا تربيته فوق سطح البيت و الذي سبب لها متعة كبيرة يوم
عودتها ، كان يضايقها في تلك اللحظة . كانت تشعر بأن رأسها
سوف ينفجر مثل الفشار . وفي محاولة لمنع ذلك ضغطت بشدة

على رأسها بكلتا يديها. شعرت بخبطة ضعيفة على كتفها فانتبهت منفعلة ولديها الرغبة في ضرب من فعل ذلك مهما يكن لأنه من المؤكد قد جاء ليسلبها المزيد من وقتها. ولكن كم كانت مفاجئتها عندما رأت تشينتشا أمامها. تشينتشا بذاتها، كطبيعتها دائماً، مبتسمة وسعيدة. لم تسعد في حياتها بالمرّة برؤيتها كالآن. ولا حتى عندما زارتها في بيت جون. كانت تشينتشا كالمعتاد تهبط من السماء في اللحظة التي كانت تبتا فيها في أشد الحاجة إليها.

كانت شيئاً مفاجئاً أن ترى تشينتشا وقد تعافت، بعد أن رأتها وهي راحلة في حالة من الهم و اليأس مما حدث لها.

لم يكن هناك أى أثر للصدمة النفسية التي تعرضت لها. كان الإنسان الذي استطاع إزالة الصدمة بجوارها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة بريئة وعريضة. كان يبدو بوضوح أنه رجل مستقيم وصامت، حسن، لكن من يدري؛ لأن ما حدث هو أن تشينتشا لم تسمح له أن يفتح فمه إلا ليقول لتيتا: " خيسوس مارتينيث في خدمتك ". بعد ذلك احتكرت تشينتشا، كالمعتاد، الحوار تماماً واستطاعت خلال دقيقتين، محطمة رقماً قياسياً في السرعة، أن تطلع تيتا على كل أحداث حياتها:

كان خيسوس أول حب في حياتها ولم تنسه قط. ولكن والدى تشينتشا عارضاً تماماً ذلك الحب. ولولا عودة تشينتشا إلى

قريتها ورؤيتها مرة ثانية ما استطاع بالمرّة أن يجدها. ولم يهّمه بالطبع أن تشيتشا ليست عذراء وتزوج منها مباشرة. وقد عادا إلى المزرعة معاً بهدف بدء حياة جديدة بعد أن ماتت ماما إيلينا، وقد فكرا في انجاب أولاد كثيرين وأن يحققا السعادة الدائمة . . .

توقفت تشيتشا لالتقاط أنفاسها فقد ازرق لونها واستغلت تيتا هذا التوقف لتقول لها، ولكن ليس على نفس درجة سرعتها وإنما قريبة منها، أنها سعدت بعودتها للمزرعة وانهم سوف يتحدثون في أمر التعاقد مع خيسوس وأن اليوم سيتم طلب يدها وأنها ستزوج قريباً وأنها لم تنه إعداد العشاء وطلبت منها أن تقوم هي بذلك لتستطيع أن تأخذ حماماً مهدئاً من الماء البارد جداً وهكذا يتحسن مظهرها لدى وصول جون، و الذي سيكون بين لحظة وأخرى.

طردها تشيتشا بالفعل من المطبخ و تولت مباشرة الأمر. فقد كانت حسب قولها تستطيع عمل التشامبا ندونجو وهي معصوبة العينين ومكبلة اليدين.

عندما ينضج اللحم و يجف مرقه، يتم بعد ذلك قلي العجة في الزيت و لكن ليس قلياً تاماً حتى لا تصبح جامدة. بعد ذلك نضع في الوعاء الذي سيوضع في الفرن طبقة من الزبد حتى لا يلتصق الطعام، ثم طبقة من العجة وفوقها طبقة من اللحم

المفروم ثم في النهاية خلطة المولى و يغطى بشرائح الجبن، و الزبد. تكرر هذه العملية عدة مرات حتى يمتلئ الوعاء. يوضع في الفرن و نخرجه عندما يذوب الجبن و تصبح العجة طرية. و تقدم مع الأرز و الفاصوليا.

كم شعرت تيتا بالراحة لمعرفتها أن تشيتشا في المطبخ. فليس أمامها الآن سوى الاهتمام بعنايتها الشخصية. عبرت الفناء مثل عصفرة ريح و بدأت تستحم. كان أمامها عشر دقائق فقط، لتستحم وتضع ملابسها و تعطر وتصفف شعرها بالشكل المناسب. كانت في عجلة شديدة إلى درجة أنها لم تر بيدرو في الطرف الآخر من الفناء الخلفى وهو يركل بقدمه الحجارة.

خلعت تيتا ملابسها ووضعت نفسها في المنضحة و جعلت الماء البارد يسقط فوق رأسها. يا للراحة التى شعرت بها! فو العينان مغلقتان تصبح الأحاسيس مرهقة، وكانت تستطيع الشعور بكل قطرة ماء بارد تتصفح جسدها. شعرت بحلمتى نهديها تتصلبان كالحجارة عند تلامسهما للماء. كان هناك خيط ماء يسقط على ظهرها ثم يهبط مثل شلال عند منحنى إلتها المستديرين والبارزين، ماراً بساقيها القويتين حتى قدميها. بدأ الضيق يذهب عنها شيئاً فشيئاً واختفت آلام الرأس. وفجأة بدأت تشعر أن الماء كان يسخن ويزداد سخونته شيئاً فشيئاً حتى بدأ يحرق جلدها. كان هذا يحدث أحياناً في فصل الحر عندما كانت مياه الخزان

تسخن بقوة أشعة الشمس طوال النهار، ولكن ليس الآن أولاً؛ لأنه لم يكن فصل الصيف وثانياً لأن الليل قد بدأ في الهبوط. فتحت عينيها مذعورة خوفاً من أن تحترق حجرة الحمام مرة أخرى فوجدت امامها وجه بيدرو الذي كان خلف ألواح الحجرة الخشبية يراقبها بالتفصيل.

كانت عينا بيدرو تلمعان بطريقة يستحيل معها عدم رؤيتهما في الظلام، تماماً مثل قطرتي ندى صغيرتين مهملتين مختبئتين بين الأعشاب الضارة عندما تستقبلان أول أشعة للشمس. اللعنة على نظرة بيدرو! وملعون النجار الذي صنع حجرة الحمام تماماً مثل سابقتها أو بمعنى أصح بفواصل بين كل لوح خشبي وآخر! عندما وجدت بيدرو يقترب منها والرغبة الجنسية في عينيه، جرت مسرعة من الحجرة وهي تضع ملابسها في عجلة. وصلت بسرعة كبيرة إلى حجرتها وأغلقتها عليها.

انتهت بالكاد من زيتها عندما أخبرتها تشينتشا بأن جون قد وصل لتوه و أنه ينتظرها في الصلاة.

لم يكن باستطاعتها التوجه مباشرة لاستقباله، فقد كان مازال أمامها إعداد المائدة. قبل وضع المفروش يجب تغطية المائدة ببساط، لتفادي صوت الكئوس و الأطباق عند اصطدامها بالمائدة. ويجب أن يكون من الصوف الأبيض ليظهر بياض المفروش. زلقته تيتا برفق فوق المائدة الكبيرة التي تسع عشرين شخصاً والتي لا

تُستخدم إلا في مناسبات كهذه. حاولت ألا تحدث صوتاً، ولا حتى وهى تتنفس حتى تستطيع سماع فحوى الحوار الدائر في الصالة بين روساورا و بيدرو وجون. كان يفصل الصالة و حجرة الطعام ممر طويل لذلك لم يصل إلى أذنى تيتا سوى همس الأصوات الذكرية لييدرو و جون، وقد أدركت بلا شك منها نبرة جدال. وقبل انتظار أن تصل الأمور إلى أشدها وضعت بسرعة وحسب الترتيب المفروض، الأطباق وطقم أدوات المائدة الفضة و الكئوس والملاحات وحمالات السكاكين. ووضعت مباشرة الشمعات أسفل سخانات الأطباق الرئيسية الأول والوسيط وتركتها جاهزة فوق خزانة الأرفف. جرت إلى المطبخ لإحضار نبيذ بورديوس الذي كانت قد وضعت في حمام بخار. يخرج نبيذ بورديوس من قبو الخمر قبل استخدامه بعدة ساعات ويوضع في مكان دافئ تؤدي الحرارة اللطيفة إلى نشر عبقه، ولكن لأن تيتا قد نسيت إخراجها لوقت كاف فإنها قامت بتطبيق هذه العملية صناعياً، كان الشئ الوحيد الذي ينقصها القيام به هو وضع سلة للزهور صغيرة من البرونز المذهب في وسط المائدة ولكن لأن الزهور لا توضع إلا قبل الجلوس إلى المائدة بلحظات حتى تحتفظ بنضارتها الطبيعية، فقد كلفت تيتا تشينتشا بالقيام بهذا العمل واتجهت بسرعة، على قدر ما سمح لها فستانها المنشى، إلى الصالة.

كان أول مشهد رآته عندما فتحت الباب هو النقاش المحتدم بين بيدرو وجون حول الوضع السياسى للبلاد. ويبدو أن كليهما قد نسي العناصر الأساسية لقواعد التحضر والتي تقول بأنه في أى اجتماع عائلى لا يجب أن يأتى ذكر مسائل حول شخصيات أو مواضيع حزينة أو أحداث مؤسفة أو حول الدين أو السياسة. أدى دخول تيتا إلى وقف الجدل و اضطررا إلى إعادة الحوار من جديد بنبرة أكثر ودية.

وفى جو من التوتر طلب جون يد تيتا. قام بيدرو، بصفته رجل البيت، بإعطاء موافقته وهو متجههم. وبدأ فى الاتفاق على تفاصيل الخطبة. وعندما حاولا تحديد موعد الزفاف، علمت تيتا برغبة جون فى إرجائه قليلاً ليستطيع السفر إلى شمال الولايات المتحدة لإحضار عمته الوحيدة الباقية و التى كان يرغب فى حضورها الاحتفال. مثل ذلك مشكلة بالنسبة لتيتا: كانت ترغب فى مغادرة المزرعة وعدم التواجد بقرب بيدرو فى أقرب وقت ممكن.

تمت الخطبة رسمياً بأن قدم جون لتيتا خاتماً رائعاً من الماس. تأملت تيتا الخاتم طويلاً وهو يلمع فى يدها. كانت الشرارات المنبعثة منه تذكرها بالبريق الذى كان بعينى بيدرو قبل ذلك بلحظات، عندما كان ينظر لها و هى عارية وجاءت بذاكرتها

قصيدة أتوميه (٢٢) كانت ناتشا قد علمتها إياها وهي طفلة :

" تلمع الشمس في قطرة الندى

تجف قطرة الندى

في عيني ، تلمع أنت في عيني

وأنا ، أحيا أنا . . . "

تأثرت روساورا برؤية الدموع في عيني شقيقتها وفسرتها على أنها دموع السعادة وشعرت بشئ من الراحة من الذنب الذي كان يؤرقها أحيانا لكونها تزوجت من خطيب تيتا . عند ذلك قامت ، وهي في شدة حماسها ، بتوزيع كئوس الشمبانيا على الجميع ودعتهم إلى شرب نخب سعادة العروسين . عند القيام بذلك وكان الأربعة مجتمعين في وسط الصالة ، ضرب بيدرو كأسه بكئوس الآخرين بقوة أدت إلى كسره إلى ألف قطعة ونثر المشروب الذي بياقى الكئوس على وجوههم وملابسهم .

هبطت البركة بين الإرتباك الذي سيطر على الموقف عندما ظهرت تشينتشا وذكرت الكلمات السحرية وهي : " العشاء جاهز " . أدى هذا الإعلان إلى رباطة جأش وهدوء الحاضرين وهو ما كان الموقف يستوجبه بعد أن كانوا على وشك فقدانهما . فعندما

(٢٢) تنسب إلى قبيلة هندية أصلية في المكسيك .

يكون الحديث عن الطعام فإنه أمر على درجة من الأهمية بحيث أن البلهاء أو المرضى هم فقط الذين لا يعطونه الاهتمام الذي يستحقه. وبما أن الحال لم يكن كذلك، توجه الجميع إلى حجرة الطعام وهم يبدون روح المرح.

كان كل شئ يسيراً للغاية خلال العشاء، بفضل تداخلات تشينتشا الظريفة وهي تخدم عليهم. لم يكن الطعام لذيذاً بالدرجة الكافية كما كان في مرات سابقة، ربما لأن الضيق كان ملازماً لتيتا وهي تعدّه، ولكن لا يمكن القول بأنه كان غير مقبول. إن التشامبا ندونجو طبق له طعم خاص إلى درجة أن أي مزاج سيئ لا يستطيع أن ينال منه أويغير من طعمه. بعد الانتهاء من العشاء رافقت تيتا جون حتى الباب وهناك قبل كل منهما الآخر قبلة طويلة كوداع. وفي اليوم التالي كان جون يفكر في السفر ليعود في أقرب وقت ممكن.

وهي عائدة إلى المطبخ أمرت تيتا تشينتشا بتنظيف الحجرة والمرتبة حيث ستقيم من الآن مع زوجها خيسوس وذلك بعد أن شكرتها على مساعدتها الكبيرة. كان من الضروري قبل أن يذهبا للنوم التأكد من أنهما لن يجدا في الحجرة ما هو غير مرغوب وهو البق فقد تركت الخادمة الأخيرة التي نامت هناك الحجرة ملوثة بهذه الدويبات ولم تستطع تيتا تطهيرها نظراً للعمل المكثف الذي زاد عليها بميلاد ابنة روساورا.

أفضل طريقة للقضاء على البق هو خلط كوب من روح
النبيذ ونصف أوقية من خلاصة التريبتين ونصف آخر من بودرة
الكافور. تدهن بهذه التركيبة الأماكن التي بها البق وهي تقضى
عليه تماماً.

بعد أن انتهت تيتا من ترتيب المطبخ بدأت في وضع الأواني
والحلل في أماكنها، لم تكن تشعر بعد بالنعاس، وكان أفضل لها
أن تستغل الوقت في ذلك على أن تمضيه وهي تتقلب في السرير.
كانت تشعر بمجموعة من الأحاسيس المتلاقية وكانت أفضل وسيلة
لترتيبها داخل رأسها هي أن ترتب أولاً المطبخ. تناولت إناء كبيراً
من الفخار وحملته لتحفظه في الحجرة التي أصبحت الآن حجرة
الكرار والتي كانت في السابق الحجرة المظلمة. فمع موت ماما
إيلينا وجدوا أن أحداً لن يفكر في استخدامها كمكان للاستحمام،
لأن الجميع كان يفضل الاستحمام في منضحة ولاستغلالها
حولوها إلى حجرة للكراكيب.

كانت تحمل في إحدى يديها الإناء وفي الأخرى لمبة جاز.
دخلت الحجرة بحرص حتى لا تصطدم بكم الأدوات التي كانت
في الطريق إلى مكان حفظ أوعية المطبخ التي لا تستخدم
باستمرار. كان ضوء المصباح يساعدها إلى حد ما، ولكن ليس
بالقدر الذي تستطيع به الإضاءة حيث اندس ظل ما في صمت
وأغلق باب الحجرة.

عند شعورها بوجود غريب، أدارت تيتا ظهرها فحدد الضوء بوضوح هيئة بيدرو وهو يضع قضيباً لإحكام غلق الباب.

- بيدرو ؟ ماذا تفعل هنا ؟

اقترب بيدرو منها دون أن يجيبها، أطفأ ضوء المصباح، جذبها نحو سرير اللاتون الذي كان يوماً ما خاصاً بأختها خيرتروديس وبدفعها فوقه، أفقدها عذريتها وأشعرها بالحب الحقيقي.

كانت روساورا، في حجرتها، تحاول أن تنوم ابتتها التي كانت منفجرة في البكاء. كانت تجوب بها كل أنحاء الغرفة بدون أى نتيجة. وعندما مرت بالنافذة رأت ضوء غريباً يخرج من الحجرة المظلمة. دوائر حلزونية فوسفورية كانت ترتفع إلى السماء كأضواء رقيقة من الصواريخ النارية. على الرغم من صرخات إنذار الخطر التي أطلقتها وهى تنادى تيتا وبيدرو لرؤية ذلك، لم تجد إجابة سوى من تشييتشا التي كانت قد ذهبت بحثاً عن طقم ملاءات. وعندما رأت الظاهرة الفريدة لأول مرة في حياتها انحبس صوتها من المفاجأة ولم تنطق ببنت شفة. حتى اسبرانثا، التي لم يفتها تفصيل واحد، توقفت عن البكاء. جثت تشييتشا وهى تؤشر على نفسها بإشارة الصليب، بدأت تصلى:

- يا عذراء يا مقدسة التي في السماء، اقبضى إليك روح

السيدة إيلينا حتى تتوقف عن أن تهيم في ظلمات التطهر!

- ماذا تقولين يا تشينتشا، عما تتحدثين؟

- عما سيكون، ألا ترين أنه شبح المرحومة! المسكينة لا بد وأنها تدفع ثمن شيء ما! أنا حتى لا يكون لديك شكوك، لن أعود لا صدقة ولا لأي سبب إلى الاقتراب من هناك!

- ولا أنا.

لو أن ماما إيلينا المسكينة تعلم أن وجودها حتى بعد موتها مازال يسبب رهبة وأن ذلك الخوف من الالتقاء بها قد أتاح لتينا وييدرو الفرصة المثالية لانتهاك حرمة مكانها المفضل بلا عقاب، بتمرغهما بشهوانية فوق سرير خيرتروديس، لكانت ماتت من جديد مائة مرة!

الفصل التاسع

سبتمبر

شيكولاته وكعكة عيد الظهور

المقادير:

رطلان من كاكاو السوكو نوسكو^(٢٣) - رطلان من كاكاو

المارا كاليو - رطلان من كاكاو الكاراكاس - من ٤ إلى ٦

أرطال من السكر حسب النوق

(٢٣) أنواع كاكاو منسوبة إلى أسماء أماكن شهرتها وجودتها.

طريقة العمل

الخطوة الأولى هي تحميص الكاكاو: ولذلك من المناسب استخدام إناء من الصفيح بدلاً من الإناء الفخارى، لأن الزيت الذي يستخلص من الحبوب يضع بين مسام الإناء الفخارى. من المهم جداً الاهتمام بهذه الأنواع من التوجيهات، لأن جودة الشيكولاتة تعتمد على ثلاثة أشياء، أن يكون الكاكاو المستخدم صالحاً ولم يتلف، أن يكون قد اختلطت في صناعته أنواع مختلفة من الكاكاو و أخيراً، درجة تحميصه.

ودرجة التحميص التي ينصح بها هي التي يبدأ فيها الكاكاو في إفراز زيتته. فإذا ما رفعناه من على النار قبل ذلك، فإنه إضافة إلى أنه يفقد لونه ويصبح غير مقبول، يصبح عسير الهضم. ويكون العكس لو ترك أكثر من اللازم فوق النار، فإن الحبوب تحمص أكثر من اللازم و تجعل الشيكولاتة حامضة ولاذعة الطعم. استخلصت تيتا نصف ملعقة صغيرة من هذا الزيت لتخلطه

مع زيت اللوز الحلو لتحضير مرهم رائع للشفاه. ففي الشتاء كانت شفتاها تتشققان دائماً مهما اتخذت من احتياطات. كانت وهي طفلة يضايقها ذلك كثيراً، فكل مرة كانت تضحك فيها كانت شفتاها الغليظتان تتشققان و تدميان مما يسبب لها ألماً مبرحاً. ومع الزمن كانت تستسلم لذلك. وبما أنها الآن ليس لديها أسباب كثيرة، إذا ما أردنا القول، للضحك، فإن ذلك لم يقلقها بالمرة. فقد كانت تنتظر حتى مقدم الربيع حتى تزول التشققات. كان الاهتمام الوحيد الذي كان يدفعها إلى تحضير المرهم هو حضور بعض الزوار ليلاً لمشاركتهم الاحتفال بكعكة عيد الظهور.

كانت تريد أن تكون شفتاها رقيقتين و لامعتين خلال السهرة وذلك للمباهاة وليس لأنها ترغب في الضحك كثيراً. فالشك في أنها حامل لم يكن يشعرها بأن الضحك مرسوم على شفتيها. لم تكن تفكر بالمرة في هذا الاحتمال عند معاشرتها لبيدرو. لم تبلغه بعد بذلك. كانت تفكر في إبلاغه بذلك هذه الليلة، ولكن لم تكن تعرف كيف. ما التصرف الذي سيتخذه بيدرو وما الحل لهذه المشكلة الكبيرة، كانت تجهل ذلك تماماً.

كانت تفضل ألا تعذب نفسها أكثر وأن تبعد الأفكار عن رأسها نحو الأشياء الأكثر بساطة مثل إعداد مرهم جيد. ولهذا ليس هناك أفضل من زبدة الكاكاو. ولكن قبل أن تبدأ في تحضيرها كان من الضروري إعداد الشيكولاته.

عندما يحمص الكاكاو كما أشير، ينقى باستخدام غربال لفصل القشرة عن الحبة.. ويوضع أسفل قاعدة الرحاية التي سيسحق فيها قداحة وعندما تسخن الرحاية، يبدأ طحن الحبوب. يخلط حينئذ بالسكر المسحوق بمطرقة خشبية ويطحنان معاً. ويقسم مباشرة العجين إلى قطع. وتشكل ألواح الشيكولاته الصغيرة باليد، اما أشكال دائرية أو منبسطة، حسب الرغبة، وتترك في الهواء لتجف. ويمكن بطرف السكين أن نحدد الأشكال التي نريدها. وبينما كانت تيتا تشكل قطع الشيكولاته شعرت بحنين إلى أيام عيد الظهور في طفولتها، والتي لم تكن تعاني فيها من مشاكل بهذه الخطورة. كان كل ما يشغلها في تلك الفترة هو أن الملوك المجوس لم تكن تحضر لها ما كانت تريده هي وإنما ما كانت ماما إيلينا ترى أنه الأنسب لها. حتى أنها علمت من عدة سنوات أن المرة الوحيدة التي حصلت فيها على الهدية التي ترغب فيها كان بسبب أن ناتشا قد ظلت فترة تقتصد من مرتبها لتشتري لها "ثينيتو"^(٢٤) كانت قد رآته في واجهة دكان. كانوا يطلقون عليه ثينيتو لأنه كان جهازاً يظهر صوراً على الحائط باستخدام مصباح من الجاز كمصدر للضوء، معطياً تأثيراً يشبه تأثير السينما، ولكن اسمه الحقيقي كان "زوتروبو". كم كانت سعادتها عندما استيقظت صباحاً ووجدته بجوار حذائها. كم مساء استمتعت هي

(٢٤) تصغير كلمة cine سينما.

وشقيقاتها برؤية الصور المتسلسلة مرسومة على قطع من الزجاج،
والتي كانت تمثل مواقف مختلفة من أطرف ما يمكن. كم كانت
تبدولها بعيدة تلك الأيام السعيدة عندما كانت ناتشا بجوارها.
ناتشا! كانت تشتاق إلى رائحتها، رائحة حساء الشعرية
والتشيلاكليس (٢٥) والتشامبوررادو وصلصة المولكا خيته وخبز
بالقشدة وعبق الزمن الماضي، سيظل إلى الأبد فائقاً مذاق
طعامها، أتولها، شايتها، ضحكاتها، كمادات صدغيها، طريققتها
في تضفير شعرها و تغطيتها في الليل ورعايتها لها في المرض
وطهيها لها ما تشتهى و الشيكولاته المخفوقة التي كانت من
إعدادها. لو تستطيع إعادة لحظة واحدة من تلك الفترة لاسترجاع
قليل من سعادة تلك اللحظات و تستطيع إعداد كعكة عيد الظهور
بنفس حماس تلك الأيام! لو تستطيع أن تأكلها فيما بعد مع
شقيقاتها كما كان في الزمن الماضي، بين مزاح ونكات، عندما لم
تكونا بعد هي وروساورا في نزاع على حب رجل، عندما كانت
خيرتروديس لا تعرف أنها ستهرب من البيت وتعمل في بيت
دعارة وعندما كان يحدوها الأمل، بخروج دمية كعكة عيد الظهور
من نصيبها، بأن ما تتمناه سوف يتم حرفياً بمعجزة. لقد علمتها
الحياة أن الأمور ليست بهذه السهولة، وأن قليلين الذين بالرغم من
ذكائهم هم الذين يستطيعون تحقيق رغباتهم على حساب ما يكون

(٢٥) لون من ألوان الطعام قوامه أقراص الذرة المطبوخة بمرق حار.

وأن الحصول على حق تحديد مسار حياتها الخاصة سوف يكلفها أكثر مما تتصور. كان عليها أن تتحمل هذا الصراع و حدها وكان ذلك ثقيلاً عليها. لو كانت أختها خيرتروديس على الأقل بجوارها! لكن كان يبدو ممكناً عودة ميت إلى الحياة على أن تعود خيرتروديس إلى البيت. لم تعد تسمع عنها أى أخبار، منذ أن سلمها نيكولاس ملابسها في بيت الدعارة الذي سقطت فيه. وأخيراً، تاركة في الهواء ذكرياتها بجانب قطع الشيكولاته التي انتهت من إعدادها لتوها، بدأت تيتا في إعداد كعكة عيد الظهور.

المقادير:

- ٣٠ جم من الخميرة الطازجة - كيلو وربع من الدقيق -
- ٨ بيضات - ملعقة كبيرة من الملح - ٢ ملعقة من ماء الزهر
- فنجان ونصف من الحليب - ٣٠٠ جم من السكر -
- ٣٠٠ جم من الزيت - ٢٥٠ جم من الفاكهة المجففة - دمية
- من الخزف

طريقة العمل

تخلط الخميرة باليدن أو بشوكة مع ربع كيلو من الدقيق مع إضافة قليلاً بقليل ١/٢ فنجان من الحليب الدافئ. عندما تخلط المقادير جيداً تعجن قليلاً وتترك لتخمر على شكل كرة حتى يصبح العجين ضعيف حجمه.

ظهرت روساورا في المطبخ في نفس اللحظة التي تركت فيها تيتا العجين ليخمر. جاءت تطلب مساعدتها في تنفيذ نظام الطعام الخاص الذي وضعه لها جون. فمذ أسابيع وهي تعاني من مشاكل خطيرة في الهضم، كانت تعاني من غازات ورائحة كريهة بالفم. كانت روساورا تشعر بالكرب نتيجة هذه التقلبات إلى درجة أنها اضطرت إلى اتخاذ قرار بأن تنام هي وييدرو في غرفتين منفصلتين. كانت بهذه الطريقة تقلل من معاناتها بأن تطرد الغازات حسب راحتها. كان جون قد أوصاها بالامتناع عن أغذية مثل الجذريات والبقول، وأن تمارس نشاطاً جسمانياً. كان الأمر الأخير صعباً عليها لشدة بدانتها. لم يكن هناك تفسير لسبب أنها منذ أن عادت للإقامة في المزرعة، وقد بدأت في البدانة بهذه الدرجة، فقد كانت تأكل بشكل معتاد. ولكن كان تحريك جسدها الهلامى الضخم يكلفها مجهوداً كبيراً. كل هذه المساوئ كانت تسبب لها مشاكل لا حصر لها، ولكن أخطرها كان تزايد تباعد بيدرو عنها يوماً بعد يوم. لم تكن تلومه: فهي بنفسها لم تكن تتحمل رائحة غازاتها الكريهة. لم تعد تتحمل أكثر من ذلك.

كانت أول مرة تفتح فيها روساورا قلبها لتيتا وتناقش معها هذه المواضيع. بل واعترفت لها أنها لم تتقرب منها من قبل لغيرتها منها. فقد كانت تعتقد أن بينها وبين بيدرو علاقة عاطفية دفيئة، مسترة خلف الظواهر. لكنها الآن وهي ترى مدى حبها

لجون وقرب زواجها منه ، فإنها قد أدركت استحالة استمرارها في أن تكن هذا النوع من الظنون . اعترفت لها بأن مازال هناك الوقت لإقامة صلة طيبة بينهما . والحقيقة أن العلاقة روساورا - تيتا كانت حتى الآن مثل التي بين الماء في الزيت المغلى ! رجتها والدموع في عينيها بأن تقدم لها معروف ألا تحمل لها أى حقد ، لأنها تزوجت بيدرو . وطلبت منها نصيحتها لاستردادته . كما لو كانت هي المؤهلة لإعطائها ذلك النوع من النصائح ! قالت لها روساورا بحزن إن بيدرو لم يقترب منها عاطفياً منذ شهور . كان يتهرب منها بالفعل . لم يكن هذا يشغلها كثيراً فلم يكن بيدرو ممن يميلون للإفراط الجنسي . ولكن مؤخراً لم يكن كذلك فقط ، وإنما لاحظت من تصرفاته رفضاً صريحاً لشخصها .

وأكثر من ذلك ، أنها تستطيع أن تحدد بالضبط منذ متى ، أنها تتذكر تماماً . منذ الليلة التي بدأ فيها شبح ماما إيلينا في الظهور . كانت هي مستيقظة في انتظار عودة بيدرو من نزهة كان يقوم بها . عندما عاد ، لم يلتفت حتى لروايتها عن الشبح ، كان مثل الغائب . حاولت أثناء الليل أن تعانقه ، لكنه ، إما كان مستغرقاً في النوم ، أو كان يتظاهر بذلك ، فلم يستجب لتلميحاتها . بعد ذلك سمعته وهو يبكي بصوت خافت . ولكنها تظاهرت بدورها أنها لم تسمعه .

كانت تشعر أن بدانتها وغازات بطنها ورائحة فمها الكريهة

تبعد بيدرو عنها بشكل قاطع كل يوم أكثر ولم تكن تجد حلاً لذلك. وعليه فقد طلبت منها مساعدتها. كانت تحتاجها أكثر من أى وقت مضى ولم يكن أمامها أحد سواها للجوء إليه. كان موقفها يزداد خطورة يوماً بعد يوم. لم تكن تعرف كيف سيكون رد فعلها لما "سيقولون" إذا هجرها بيدرو، لن تتحمل ذلك. كان عزاؤها الوحيد الباقي لها هو على الأقل ابنتها اسبرانشا، فهي عليها واجب البقاء بجانبها إلى الأبد.

حتى هذه اللحظة كان كل شئ يسير على ما يرام، فالكلمات الأولى لروساورا سببت وخزاً في ضمير تيتا. ولكنها ما أن سمعت للمرة الثانية ما سيكون مصير اسبرانشا حتى بذلت مجهوداً كبيراً حتى لا تصرخ في أختها بأن هذه الفكرة كانت من أضل الأفكار التى سمعتها في حياتها. لم تستطع في هذه اللحظات أن تبدأ نقاشاً بينهما يمكن أن يؤدي إلى القضاء على حسن النية التى كانت تشعر بها نحو روساورا لتعويضها عن الألم الذي كانت تسببه لها. هكذا وبدلاً من أن تشطح بأفكارها، وعدت أختها بأن تعد لها نظاماً غذائياً خاصاً لمساعدتها على خفض وزنها. وأعدت لها بلطف وصفة سهلة ضد رائحة الفم الكريهة: "أساس رائحة الفم الكريهة يكون المعدة و الأسباب التى تساهم في وجودها متعددة. ولإزالتها يجب البدء بعمل غرغرة من الماء والملح، مع استنشاقه في نفس الوقت من الأنف،

والمخلوط ببعض قطرات خل الكافور المسحوق . يجب في نفس الوقت مضغ أوراق النعناع باستمرار . إن المواظبة على الخطة المطروحة تكون كفيلة وحدها بتطهير أكثر روائح الفم كراهة " .

شكرت روساورا تيتا شكراً لا حدود له لمعاونتها و خرجت مسرعة إلى الحديقة لجمع أوراق النعناع ، ولكن ليس قبل أن تتوسل إليها بأن تتكتم تماماً هذا الموضوع الحساس . ظهر ارتياح كبير على وجه روساورا . على عكس تيتا التي كانت محطمة . ما هذا الذي فعلته ! كيف يمكن تعويض الضرر لروساورا و لبيدرو ولها ذاتها و لجون ؟ وبأى وجه سوف تستقبله خلال أيام ، عندما يعود من رحلته ؟ جون ، الإنسان الوحيد الذي له أفضال يشكر عليها ، جون ، الذي أعاد إليها سلامة عقلها ، جون ، الذي عرفها طريق الحرية .

جون ، السلام ، السكينة ، الصواب . إنه لا يستحق في الحقيقة هذا ! ماذا القول له ، ما العمل ؟ كان الأفضل مؤقتاً متابعة إعداد كعكة عيد الظهور ، فقد أصبحت العجينة التي تركتها لتخمر بينما كانت تتحدث مع روساورا ، جاهزة للخطوة التالية :

تكوّن دائرة بكيلو الدقيق فوق المنضدة و توضع في وسطها كل المقادير ، ويبدأ في عجنها مبتدئين من الوسط ، و نأخذ قليلاً بقليل من دقيق الدائرة حتى يمزج بأكمله . وعندما يزداد حجم العجين الذي به الخميرة إلى الضعف ، يخلط مع هذا العجين

الآخر خلطاً تاماً حتى نصل إلى أن ينفصل من اليدين بكل سهولة. يتم إزالة العجين الملتصق بالمنضدة بواسطة حسكة سنبله ويضاف أيضاً إلى باقي العجين. عندئذ يتم وضع العجين في وعاء عميق مدهون بالسمن. يغطى بفوطة و ينتظر أن يرتفع من جديد للضعف. يجب الأخذ في الاعتبار أن العجين يحتاج إلى حوالي ساعتين حتى يتضاعف حجمه، ومن المهم أن يتم ذلك ثلاث مرات، قبل إمكانية وضعة في الفرن.

عندما كانت تيتا تغطي الوعاء الذي وضعت به العجين ليخمر بفوطة، ضربت عاصفة ريح قوية باب المطبخ ففتحه على مصراعيه وأدت إلى غزوه بيرد قارس. طارت الفوطة في الهواء وسرت في ظهر تيتا رجفة جليدية. أدارت ظهرها ووقفت مذهولة وجهاً لوجه أمام ماما إيلينا التي كانت تنظر لها بحدة.

- قلت لك عدة مرات ألا تقربى ييدرو. لماذا فعلت

ذلك ؟

- ... أنا حاولت ذلك يا مامى ... لكن ...

- لكن لا شيء! إن ما فعلته ليس له اسم! هل نسيت ما هي الأخلاق، والاحترام و العادات الحسنة! أنت لا تساوين شيئاً، أنت إنسانة فقيرة لا تحترم حتى ذاتها. لقد لوثت اسم العائلة كلها، من أول اسم لأسلافي إلى اسم ذلك المخلوق اللعين الذي تحملينه بين أحشائك!

- لا! ابني ليس ملعوناً!

- نعم هو كذلك! أنا ألعنه! هو و أنت إلى الأبد!

- لا، أرجوك.

أدى دخول تشينتشا المطبخ إلى أن أدارت ماما إيلينا ظهرها وخرجت من نفس الباب الذي كانت قد دخلت منه.

- أغلقى الباب يابنتى، ألا ترين برودة الجو؟ أراك مؤخراً شاردة للغاية. ماذا يحدث لك؟

لا شيء. كل ما كان يحدث لها هو أن الدورة الشهرية تأخرت لديها شهراً؛ والشك في أن تكون حاملاً؛ كان عليها أن تقول ذلك لجون عندما يعود للزواج منها، عليها أن تلغى ذلك الزواج، عليها أن تغادر تلك المزرعة إذا كانت ترغب في أن تلد مولودها بلا مشاكل، عليها أن ترفض بيدرو إلى الأبد؛ لأنها لا تريد أن تسبب آلاماً أكثر من ذلك لروساورا.

ذلك كل ما كان يحدث لها! لكنها لم تكن تستطيع النطق به. فإنها لو فعلت ذلك مع تشينتشا ذات الطبيعة المحبة للحديث عن سيرة الناس، فسوف تعرفه القرية في اليوم التالى. فضلت عدم إعطائها أية إجابة وأن تغير الموضوع في عجلة، بنفس الطريقة التي كانت تشينتشا تتبعها معها عندما كانت تفاجئها في خطأ ما.

- ياللبشاعة! إن العجين يطفح. دعيني أكمل الكعكة، وإلا فسوف يهبط الليل علينا دون أن ننتهي.

لم يكن العجين يطفح بعد من الوعاء الذي وضعت فيه ليخمر، ولكنها كانت حجة مثالية لإبعاد انتباه تشيتشا إلى موضوع آخر.

عندما يتضاعف حجم العجين للمرة الثانية، يفرغ على المائدة ونصنع منه مستطيلاً. ويوضع في وسطه، إذا ما رغب، بعض الفواكه المكسوة و المقطعة. وإلا، فيكتفى فقط بالدمية الخزفية التي توضع في مكان غير معين. يتم لف المستطيل بوضع أحد طرفيه فوق الآخر ويوضع فوق صاج مدهون بالسمن و الدقيق مع وضع الوصلة إلى أسفل. وتأخذ شكل الكعكة اللولبية مع ترك مسافة كافية بينها وبين حواف الصاج لأن حجم العجين سوف يتضاعف مرة أخرى. في أثناء ذلك يتم إشعال الفرن للحصول على درجة حرارة مناسبة في المطبخ، إلى أن تنتهي عملية تخمر العجين.

قبل وضع الدمية الخزفية في الكعكة، تأملتها تيتا بتمعن. حسب التقليد، فإن ليلة السادس من يناير تقطع الكعكة و الشخص الذي يجد الدمية المخبأة داخل الكعكة فإنه يكون مضطراً إلى إقامة حفل يوم الثاني من فبراير، يوم تطهير العذراء، وهو

يوم رفع المسيح الطفل . منذ أن كن أطفالاً وقد تحول هذا التقليد إلى نوع من المنافسة بينها وبين أخواتها . كانت تعتبر محظوظة جداً من يحالفها الحظ و تجد هي الدمية . فكانت تستطيع في الليل أن تطلب أمنية وهي تضغط عليها بقوة بكلتا يديها .

كانت تفكر وهي تتأمل بدقة التقاطيع الدقيقة للدمية كيف كان من السهولة تمنى أشياء خلال الطفولة . لم يكن هنالك حينئذ مستحيلات . عندما ينمو الإنسان فإنه يتنبه إلى كل ما لا يمكن أن يتمناه لأنه شيء محرم ، أثيم ، فاحش .

لكن ما هو الحياء ؟ أن يرفض الإنسان كل ما يريده حقيقة؟ ليتها ما كبرت بالمرّة ، ولا عرفت بيدرو و لا كانت مضطرة إلى الرغبة في ألا تكون حاملاً منه . ياليت أمها تتوقف عن تعذيبها ، و عن ملاقاتها في كل ركن وأن تصرخ فيها لخسة سلوكها . ليت اسيرانثا تتزوج دون أن تستطيع روساورا منعها وألا تعرف أبداً تلك الهموم والآلام ! ليت هذه الطفلة يكون لديها القوة التي كانت عند خيرترووديس لتهرب من البيت ، في حالة ضرورة ذلك ! ليت خيرترووديس تعود إلى البيت لتعطى تيتا المساندة التي كانت في حاجة شديدة إليها في هذه اللحظات ! . أدخلت الدمية و هي تطلب الأمنيات في الكعكة و تركتها فوق المنضدة ، حتى تتابع مضاعفة حجمها .

عندما يتضاعف حجم العجين للمرة الثالثة، تزين بالفواكه المجففة، و يدهن سطحها ببيضة مخفوقة و يوضع فوقها السكر. توضع في الفرن لمدة عشرين دقيقة ثم تترك لتبرد.

بعد أن تم تجهيز الكعكة، طلبت تيتا من بيدرو مساعدتها في حملها إلى المنضدة. كان بإمكانها طلب مساعدة أى كان ولكنها كانت تحتاج إلى التحدث إليه على انفراد.

- بيدرو، أريد التحدث إليك على انفراد.

- هذا سهل جداً. لماذا لا تذهبن إلى الحجرة المظلمة ؟ يمكن هناك التحدث دون أن يضايقنا أحد. لى أيام وأنا في انتظار ذهابك.

- ما أريد ذكره يدور حول تلك الزيارات بالذات.

أدى دخول تشينتشا إلى قطع الحديث، جاءت تعلن أن أفراد أسرة لوبو وصلوا لتوهم وليس أمامهم سوى انتظارهما لقطع الكعكة. لم يكن حينئذ أمام تيتا وبيدرو سوى إلغاء الحديث وحمل الكعكة إلى حجرة الطعام، حيث كان الانتظار بقلق. وهما يعبران الممر، رأت تيتا أمها واقفة بجانب حجرة الطعام، وهى تطلق نحوها نظرة حنق. توقفت تيتا. بدأ البولكيه في النباح لما إيلينا التي كانت تتجه نحو تيتا متوعدة. كان شعر ظهر الكلب منتصباً من الخوف وكان يسير بوضع دفاعي، إلى الوراء.

أدى انصعاقه إلى أن وضع إحدى أرجله الخلفية داخل المبولة النحاسية التي كانت في نهاية الممر، بجوار السرخس (٢٦)، و التي عند محاولته الخروج جرياً، دفعها بذيله على الأرض فروت كل الأنحاء بما كانت تحتويه.

أدى الضجيج إلى لفت إنتباه الاثنى عشر ضيفاً، الذين كانوا متجمعين في الصلاة. أطلوا على الممر وهم فزعون وكان على بيدرو أن يشرح لهم أن البولكيه، ربما بسبب الشيخوخة، كان يأتي مؤخراً بهذا النوع من التصرفات الغامضة، لكن كل شئ تحت السيطرة. تنبّهت باكيثا لوبو بالطبع إلى أن تيتا كانت على وشك فقدان وعيها. طلبت أن يقوم آخر بمساعدة بيدرو في حمل الكعكة إلى حجرة الطعام، لأنها كانت ترى تيتا متوعكة. أخذتها من ذراعها و اصطحبتها إلى الصلاة. أشمموها نشادر وبعد لحظة استعادت وعيها تماماً. قرروا بعد ذلك التوجه إلى حجرة الطعام. وقبل الخروج، أوقفت باكيثا تيتا و سألتها:

- هل أنت بخير الآن ؟ ألاحظ أنك مازلت دائخة. وعليك نظرة! لو لم أكن أعلم تماماً أنك فتاة شريفة. لأقسمت أنك حامل.

أجابتها تيتا وهي تضحك محاولة عدم إعطائها أهمية:

(٢٦) نبات زينة.

- حامل ؟ لا يخطر سوى في بالك أنت فقط ! وما شأن
النظرة بذلك؟

- أنا أستطيع أن أرى مباشرة في عيون أى امرأة متى تكون
حاملًا.

شكرت تيتا ربها أن البولكيه قد أنقذها من جديد من موقف
صعب، فالضجيج المستشاط الذي أثاره في الفناء تفادى أن تضطر
إلى متابعة الحديث مع باكيئا. بالإضافة إلى نباح البولكيه سمعت
أصوات عدة أحصنة. كان كل المدعوين في البيت. من يكون في
هذا الوقت ؟ توجهت تيتا مباشرة إلى الباب، فتحسته فرأت كيف
يحتفى البولكيه بالشخص الذي جاء في مقدمة رفقة من الثوار.
لم تتبين إلا عندما اقتربوا بما فيه الكفاية، فلم يكن سوى أختها
خيرتروديس. كان يمتطي حصاناً بجانبها من أصبح الآن الجنرال
خوان اليخاندريث، وهو نفسه الذي كان قد خطفها منذ زمن
مضى. هبطت خيرتروديس من فوق الحصان، وقالت بصخب:
كما لو لم يمض الزمن، إنها لعلمها أنه يوم تقطيع كعكة عيد
الظهور، فإنها قد حضرت من أجل فنجان من الشيكولاته
المخفوقة توأ. عانقتها تيتا و هى متأثرة وصاحبته مباشرة إلى
المنضدة لتحقيق لها رغبتها. كانوا يصنعونها في البيت بطريقة لا
يجاريهم فيها أحد، فقد كانوا يهتمون جداً بكل خطوة من
الخطوات المتبعة في عملها، من صنع الشيكولاته و حتى خفقتها و

هو فصل آخر مهم جداً. إن عدم المهارة في خفقتها يمكن أن يؤدي إلى تحول أى شيكولاتة فائقة الجودة إلى غير مستساغة إما بسبب عدم غليها جيداً أو أنها زادت عن درجة غليانها أو أن قوامها غلظ جداً أو حتى احترقت.

إن طريقة تفادى كل العيوب السابقة بسيطة جداً: يوضع على النار لوح شيكولاتة مع الماء. يجب أن تكون كمية الماء أكبر بقليل من التي يحتاجها ملء الوعاء الذي ستغلى فيه. وعند أول غليان، تبعد عن النار وتذاب الشيكولاتة تماماً، تضرب بمضرب حتى تختلط تماماً بالماء. ثم ترفع مرة أخرى على النار. وعندما تغلى مرة أخرى و تبدأ في الفوران، ترفع من فوق النار. ثم توضع مرة أخرى مباشرة وهكذا حتى تبدأ في الغليان للمرة الثالثة. عندئذ ترفع من فوق النار للمرة الأخيرة و تخفق. يغرف نصفها في وعاء و يخفق الباقي مرة أخرى. عندئذ تغرف كلها بحيث تمتلئ حواف الوعاء بالرغاوى. يمكن أيضاً صنعها بالحليب بدلاً من الماء. ولكن في هذه الحالة تغلى مرة واحدة فقط وفي المرة الثانية توضع على النار وتخفق حتى لا يغلظ قوامها أكثر من اللازم. إن الشيكولاتة المخفوقة المعدة بالماء تكون أسهل هضماً من التي بالحليب.

كانت خيرتروديس تغلق عينيها في كل مرة ترتشف فيها من فنجان الشيكولاتة الذي كان أمامها. إن الحياة تكون أكثر حلاوة إذا

استطاع الإنسان أن يحمل إلى أي مكان يشاء نكهات و زوائج بيت الأم. حسناً، إن هذا لم يعد بيت أمها. إن أمها قد ماتت دون أن تدري..

شعرت بالحزن الشديد عندما أخبرتها تيتا بذلك. لقد عادت بهدف أن تثبت لماما إيلينا إنها انتصرت في الحياة. كانت جنرالة في الجيش الثوري. لقد فازت بهذا المنصب بالجهد، بكفاحها الذي لا يضارع في ميدان المعركة. كانت تحمل في دماغها موهبة القيادة، ولهذا عندما انضمت إلى الجيش، بدأت بسرعة في الترقى في مناصب السلطة إلى أن وصلت إلى أفضل منصب، وليس ذلك فقط، عادت سعيدة متزوجة من خوان. كانت قد قابلته بعد عام لم تره فيه وقد بعثت بينهما نفس العاطفة التي كانت يوم أن تعارفا. ماذا يمكن أن يطلب الإنسان أكثر من ذلك! كم كانت تتمنى أن تراها أمها وكم كانت ترغب في أن تعود لرؤيتها، حتى لو كان فقط لكي تشير لها بنظرتها أن عليها أن تستخدم الفوطة لتنظيف بقايا الشيكولاته التي فوق شفيتها.

كانت هذه الشيكولاته معدة مثل الأيام الماضية.

تضرعت خيرتروديس بصلاة في صمت و عيناها مغمضتان راجية أن تعيش تيتا سنوات طويلة أكثر لتطبخ و صفات العائلة. فلا هي ولا روساورا كانت لديهما المعرفة بذلك. وعليه فإن اليوم الذي تموت فيه تيتا ستموت معها المعرفة بذلك. عندما انتهى

الجميع من العشاء انتقلوا إلى الصالة حيث بدأ الرقص . كان الصالون مضيئاً تماماً بكمية هائلة من الشموع . أدهش خوان المدعويين بروعة عزفه للجيتارة و الهارمونيكا والاكورديون . كانت خيرتروديس تتابع نغمات القطع الموسيقية التي كان خوان يعزفها وهي تضرب الأرض بطرف حذاءها ذي الرقبة .

كانت تنظر له بفخر من نهاية الصالون حيث كانت محاطة بحاشية من المعجبين يحاصرونها بأسئلة حول مشاركتها في الثورة . كانت خيرتروديس تروى لهم بطلاقة كبيرة ، وهي تدخن ، حكايات خيالية عن المعارك التي اشتركت فيها . كانوا مندهشين في تلك اللحظة و هي تروى لهم كيف كانت أول عملية إعدام أمرت بها . ولكنها بدون أن تتمالك نفسها ، قطعت الحكاية و اندفعت إلى وسط الصالون حيث بدأت في الرقص بطرف رقصة البولكا (٢٧) خيزويتا في تشيهوا هوا ، التي كان خوان يعزفها بمهارة على الاكورديون الشمالي ، كانت ترفع جونلتها حتى الركبة بفجور وهي تومئ بعدم حياء مفرط .

أدى هذا السلوك إلى تعليقات مستنكرة من جانب النساء المجتمعات هناك .

قالت روساورا ليتا في أذنها .

- لست أدري من أين أتت خيرتروديس بتلك الحركات

(٢٧) اسم رقصة بوهيمية الأصل .

الراقصة . إن ماما إيلينا لم يكن يعجبها الرقص ويقولون إن بابا كان رقصه سيئاً للغاية .

هزت تيتا كتفيها كعلامة إجابة ، بالرغم من أنها كانت تعرف تماماً ممن ورثت خيرترووديس الرقص و أشياء أخرى . كانت تعتقد أن هذا السر سوف تحمله معها حتى إلى القبر ، ولكنها لم تستطع ذلك . فبعد عام وضعت خيرترووديس ابناً أسمر . ثار خوان وهدد بهجرها . فلم يغفر لخيرترووديس عودتها إلى السوء . عندئذ قامت تيتا ، إنقاذاً لذلك الزواج ، بالاعتراف بكل شيء . لحسن الحظ لم تكن قد تجرأت على حرق الرسائل ، أما الآن ومع " الماضي الأسود " لأُمها ، فإن هذه الخطابات قد ساعدتها تماماً كدليل على إظهار براءة خيرترووديس .

على كل الأحوال كانت صدمة صعب استيعابها ، لكن على الأقل لم ينفصلا ، بل عاشا معاً للأبد وأمضيا أوقاتاً وهما سعيدان أكثر منهما حانقين .

وكما كانت تعلم سبب رقص خيرترووديس ، علمت سبب فشل زواج أختها وسبب حملها . كانت ترغب الآن في معرفة الحل الأفضل . كان ذلك هو الأمر الهام . ومن حسن الحظ أن لديها الآن من يمكن أن تأمنه على همومها . كانت تأمل في بقاء خيرترووديس في المزرعة وقتاً كافياً لتستطيع سماعها وإسداء النصيحة لها . كانت تشيئتشا تتمنى عكس ذلك . كانت غاضبة من

خيرتروديس ، حسناً ، ليس منها بالذات بل من العمل الذي كانت تتولاه في خدمة جنودها . فبدلاً من أن تستمتع بالعيد ، كان عليها في تلك الساعة من الليل أن تضع منضدة كبيرة في الفناء و صنع شيكولاته لخمسين رجلاً من جنودها .

الفصل العاشر

الكوب

حلو تورريخاس^(٢٨) القشدة المضروبة بالسكر

المقادير:

٦ بيضات - فنجان من القشدة وسكر البودرة - قرفة
- زيت القلى - شراب للسقى

(٢٨) قطع من الخبز تسقى بالحليب أو النبيذ أو السكر وتقلي.

طريقة العمل

يُكسر البيض ويُفصل البياض عن الصفار . يقلَّب صفار الست بيضات مع فنجان القشدة المضروبة بالسكر . تخفق المقادير حتى تلين . عندئذ تصب في إناء مدهون بالزبد . لا يجب أن يزيد سمك هذا الخليط عن ارتفاع إصبع داخل صينية التورته . يوضع فوق نار هادئة جداً ويترك حتى يتماسك .

كانت تيتا تعد تلك الأكلة استجابة لطلب صريح من خيرتروديس ، لأنه كان طبقها المفضل . لم تأكله منذ فترة طويلة وكانت تريد تناوله قبل ترك المزرعة في اليوم التالي . كانت أمضت في البيت أسبوعاً واحداً فقط وهو أكثر بكثير مما كانت خططته . بينما كانت خيرتروديس تدهن الإناء الذي ستضع فيه تيتا القشدة المضروبة بالسكر ، لم تتوقف عن الكلام ، كان لديها الكثير لروايته لها حتى إنها لو ظلت شهراً تتحدث فيه نهائياً وليلاً ما استطاعت استنفاده . كانت تيتا تستمع لها باهتمام كبير ، كانت تخشى توقفها عن الكلام ، لأن حينئذ سيأتي دورها في ذلك . كانت تعلم أنه لم

يعد أمامها سوى اليوم فقط لتحكى لخيرترووديس مشكلتها وبالرغم من أنها كانت لديها رغبة قاتلة في مصارحة أختها بما في صدرها، كانت تملؤها الهموم للموقف الذي يمكن أن تتخذه هذه منها. كانت إقامة خيرترووديس وفرقتها في البيت قد وفرت لتيتا راحة نفسية كبيرة بدلاً من أن تثقل عليها بالعمل.

فوجود أناس بهذا الكم في كل أنحاء البيت و الألفية، جعل من المستحيل التحدث مع بيدرو وأن يطلب منها لقاء في الحجرة المظلمة. كان ذلك يشعر تيتا بالراحة، فلم تكن بعد مستعدة للتحدث معه. فقبل أن تفعل ذلك كانت ترغب في دراسة الحلول الممكنة لمشكلة حملها جيداً، وأن تتخذ قراراً. فمن جهة كانت هي وبيدرو وفي الأخرى كانت أختها في وضع غير موات بالمرّة، لم يكن لدى روساورا شخصية، كانت تهمها جداً المظاهر في المجتمع، ظلت على بدانتها وكريهة الرائحة، فلم تستطع ولا بالعلاج الذي أعطته لها تيتا أن تهدئ من حدة مشكلتها. ماذا يمكن أن يحدث إذا هجرها بيدرو بسببها ؟ كم ستُضر روساورا ؟ ماذا سيحدث لاسبرانثا ؟

- لقد سئمت حديثي. أليس كذلك ؟

- بالطبع لا يا خيرترووديس. لماذا تقولين ذلك ؟

- لا لشيء سوى لأنني أراك شاردة النظرات منذ برهة.

فأخبريني ماذا بك ؟ هل يتعلق الأمر ببیدرو، حقاً ؟

- نعم .

- إذا كنت مازلت تحببته . كيف إذن ستزوجين من جون ؟

- لن أستطيع أن أتزوجه ، لا أستطيع ذلك .

عانقت تيتا خيرترووديس وبكت على كتفها بصمت .

ربتت خيرترووديس على شعرها بحنان . ولكن دون أن تهمل
حلو التورريخاس الذي كان على الموقد . سيكون مؤسفاً ألا
تستطيع أكله . ولما كان على وشك الاحتراق ، أبعدت تيتا عنها
وقالت برقة :

- دعيني فقط أرفع هذا من فوق النار وتتابعى البكاء حالاً .

أليس كذلك ؟

لم يكن أمام تيتا إلا أن تضحك لأن خيرترووديس في تلك
اللحظات كانت أكثر انشغالاً بمستقبل التورريخاس أكثر منها ، كان
هذا التصرف مفهوماً بالطبع ، فمن جهة كانت خيرترووديس تجهل
خطورة مشكلة أختها ومن جهة أخرى كانت لديها رغبة قوية في
أكل التورريخاس .

سحبت تيتا بنفسها وهي تمسح دموعها ، الحلة من فوق
النار ، لأن يد خيرترووديس احترقت وهي تحاول ذلك .

عندما تبرد فطيرات القشدة، تقطّع إلى مكعبات صغيرة،
في حجم لا يجعلها سهلة الكسر. يضرب البياض لكى تغمس فيه
مكعبات القشدة ثم تقلى بعد ذلك في الزيت. وأخيراً توضع في
شراب السكر وترش بالقرفة المطحونة.

وبينما تركتا مكعبات القشدة لتبرد لإمكانية رشها بعد ذلك،
اعترفت تيتا لخيرترووديس بكل مشاكلها. أظهرت لها كيف أن
بطنها منتفخ وأن ملابسها وجونلاتها قد ضاقت عليها. ثم حكّت
لها كيف عند استيقاظها كل صباح كانت تشعر بدوار وغثيان
وكيف أن نهديها يؤلمانها بشدة ولا تتحمل أن يلمسهما أحد. وفي
النهاية، كمن لا يرغب في الأمر، قالت لها إن ذلك قد يكون،
من يدرى، ربما، محتمل جداً، بسبب أنها في بداية حمل.

استمعت لها خيرترووديس بهدوء وبدون أى اندهاش ولو
للحظة. فخلال الثورة كانت قد رأت وسمعت أشياء أسوأ من
هذه بكثير.

- أخبرينى، هل تعلم روساورا بذلك ؟

- لا، لا أعلم ماذا ستفعل إذا علمت بالحقيقة.

- الحقيقة! الحقيقة! انظرى يا تيتا، الحقيقة البهتة هو أن

الحقيقة ليست قائمة، إنها تعتمد على وجهة نظر كل إنسان.
فمثلاً، في حالتك، يمكن أن تكون الحقيقة أن روساورا قد

تزوجت من بيدرو، بسوء نية، دون أن يهمها قيد أنملة أنكما كنتما متحابين بحق، حقيقى أننى لا أكذب ؟

- بلى. لكن المسألة هى أنها هى الآن الزوجة، ولست أنا.

- وما أهمية ذلك! هل غير ذلك الزواج شيئاً فيما كان

بيدرو وأنت تشعران بحق؟

- لا.

- لا حقيقة ؟ بالطبع ! لأن ذلك هو أحد أشد حالات الحب

صدقاً التي رأيتها بحق في حياتى. وقد ارتكبتما أنت وبيدرو خطأ

بكتمان حقيقته. لكن مازال الوقت أمامكما. انظرى، لقد ماتت

ماما، و الحقيقة أنها لم تكن تفهم الأسباب، لكن الأمر مع

روساورا مختلف، فهى تعلم جيداً الحقيقة و يجب أن تفهمها،

بل وأكثر من ذلك، أعتقد أنها كانت تعيها دائماً في أعماقها.

لذلك فليس أمامكما إلا إعلان حقيقة ما بينكما ووضع نهاية

لذلك.

- أتنصحيننى إذن بأن أتحدث معها ؟

- انظرى، إننى أخبرك بما يمكن أن أفعله لو كنت مكانك،

لماذا لا تذهبين لإعداد شراب السكر الخاص بحلو التورريخاس ؟

أقول، لكى نبكر، لأن في الحقيقة الوقت بدأ يتأخر. قبلت تيتا

الاقتراح وبدأت في عمل شراب السكر، وهى تفكر في كلمات

أختها بالتفصيل . كانت خيرتروديس تجلس في مواجهة باب المطبخ الذي يفضى إلى الفناء الخلفى ، وكانت تيتا على الجانب الآخر من المنضدة وظهرها للباب ، مما كان مستحيلاً معه أن ترى بيدرو وهو قادم نحو المطبخ ، وهو يحمل جوالاً من الفاصوليا لإطعام فرقة الجند . عندئذ حسبت خيرتروديس استراتيجياً ، مستغلة خبرتها الكبيرة في ميدان المعركة ، الزمن الذي سوف يستغرقه بيدرو ليجتاز عتبة الباب ، لتطلق نحوه في تلك اللحظة الدقيقة هذه الكلمات :

- . . . وأعتقد أنه من المستحسن إذن أن يعلم بيدرو أنك تنتظرين ابناً منه .

نجحت جداً في إصابة الهدف ! فقد ترك بيدرو وهو مصعوق الجوال يسقط على الأرض . كان يموت حياً لتيتا التي أدارت ظهرها منزعة فوجدت بيدرو الذي كان ينظر إليها متأثراً إلى درجة البكاء .

- بيدرو ! من حسن الصدفة أنك جئت ! إن أختي تريد أن تخبرك بشئ ، لماذا لا تذهبان إلى البستان لتحدثا ، بينما أكمل أنا إعداد شراب السكر ؟

لم تكن تيتا تعرف هل تعاتب خيرتروديس أم تشكرها على تدخلها . سوف تحدثها فيما بعد ، لكن الآن لم يكن أمامها سوف فعل ذلك مع بيدرو . أعطت تيتا لخيرتروديس وهى صامته ، الإناء

الذي كان بين يديها والذي كانت قد بدأت تعد فيه شراب السكر وأخرجت من درج المنضدة ورقة مجمعة مكتوب بها وصفة شراب السكر وتركتها لخيرتروديس حتى إذا ما احتاجتها. وخرجت من المطبخ يتبعها بيدرو.

كانت خيرتروديس في حاجة بالطبع للطريقة. فبدونها لا تستطيع عمل أى شىء! بدأت تقرؤها بحرص محاولة اتباع خطواتها: يضرب بياض بيضة في ربع لتر ماء تقريباً لكل رطلين أو قالب من السكر، وبياض بيضتين في نصف لتر ماء تقريباً لخمسة أرطال من السكر وبنفس النسبة من أجل كمية أكبر أو أقل. يغلى شراب السكر حتى يفور ثلاث مرات، يُهدأ الغليان بقليل من الماء البارد الذي يضاف إليه في كل مرة يفور فيها. عند ذلك يبعد عن النار، يترك ليبرد وتزال رغوته، يضاف إليه بعد ذلك قليل آخر من الماء مع قطعة من قشر البرتقال والينسون و القرنفل ويترك ليغلى. تزال رغوته مرة أخرى وعندما يصل إلى درجة الغليان و التكور، يصفى في منخل أو قطعة قماش مشدودة فوق إطار. كانت خيرتروديس تقرأ الوصفة وكأنها تقرأ هيروغليفي. لم تكن تفهم ما يعنيه كمية السكر عند ذكر خمسة أرطال سكر، ولا ما كان نصف لتر ماء ولا بالمرّة ماذا كانت تعنى نقطة التكور. كانت رأسها هي التي تكورت بحق! خرجت إلى الفناء في طلب لمساعدة تشينتشا.

كانت تشيتشا على وشك الانتهاء من توزيع الفاصوليا على أخوانها في الدين لخامس مائدة إفطار. كانت هذه هي آخر مائدة عليها أن تخدمها، ولكن ما أن تنتهى من تقديم الطعام لهذه المائدة حتى كان عليها أن تضع القادمة، كى يأكل الشوار الذين هضموا طعامهم المقدس على مائدة الإفطار الأولى، وهكذا دواليك، إلى أن تنتهى من تقديم الطعام لآخر مائدة عشاء في الساعة العاشرة ليلاً. لذلك كان مفهوماً بالطبع أن تكون أكثر عنفاً وسريعة الهياج ضد كل من يقترب ليطلب منها أن تقوم بأى عمل إضافى. ولم تستثن خيرتروديس مهما كانت درجة " جنرالتها ". رفضت تشيتشا تماماً أن تمد لها يد المساعدة. إنها لا تمثل عضواً من فرقتهما، ولا هناك سبب لطاعتها طاعة عمياء كما كان يفعل الرجال الذين كانوا تحت قيادتها.

التمست خيرتروديس اللجوء إلى أختها، ولكن إحساسها حال دون ذلك. لم تستطع بأى حال من الأحوال أن تقطع الحديث بين تيتا و بيدرو في هذه اللحظات التي يمكن أن تكون الأكثر حسماً في حياتهما.

كانت تيتا تسير ببطء بين أشجار الفاكهة بالبستان، كانت رائحة الزهر تختلط بعبير الياسمين، المميز لرائحة جسدها. كان بيدرو، بجوارها، يصطحبها من ذراعها بحنان بالغ.

- لماذا لم تخبريني بالأمر ؟

- لأننى كنت أريد اتخاذ قرار أولاً .

- وهل اتخذته ؟

- لا .

- إذن أعتقد أنه من المناسب قبل اتخاذ القرار أن تعلمى أن يكون لى ابن منك هو بالنسبة لى أكبر سعادة يمكن تحقيقها . ولكى أستمتع بها كما يجب أريد أن نمضى بعيداً عن هنا .

- لا يمكننا أن نفكر فى نفسينا فقط ، فهناك روساورا واسبرانثا . ماذا سيكون من أمرهما ؟

لم يستطع بيدرو الرد عليها . لم يكن قد فكر فيهما حتى الآن ، والحقيقة أنه لم يكن يرغب فى الإضرار بهما ولا التوقف عن رؤية ابنته الصغيرة . كان يرغب فى أن يكون هناك حل لصالح الجميع . كان عليه أن يجده . كان واثقاً على الأقل من شىء وهو أن تيتا لن تذهب من المزرعة مع جون براون .

أزعجهما صوت خلفهما . كان أحد ما يسير خلفهما ، أطلق بيدرو بسرعة ذراع تيتا وأدار رأسه خفية ليرى من يكون . كان البولكيه ، الذي كان يبحث عن أفضل مكان ينام فيه بعد أن ضجر من سماع صراخ خيرترووديس فى المطبخ . على كل حال قررا

إرجاء حديثهما لوقت آخر . فقد كان هناك أناس كثيرون في أرجاء البيت ، وكان من المجازفة الحديث في هذه الأشياء شديدة الخصوصية .

لم تستطع خيرترووديس التي كانت بالمطبخ أن تجعل السيرجنت تريبينيو يعد شراب السكر كما تريد هي ، بالرغم من الأوامر التي أعطتها له . كانت نادمة على أنها وثقت في تريبينيو في مهمة بهذه الأهمية ، ولكن لأن خيرترووديس سألت مجموعة من الثوار عمن يعرف ما هو الرطل فأجابها هو بسرعة أن رطل يعادل ٤٦٠ جم وأن "كوارتيو" يعنى ربع لتر ، فاعتقدت هي أنه يفهم الكثير في المطبخ ، ولم يكن كذلك .

الحقيقة أنها كانت المرة الأولى التي يخفق فيها تريبينيو في شئ تكلفه به . إنها تتذكر أنه في مرة كان عليه أن يكتشف أحد الجواسيس كان قد اندس بين الفرقة .

كانت إحدى الجنديات ، وهي عشيقته ، قد علمت بنشاطاته عندئذ أطلق عليها الرصاص بلا رحمة قبل أن تبلغ عنه . كانت خيرترووديس عائدة من الاستحمام في النهر ووجدتها تحتضر . استطاعت الجندي أن تعطيها علامة للتعرف على شخصيته . فقد كان لدى الخائن شامة حمراء على شكل عنكبوت في بطن فخذه .

لم يكن باستطاعة خيرترووديس فحص كل الرجال فبالإضافة

إلى أن ذلك يعرضها للتأويلات السيئة، فإن الخائن كان يمكن أن يشك ويهرب قبل أن يجدوه. عندئذ كلفت تريبينيو بالمهمة. لم تكن بالنسبة له هو الآخر مهمة سهلة. فما كان يمكن أن يظن في شخصه أسوأ مما يمكن أن يظنوه في خيرترووديس إذا ما أخذ في تقصى شكل منطقة ما بين فخذي جميع أفراد الفرقة، انتظر تريبينيو عندئذ بصبر حتى الوصول إلى سالتيو.

وبعد أن دخلوا المدينة مباشرة بدأ مهمة الطواف بكل بيوت الدعارة الموجودة وغزو قلوب جميع العاهرات بها مستغلاً فنوناً لا تحصى. ولكن الفن الرئيسى كان معاملتهن معاملة السيدات المحترمات. كان يشعرهن بأنهن ملكات. كان مهذباً معهن ولطيفاً، وكان وهو يمارس معهن الحب يسمعهن أبياتاً شعرية وقصائد. لم تكن هنالك واحدة لم تقع في حبائله ولا تكون على استعداد للعمل من أجل القضية الثورية.

بهذه الطريقة، لم يمر أكثر من ثلاثة أيام إلا وتم التعرف على الخائن ونصب كميناً له بمشاركة صديقاته العاهرات. فقد دخل الخائن في حجرة بيت دعارة مع شقراء مؤكسدة شعرها تسمى "لارونكا". وكان ينتظره خلف الباب تريبينيو.

أغلق الأخير الباب بركلة من قدمه وباستعراض عنف لا مثيل له قتل الخائن ضرباً. وبعد أن فارق الحياة بتر له خصيته بسكين.

عندما سألته خيرترووديس لماذا قتلتها بكل هذا الحق وليس بطلق نارى فقط، أجابها بأنها كانت عملية ثأر. فمنذ زمن قام رجل كان لديه في بطن فخذه وحممة على شكل عنكبوت باغتصاب أمه وأخته. وكانت الأخيرة قد أفشت له ذلك قبل الموت. بهذه الطريقة فإنه قد غسل عار أسرته. كان ذلك هو التصرف الوحشى الوحيد الذي قام به تريبتينو في حياته، وفيما عدا ذلك كان إنساناً رقيقاً وظريفاً حتى في القتل. كان يقوم به بنبل كبير. ومنذ أن قبض على الجاسوس واشتهر تريبتينو بأنه زير نساء متمرس. ولم تبعد هذه الشهرة كثيراً عن الحقيقة، ولكن حب حياته كانت دائماً خيرترووديس. حاول هباءً غزو قلبها لسنوات طويلة ولكن دون أن يفقد الأمل. حتى التقت خيرترووديس ثانية بخوان. عندئذ تنبه إلى أنه قد فقدته إلى الأبد. إنه يخدمها الآن مثل كلب حارس، يحمي ظهرها، دون أن يتعد عنها ثانية واحدة.

كان واحداً من أفضل جنودها في ميدان المعركة، ولكنه في المطبخ لم يكن له أى دور. كان يؤلم خيرترووديس أن تبعده من هناك لأن تريبتينو كان حساساً جداً وعندما كانت تلومه على شئ كان يرجعه إلى الشرب. هكذا لم يكن أمامها خيار آخر سوى الصبر على سوء اختيارها ومحاولة أن يكون كل شئ على أفضل ما يمكن. قرأ الاثنان، بحرص، خطوة بخطوة الوصفة وهما

يحاولان تفسير ما بها .

إذا ما أريد تنقية شراب السكر أكثر ، إذا ما كان سيستخدم في تحلية المشروبات الروحية ، فإنه بعد الخطوات المذكورة تميل الحلة أو الوعاء الذي يحتويه ، ويترك ليروق ثم يصفى مما به من عوالق ، أو ، وهو نفس الشئ ، يفصل عن الرواسب بأقل حركة ممكنة .

لم يكن في الوصفة شرح لما هي نقطة التكور ، لهذا أمرت خيرتروديس السيرجنت أن يبحث عن الإجابة في كتاب كبير للطهى كان فوق دولاب الأواني .

بذل تريبينيو جهداً ليجد المعلومة المطلوبة ، لكنه لأنه كان يقرأ بالكاد ، كان يراجع ببطء بإصبعه كلمات الكتاب ، أمام نفاد صبر خيرتروديس .

" هناك أكثر من درجة مميزة لنضج شراب السكر : شراب سكر خفيف ، وخفيف جداً ، ولؤلؤى وشراب سكر لؤلؤى زائد وغليظ وسن ريشة ومضبوط وسكر محروق وشراب السكر المتكور . . . "

- أخيراً! هاهو شراب السكر المتكور ياقائدتى!

- لنر ، هات هنا! لقد أصابتني باليأس .

قرأت خيرتروديس للسيرجنت الإرشادات ، بفصاحة وصوت

عال .

- " لمعرفة ما إذا كان شراب السكر قد وصل إلى هذه النقطة، تبلل الأصابع في جردل أو دورق ماء بارد ونقبض الشراب، ثم نعود فنضعها مرة أخرى سريعاً في الماء: فإذا ما تكوّر عندما يبرد وأصبح ملمسه كالعجين، فإنه يكون قد نضج عند درجة أو نقطة التكوّر " . فهمت ؟

- نعم، أعتقد ذلك يا قائدتى .

- أفضل لك لأنه لو لم يكن أقسم لكنت أمرت بقتلك رميةً بالرصاصة !

كانت خيرترووديس قد استطاعت أخيراً أن تجمع كل المعلومات التي تبحث عنها، الآن لم يعد أمامها سوى أن يعد السيرجنت شراب السكر إعداداً جيداً، وتستطيع أخيراً أن تأكل حلو التورريخاس المتلهفة جداً إليها .

قام تريبينيو، وهو يضع في اعتباره التهديد الذي كان يثقل كاهله إذا لم يطره بشكل جيد لقائدته، بمهمته بالرغم من عدم خبرته .

احتفى الجميع جداً بذلك . كان تريبينيو في منتهى السعادة وهو يحمل بنفسه إلى تيتا في غرفتها قرصاً من التورريخاس أرسلته لها خيرترووديس كإشارة نجاح له . لم تنزل تيتا لتأكل وأمضت المساء في السرير . دخل تريبينيو الغرفة ووضع الحلو فوق

مائدة صغيرة تستخدمها تيتا بشكل خاص عندما ترغب في تناول طعامها هناك وليس في حجرة الطعام. شكرته كثيراً لاهتمامه وهنأته، لأن حلو التورريخاس كان بالفعل لذيذاً. أسف تريبينيو لشعور تيتا بتوعلك فقد كان يسعده أن تقبل طلبه في أن يراقصها في الحفل الراقص الذي نظمه لوداع الجنرالة خيرترووديس. وعدته تيتا أنها يسعدها أن تراقصه، إذا ما وجدت نفسها قادرة على النزول إلى الحفل. ذهب تريبينيو بسرعة ليتحدث بفخر إلى كل الفرقة بما قد قالت له تيتا.

ما أن خرج السيرجنت حتى نامت تيتا من جديد في السرير، لم يكن لديها أى رغبة في التحرك من هناك، فقد كان انتفاخ بطنها لا يسمح لها بأن تظل جالسة لوقت طويل.

فكرت تيتا في كم المرات التي زرعت فيها ذرة وفاصوليا وبرسيماً وبعض البذور الأخرى و الحبوب، دون أن تكون لديها أى فكرة عن ما تشعر به تلك البذور وهي تنمو وتتغير بشكل جوهري. الآن تشعر بإعجاب بالوضع الذي كانت تفتح فيه جلدها وتجعل الماء يتخللها بحرية، حتى تنفلق وتعطى فرصة للحياة. بأى فخر كانت البذور تُخرج من داخلها أول طرف للجذر، بأى تواضع كانت تفقد شكلها الأول، بأى لطف كانت تظهر للدنيا أوراقها. كان يسعد تيتا أن تكون بذرة متواضعة ليس عليها أن تضع اعتباراً لأحد لما يدور في داخلها، وأن تستطيع أن

تظهر للدنيا بطنها وهو ينبت دون أن تتعرض لرفض المجتمع . إن البذور لا تعاني هذا النوع من المشاكل ، وهى بشكل خاص ، ليس لديها أماً تخشاها ، ولا خوف من أن يحاكموها . حسناً ، لم يكن عند تيتا ، مادياً ، أم ، ولكنها لم تكن تستطيع أن تدفع عنها الإحساس بأنها سوف يُنزل بها ، بين لحظة وأخرى ، عقاب هائل من السماء ، بتشجيع ماما إيلينا . كان هذا الإحساس يلازمها بشدة : كانت تربط بينه وبين الخوف الذي كانت تشعر به عندما لم تكن تتبع في المطبخ الوصفات حرفياً . كانت تفعل ذلك دائماً وهى متأكدة بأن ماما إيلينا سوف تكتشفها وبدلاً من أن تحتفل بإبداعها كانت تلومها بشدة لأنها لم تحترم القواعد . لكنها لم تستطع تفادى الرغبة في انتهاك القواعد الصارمة جداً التي كانت أمها تريد فرضها داخل المطبخ . . . والحياة .

مكثت فترة طويلة للراحة ، ممتدة فوق السرير ونهضت مرة أخرى فقط عندما سمعت بيدرو يغنى تحت نافذتها أغنية عاطفية . وصلت تيتا بقفزة إلى النافذة وفتحتها . كيف يمكن أن يتجرأ بيدرو على فعل ذلك ! وعندما رآته ، عرفت السبب . فقد كان يبدو من على بعد أنه ثمل للغاية ، كان خوان بجواره يصاحبه بالجيتار .

استاءت تيتا للغاية ، ياليت روساورا تكون نائمة ، وإلا فكم سيكون ما سوف تثيره !

دخلت ماما إيلينا الحجرة حانقة وقالت لها :

- أرايت ما تتسبين فيه ؟ إنك أنت وييدرو وغدان . إذا أردت عدم إراقة دماء في هذا البيت ، اذهبي إلى حيث لا تستطيعين إيذاء أحد ، قبل أن يفوت الأوان .
- أنت التي يجب أن تذهبي لقد تعبت من إيلاملك لى . اتركينى وشأنى مرة واحدة !
- لن أفعل ذلك حتى تتصرفى مثل امرأة صالحة . أو بمعنى أصح حسب الأصول !
- وما هو التصرف بأصول ؟ كما كنت تفعلين ؟
- نعم .
- ذلك ما أفعله ! أو أنك لم تكن لديك ابنة غير شرعية ؟
- سوف تهلكين لمحدثتى بهذه الطريقة !
- ليس أكثر مما أنت عليه !
- أغلقي فمك ! ماذا تعتقدين في نفسك ؟
- أعتقد ما هو أنا ! إنسانة لديها كل الحق في أن تعيش الحياة على أفضل ما يروق لها . اتركينى مرة واحدة ، لم أعد أتحملك ! بل أكثر من ذلك ! إنني أكرهك وكنت أكرهك دائماً !
- ذكرت تيتا الكلمات السحرية لتختفى ماما إيلينا للأبد .

بدأت صورة أمها الهائلة تتضاءل إلى أن تحولت إلى ضوء صغير جداً. وبمقدار ما كان الشبح يتلاشى كانت الراحة تنمو داخل جسد تيتا. وبدأ انتفاخ بطنها وألم نهديها في الضعف، وتراخت عضلات بطنها مما أتاح الفرصة لخروج الطمث باندفاع.

خفف هذا التفريغ الذي كان محبوساً أياماً عديدة، من آلامها. تنفست بعمق وهدوء. لم تكن حاملاً.

ولكن مشاكلها لم تنته بذلك. فالضوء الصغير الذي آلت إليه صورة ماما إيلينا بدأ في التحرك بسرعة.

اخرق زجاج النافذة وخرج منطلقاً نحو الفناء، مثل لعبة نارية مجنونة لم ينتبه بيدرو وهو ثمل، للخطر. كان يغنى وهو سعيد جداً " استرَيْيتا " لمانويل بونشييه، تحت نافذة تيتا، وهو محاط بالشوار السكارى مثله. لم يشعر كل من خيرتروديس وخوان بالمصيبة. كانا يرقصان مثل مراهقين متحابين حديثاً تحت ضوء أحد مصابيح الزيت العديدة التي كانت مشتعلة في كل أنحاء الفناء لإضاءة الإحتفال. فجأة اقتربت اللعبة النارية من بيدرو ودارت بسرعة جنونية، وبهياج أدت إلى انفجار أقرب مصباح منه إلى ألف قطعة. نثر الزيت اللهب بسرعة فوق وجهه وجسد بيدرو.

سمعت تيتا، التي كانت تنتهى من اتخاذ الوسائل المناسبة لاستقبال طمثها، الضجة التي أدى إليها حادث بيدرو. وصلت

بسرعة إلى النافذة، فتحتها ورأت بيدرو وهو يجرى في كل الفناء متحولاً إلى شعلة بشرية. عندئذ انتبهت خيرتروديس إلى الأمر، نزعَت بسرعة أسفل فستانها وغطت به بيدرو وهي ترديه أرضاً.

لم تعرف تيتا كيف هبطت الدرج ولكنها كانت بجوار بيدرو خلال عشرين ثانية فقط. كانت خيرتروديس في تلك اللحظة تخلع له الملابس المحترقة. حمله عدة رجال بينهم بحرص لتوصيله إلى غرفته. أمسكت تيتا يد بيدرو الوحيدة التي نجت من الحروق ولم تنفصل عنه. وعندما كانوا يصعدون به السلم، فتحت روساورا باب غرفتها.

أحست بسرعة برائحة قوية لريش محترق. اقتربت من السلم بنية الهبوط لترى ما يجرى، وهناك تقابلت مع المجموعة التي كانت تحمل بيدرو ملتحفاً بالدخان. كانت تيتا، بجواره، تبكي بحزن.

كانت أول محاولة لروساورا هي الإسراع لمساعدة زوجها. حاولت تيتا ترك يد بيدرو للسماح لروساورا من الاقتراب منه، لكن بيدرو، بين أنات وهو يخاطبها لأول مرة بأنت، صرخ:

- لاتذهبي يا تيتا، لا تتركيني.

- لا يا بيدرو، لن أفعل ذلك.

تناولت تيتا من جديد يد بيدرو. نظرت روساورا و تيتا كل

منهما للأخرى للحظة بتحد. عندئذ أدركت روساورا أن ليس لديها ما تفعله هناك، دخلت غرفتها وأغلقت على نفسها بالمفتاح. ولم تخرج من هناك طوال أسبوع.

ولأن تيتا لم تستطع ولم تكن تريد الابتعاد عن جانب بيدرو فقد أمرت تشينتشا أن تحضر لها بياض بيض مخفوق مع زيت وكمية كبيرة من ثمرات البابا المهروسة جيداً. كانت هذه هي أفضل الطرق التي تعرفها لعلاج الحروق. يوضع بياض البيض بواسطة ريشة رقيقة فوق المنطقة المصابة، وتكرر العملية كلما جف فيها الدهان. ثم توضع بعد ذلك لزقة من البابا النيئة المهروسة لتقليل الالتهاب وتخفيف الألم.

أمضت تيتا طوال الليل وهي تجرى له هذه العلاجات المنزلية. بينما كانت تضع له لزقة البابا، كانت تتأمل وجه بيدرو المحبوب. لم يكن هناك أثر لحاجبيه الكثيفين ورموشه الطويلة. أما ذقنه المربعة فقد أخذت الآن شكلاً بيضاً بسبب تورمها. لم يكن يهم تيتا أن يظل به أى أثر ولكن ربما لبيدرو نعم. ماذا يوضع له لتفادى أن تبقى به أية ندوب؟ أعطتها ناتشا الإجابة، التي كانت قد أعطتها لها بدورها " ضوء الفجر ": أفضل شيء لهذه الحالات هو أن تضع لبيدرو قشرة شجرة التيبشكوييتيه. أسرع تيتا إلى الفناء دون أن تبالي بأن الليل جن، أيقظت نيكولاس وأمرته بإحضار تلك القشرة، من أفضل ساحر في

المنطقة . وعند الفجر تقريباً استطاعت تهدئة آلام بيدرو قليلاً ، وأن ينام للحظة . استغلت ذلك للخروج لوداع خيرترووديس ، فقد كانت تسمع منذ برهة خطوات وأصوات أفراد فرققتها وهم يجهزون الأحصنة للرحيل .

تحدثت خيرترووديس طويلاً مع تيتا ، أسفت لعدم تمكنها من البقاء لمساعدتها في المحنة ، لأنها كانت قد بلغتها الأوامر بمهاجمة ثاكاتيكا . شكرتها خيرترووديس على اللحظات السعيدة التي أمضتها بجوارها ونصحتها بعدم التوقف عن الكفاح من أجل بيدرو وقبل أن تودعها أعطتها وصفة كانت تستخدمها الجنديات لمنع الحمل ؛ فبعد كل علاقة جنسية كن يغتسلن داخلياً بماء مطهر بالغلي به عدة قطرات من الخل . اقترب خوان منهما وقطع المحادثة ، ليخبر خيرترووديس بأن ساعة الرحيل قد حانت .

عانق خوان تيتا بشدة وبعث لبيدرو ، عن طريقها ، آمانياته الطبية بالشفاء . تعانقت تيتا وخيرترووديس وهما متأثرتان . امتطت خيرترووديس حصانها وذهبت . لم تكن فوق الحصان وحدها ، كانت تحمل بجانبها ، في الخرج ، طفولتها حبيسة برطمان من حلو تورريخاس بالقشدة .

رأتهم تيتا يرحلون والدمع في عينيها . وتشيتشا أيضاً ، ولكن على العكس من دموع تيتا ، كانت دموع السعادة . فأخيراً تستطيع الراحة !

عندما كانت تيتا تهم بدخول البيت من جديد سمعت
صبيحة من تشيئتشا:

- مستحيل! إنهم يعودون.

بالفعل، كان يبدو أن أحد أفراد الجند يعود إلى المزرعة،
ولكن كان من الصعب تبين من يكون نتيجة سحب الغبار التي
أثارتها الأحصنة وهي ترحل.

أمعنتا النظر، علمتا بسعادة أنها عربة جون. لقد عاد.
شعرت تيتا عند رؤيته بالاضطراب تماماً. لم تكن تعلم ماذا
ستفعل ولا ماذا ستقول له. فمن جهة كانت سعيدة جداً لرؤيته،
ولكن، من جهة أخرى، كانت تشعر بالضيق الشديد؛ لأنه كان
عليها أن تلغى ارتباطها بالزواج منه. جاء جون إليها بياقة ورد
كبيرة. عانقها بانفعال وعندما قبلها تنبه إلى أن شيئاً قد تغير داخل
تيتا.

الفصل الحادى عشر

نوفمبر

فاصوليا ناشفة بالقلقل الحار على الطريقة التلوكاتانا

المقادير:

فاصوليا جافة - لحم خنزير - بقايا شحم خنزير - قلقل
أحمر حار رومى - بصل - جبن مبشور - خس - ثمر
الافوكاتو - فجل - قلقل أحمر حار بلدى من نوع تورنا -
زيتون

طريقة العمل

يتم سلق الفاصوليا أولاً في ماء و ملح تيكيسكيتيه (٢٩) ، وبعد غسلها توضع مرة أخرى لتطهى مع قطع لحم الخنزير والشحم .

كان أول ما فعلته تيتا عندما استيقظت في الخامسة صباحاً هو وضع الفاصوليا لتسلق .

كان مدعواً اليوم على الطعام كل من جون وعمته ماري ، التي كانت قد جاءت من بنسلفانيا فقط لحضور زفاف تيتا وجون . كانت العمة ماري تشوق إلى التعرف على خطيبة ابن شقيقها المفضل ولكنها لم تستطع ذلك لأن الوقت غير مناسب بسبب ظروف بيدرو الصحية . انتظرا أسبوعاً حتى يتماثل للشفاء للقيام بزيارة رسمية . كانت تيتا مستاءة للغاية لعدم استطاعتها إلغاء هذه الزيارة لأن عمة جون كانت تبلغ من العمر ٨٠ عاماً وكانت قد

(٢٩) من أنواع الملح الطبيعي .

قدمت من بعيد جداً على أمل التعرف عليها فقط . كان أقل ما يمكن أن تقدمه تيتا للعممة ماري هو وجبة طيبة للمسنة الدمثة وجون، ولكن لم يكن لديها ما يمكن أن تقدمه لهما سوى نياً أنها لن تتزوج من جون . كانت تشعر بخواء تام، مثل طبق كبير لم يتبق فيه سوى فتات فطيرة رائعة كانت . بحثت عن مواد غذائية في حجرة الخزين ولكنها كانت خاوية منها، لم يكن لديها بالفعل أى شئ . لقد أتت زيارة خيرترووديس للمزرعة على المخزون . الشئ الوحيد الذي بقى في الشونة، بخلاف الذرة التي تستخدم في صنع عجة لذيذة، كان الأرز والفاصوليا . ولكنها بإرادة طيبة وابتكار استطاعت إعداد وجبة جيدة . فقائمة طعام مكونة من أرز، موز ماتشو (طوله ٣٠ سم) وفاصوليا على طريقة التشوكانا لن تكون شيئاً سيئاً بالمرّة .

لأن الفاصوليا لم تكن جديدة كما يحدث في أوقات أخرى وتوقعاً أنها ستأخذ وقتاً أكثر من المعتاد حتى تنضج فإنها وضعتها على النار مبكراً وبينما كانت تنضج، انشغلت في إزالة عروق الفلفل الأحمر الحار العريض .

بعد إزالة عروق الفلفل، ينقع في ماء ساخن ثم يهرس في النهاية .

بعد أن تركت تيتا الفلفل منقوعاً في الماء، أعدت إفطار بيدرو وحملته له إلى حجرته .

كان قد شفى إلى حد ما من حروقه . لم تتوقف تيتا بالمرّة عن أن تدهن له بقشرة التيشكويته وبهذا تفادت أن يبقى بيدرو أي آثار ندب . كان جون قد استحسن العلاج . وكان هو بنفسه يتابع منذ وقت ، بشغف ، التجارب باستخدام هذه القشرة والتي كانت جدته " ضوء الفجر " قد بدأتها . كان بيدرو ينتظر تيتا بلهفة . ف بجانب الوجبات اللذيذة التي كانت تحملها له يومياً ، كان هناك عنصر واضح آخر قد أثر في شفائه العجيب : الحوارات التي كانت تقيمها معه بعد أن يتناول غذائه . لكن هذا الصباح لم يكن عند تيتا الوقت لتفرغ له ، كانت تريد أن تعد الطعام لجون على أكمل وجه ممكن . قال لها بيدرو وهو ينفجر من الغيرة :

- ما كان يجب عليك هو أنه بدلاً من دعوته على الطعام ، أن تخبريه مرة واحدة أنك لن تتزوجيه ، لأنك في انتظار ابن لى .
- لا أستطيع أن أخبره بذلك ، يابيدرو .

- ماذا ؟ أتخشين إيذاء مشاعر السيد الدكتور .

- ليست المسألة أنني أخاف ، وإنما من غير العدل معاملة جون بتلك الطريقة ، إنه يستحق كل احترامى ويجب تحين اللحظة المناسبة لأتحدث إليه .

- إذا لم تفعل أنت ، فسوف أقوم أنا بذلك بنفسى .
- لا ، لن تقول شيئاً ؛ أولاً لأننى لن أسمح لك بذلك وثانياً ، لأننى لست حاملاً .

- ماذا ؟ ماذا تقولين ؟

- ماكنت أظنه حملاً كان اضطراباً فقط ، ولكننى عدت إلى حالتى الطبيعية .

- إذن ، الأمر كذلك ؟ الآن أدرك تماماً ما حدث لك .

لا تريدین التحدث إلى جون ، لأنه ربما تشكين في بقائك بجانبى أو زواجك منه . أليس صحيحاً ؟ لم تعودى الآن مرتبطة بى ، فأنا مريض مسكين .

لم تفهم تيتا سلوك بيدرو هذا : بدا كطفل صغير غضبان .

كان يتحدث كما لو كان سيظل مريضاً بقية حياته ولم يكن الأمر يستحق كل هذا ، فبعد وقت قصير سيشفى تماماً . إن الحادث الذي تعرض له قد أفسد عقله . ربما يكون رأسه مليئاً بالدخان الذي بعثه جسده عندما احترق وهكذا مثلما يغير رغيف الخبز المحترق من رائحة البيت كله فتصبح كريهة ، كان عقله المحترق يطلق هذه الأفكار السوداء بدلاً كلماته اللطيفة المعتادة بكلمات لا تحمل . لم يكن ممكناً أن يشك فيها ، ولا أن يكون لديه النية في التصرف على عكس ما كان دائماً مظهراً لسلوكه مع الآخرين : اللياقة .

خرجت من الحجرة مستاءة للغاية ، ويبدو يصيح قبل أن تغلق الباب بأنه لا يريد أن تحمل له الطعام مرة أخرى ، وأن

ترسل تشينتشا، حتى يكون لديها الوقت الكافى لرؤية جون بدون أى مشكلة.

دخلت تيتا غاضبة المطبخ واستعدت لتناول الإفطار، فلم تكن قد أفطرت لأن أول اهتمام لها كان خدمة بيدرو ثم بعد ذلك شغلها اليومى وكل ذلك، لماذا ؟ لأجل أن بيدرو بدلاً من أن يقدر ذلك، يكون رد فعله كما فعل، إهانتها بكلماته وتصرفاته. لقد تحول بيدرو بشكل قاطع إلى وحش بسبب الأنانية والغيرة.

أعدت بعض التشيلاكيلس (٣٠) وجلست لتأكله على مائدة المطبخ. لم تكن تحب أن تأكل وحدها ولكن مؤخراً لم يكن أمامها سوى ذلك، فلم يكن بيدرو يستطيع التحرك من السرير، وروساورا رفضت التحرك من غرفتها وظلت مغلقة عليها تماماً دون أن تقبل أى طعام، وتشينتشا، بعد أن وضعت أول مولود لها، أخذت عدة أيام للراحة.

وعليه، فإن التشيلاكيلس لم يكن بنفس طعم مرات سابقة. كان ينقصه الصحبة. فجأة سمعت خطوات. فتح باب المطبخ وظهرت روساورا.

اندهشت تيتا عندما رأتها. كانت نحيفة كما كانت قبل الزواج. بعد اسبوع فقط بلا طعام! كان يبدو مستحيلاً أن تفقد

(٣٠) لون من الطعام قوامه أرغفة الذرة المطبوخة بمرق حار.

٣٠ كيلو في ٧ أيام فقط، لكن هذا ما حدث. حدث لها نفس الشيء عندما ذهبت لتعيش في سان أنطونيو: نحفت بسرعة، ولكن ما أن عادت إلى المزرعة إلا وعادت إلى السمنة!

دخلت روساورا بعجرفة وجلست أمام تيتا. كانت ساعة مواجهة شقيقتها قد حانت، ولكن لن تكون تيتا من يبدأ النقاش. سحبت الطبق، وأخذت رشفة من قهوتها وبدأت بحرص في تقطيع أحرف أقراص العجة التي استخدمتها في عمل التشيلاكيلس قطعاً صغيرة.

كن متعودات على إزالة أحرف كل أقراص العجة التي يأكلنها لإلقائها للدجاج. أيضاً كن يقطعن إلى قطع صغيرة لبابة الخبز لنفس الغرض. كانت روساورا وتيتا تنظران كل منهما في عيني الأخرى بثبات وظلتا على هذا المسلك حتى بدأت روساورا النقاش:

- أعتقد أن بيننا حديثاً معلقاً، ألا ترين؟

- بلى، اعتقد ذلك. وأعتقد أنه كان منذ أن تزوجت من خطيبى.

- حسناً، إذا أردت نبداً من هنا. كان لديك خطيب بلا استحقاق. لم يكن يناسبك أن يكون لك.

- حسب من؟ حسب ماما أو حسب رأيك؟

- حسب تقليد العائلة، الذي كسرتَه.

- والذي سوف أحطمه كلما كان ذلك ضرورياً، طالما أن ذلك التقليد الملعون لا يضعنى في اعتباره. لقد كنت املك نفس حق الزواج مثلك، وأنت لم يكن لديك الحق في أن تضعى نفسك بين شخصين متحابين بعمق.

- لم يكن بذلك العمق. لقد رأيت كيف أن بيدرو قد أبدلك بى في أقرب فرصة. لقد تزوجته، لأنه أراد ذلك. ولو كان عندك قدر من عزة النفس لكان عليك نسيانه إلى الأبد.

- لعلمك، لقد تزوجك ليكون فقط بالقرب منى. لم يكن يحبك وكنت تعلمين ذلك جيداً.

- انظرى، من الأفضل عدم الخوض في الماضى، أنا لا تهمنى الأسباب التي جعلت بيدرو يتزوجنى. لقد تزوجنى وانتهى الأمر. وأنا لن أسمح بأن تستهزأ بى أنتما الاثنين، اسمعى ذلك جيداً! لست مستعدة لذلك.

- لا أحد يحاول الاستهزاء بك ياروساورا، إنك لا تفهمين شيئاً.

- لا، من قال هذا! إنني أفهم جيداً الدور الذي تضعيننى فيه، عندما يراك كل من في المزرعة وأنت تبكين بجوار بيدرو وأنت تمسكين يده بحب؟ أتعرفين ما هو؟ إنه دور الأضحوكة!

حقيقة أن الله لن يغفر! وانظري. أنا لن يهمنى بالمرّة إذا كنت وبيدرو ستذهبان للجحيم بتبادلكما القبلات في كل ركن. وأكثر من ذلك، من الآن فصاعداً يمكنكما فعل ذلك كما تشاءان. طالما لا يعرف أحد، فأنا لا يهمنى؛ لأن بيدرو سوف يحتاج إلى فعل ذلك مع أي واحدة كانت، أما فيما يتعلق بي، فلن يلمسني مرة أخرى. فأنا نعم عندي عزة نفس! فليبحث عن حقيرة مثلك لأفعاله الدنيئة، ولكن ما سيكون بالفعل هو أنني سأظل أنا الزوجة في هذا البيت. وأمام أنظار الآخرين أيضاً. لأن اليوم الذي يراكما أحد فيه وتضعانني من جديد موضع سخرية، أقسم لك أنكما سوف تندمان.

اختلط صياح روساورا بصوت البكاء المتعجل لاسبرانثا. كانت الطفلة تبكي منذ برهة، ولكن صوت نهنهاها بدأ في الإرتفاع تدريجياً إلى أن وصل لمستويات لا تحتمل. كانت من المؤكد جوعانه، قامت روساورا ببطء وقالت:

- سأذهب لإطعام ابنتي. من الآن فصاعداً لا أريدك أن تفعل ذلك، فيمكن أن تلوثيها بالطين. فلن تتلقى منك سوى الأفعال السيئة و النصائح السيئة.

- يمكنك أن تتأكدي من ذلك. فلن أسمح بأن تتسمم ابنتك بأفكار عقلك المريض. ولن أسمح بأن تحطمي لها حياتها بأن تجبريها على اتباع تقليد غبي!

- آه، نعم! وكيف سوف تمنعين ذلك! مؤكد أنك تعتقدين أنني سوف أدعك قريبة منها كما حدث حتى الآن. لكن تنبهي يا بنية بأن ذلك لن يكون. منذ متى رأيت أن نساء الشوارع يسمح لهن بالبقاء بجوار بنات العائلات المحترمة؟

- لا تقولي لي إنك تعتقدين حقاً أن عائلتنا عائلة محترمة!

- عائلتي الصغيرة نعم. وحتى يستمر ذلك فإنني أمنعك من الاقتراب من ابنتي، أو أنني سوف أنظر في ضرورة إزاحتك عن هذا البيت، الذي أورثتني أمي إياه. أفهمت ذلك؟

خرجت روساورا من المطبخ، ومعها الرضعة التي كانت تيتا قد أعدتها لاسبرانثا وذهبت لتطعمها. كان ذلك بالنسبة لتيتا أسوأ ما يمكن أن تفعله بها. استطاعت أن تؤلمها في أعماق أعماقها.

كانت إسبرانثا أحد أهم الأشياء بالنسبة لها في الدنيا. يالللألم الذي كانت تشعر به! بينما كانت تقطع القطعة الأخيرة من العجة التي كانت في يديها تمت من كل قلبها أن يوارى التراب شقيقتها. فهو أقل ما كانت تستحقه.

لم تتوقف وهي تجادل روساورا عن تقطيع العجة إلى قطع صغيرة. وعليه فقط تركتها وهي قطع صغيرة جداً. وضعتها تيتا، وهي غاضبة، في طبق وخرجت لإلقائها للدجاج، حتى تكمل بعد ذلك عمل وجبة الفاصوليا. كان منشر الفناء مشغولاً كله

بغيارات اسبرانشا شديدة البياض . كانت غيارات جميلة جداً . فقد أمضين فيما بينهن أمسيات كاملة في تطريز حوافها . كان الهواء يهددها . وكانت تبدو مثل موجات من الزبد . صدت تيتا نظرها عن الغيارات ، كان عليها ، إذا كانت تريد أن تكمل إعداد الطعام ، أن تنسى أن الطفلة تأكل لأول مرة بدونها . دخلت المطبخ وواصلت عمل الفاصوليا .

تحمّر البصلة المفرية في الشحم . وعندما تأخذ اللون الذهبي يضاف إليها الفلفل الأحمر العريض المهروس وملح حسب الذوق . بعد نضج الخليط يضاف إليه الفاصوليا واللحم والشحم . كان غير مجدى نسيان اسبرانشا . فعندما كانت تيتا تفرغ الفاصوليا في الوعاء تذكرت كيف أن الطفلة كان يعجبها جداً حساء الفاصوليا . ولإطعامها إياه ، كانت تجلسها على ساقها ، وتضع لها منشفة كبيرة على صدرها وتطعمها بمعلقة صغيرة من الفضة . ياللسعادة التي شعرت بها يوم أن أحست بصوت المعلقة وهي تصطدم بطرف أول سن لاسبرانشا . لقد ظهر لها ستان أخريان ، الآن . كانت تيتا تحرص جداً على عدم إيلاهما في أسنانها عند إطعامها . ياليت روساورا تفعل نفس الشيء . ولكن ما أدراها هي ! إنها لم تفعل ذلك بالمرّة من قبل . ولن تستطيع أيضاً إعداد حمامها بماء ورق الخس لتضمن لها نوماً هادئاً في الليل ، ولن تستطيع وضع ملابسها ولا تقيلها ولا هدهدتها ، كما كانت تفعل

هى . فكرت تيتا في أنه ربما كان من الأفضل أن تغادر المزرعة .
لقد خيب بيدرو أملها ، وتستطيع روساورا ، بدون وجودها في
البيت ، أن تصنع حياتها من جديد وسوف تستطيع الطفلة إن
عاجلاً أو آجلاً التعود على رعاية أمها الحقيقية . فإذا ما استمرت
تيتا في التحبب إليها ، فإنها سوف تعاني مثلما حدث مع روبرتو .
لقد انتهى الأمر ، إن هذه ليست أسرتها ويمكن في أى لحظة
إبعادها بنفس السهولة التي تزال فيها حصاة من الفاصوليا وهى
تنقى . وعلى العكس ، كان جون يعرض عليها بناء أسرة جديدة ،
لايستطيع أحد انتزاعها منها . إنه رجل رائع وهو يحبها كثيراً ، لن
يكون صعباً عليها ، مع الوقت ، أن تحبه بجنون . لم تستطع
الاستمرار في تفكيرها فقد بدأ الدجاج معركة في الفناء . كان يبدو
أنه قد جن أو أن لديه عقدة ديكة المصارعة . كانت كل دجاجة
تنقر الأخرى ، في محاولة لانتزاع القطع الأخيرة المتبقية من العجة
على الأرض . كان يشب ويطير بلا انتظام في كل الأنحاء ، وكل
واحدة تعتدى على الأخرى بعنف . كان من بينه واحدة ، الأكثر
شراسة ، استطاعت بمنقارها أن تقلع عيني كل دجاجة كانت
تواجهها ، ملوثة بالدماء غيارات اسبرانثا البيضاء . حاولت تيتا
وهى في غاية الضيق وقف المصارعة . بأن القت بحففات ماء .
ولكن ما تحقق هو زيادة شرسته وأن تزيد من حدة التعارك . كَوْن
الدجاج دائرة ، كانت تركض بداخلها كل دجاجة خلف الأخرى

بسرعة تثير الدوار. وفجأة وجد الدجاج نفسه قد وقع لا محالة في براثن القوة التي جلبها هو بنفسه في سباقه المتهور و لا يستطيع أن يفلت من دوامة الريش والتراب والدماء التي بدأت في الدوران والدوران بقوة متزايدة حتى تحولت إلى إعصار قوى كان يعصف بكل ما كان يجد في طريقه، بدءاً بأقرب الأشياء منه، وكانت في هذه الحالة، غيارات إسبرانثا التي كانت فوق مناسر الفناء.

حاولت تيتا إنقاذ بعض الغيارات، لكنها عندما ذهبت لالتقاطها، وجدت نفسها مجذوبة بقوة الدوامة القوية التي رفعتها عدة أمتار فوق الأرض، وجعلتها تلف ثلاث دورات شيطانية بين شراسة النقر لتنتهى بأن تلقيها بحدة حتى الطرف المقابل من الفناء، حيث وقعت مثل جوال البابا.

ظلت تيتا ملقاة على وجهها في الأرض وهي في غاية الذعر. لم تشأ أن تتحرك. فلو أمسكت بها الدوامة من جديد فإنها تكون معرضة لأن يقلع لها الدجاج عينا. كانت هذه الدوامة التي أثارها الدجاج تخرق أرض الفناء، محدثة بثراً عميقة اختفت فيه معظم الدجاجات من هذه الدنيا. ابتلعها الأرض. لم ينبج من هذه المعركة إلا ثلاث دجاجات مستوفة الريش وعورات. اما الغيارات فلم ينبج منها شئ.

فحصت تيتا، وهي تنفض الغبار عنها، الفناء: لم يكن هناك أى أثر للدجاج. شغلها أكثر اختفاء الغيارات التي كانت قد

طرزتها بحب شديد . كان يجب تعويضها بسرعة بغيرها جديدة .
حسناً ، فى الحقيقة ، إنها لم تعد مشكلتها ، لقد قالت روساورا إنها
لا تريدها أن تقترب بعد ذلك من اسبرانثا . أليس كذلك ؟ إذن ،
لتتول هى حل مشكلتها وتتولى تيتا حل مشكلتها والتي كانت
تنحصر فقط فى هذه اللحظة فى إعداد الطعام لجون وللعمة
مارى .

كان شىء غير طبيعى يجرى . تذكرت تيتا أن ناتشا كانت
تقول لها دائماً انه عندما يقوم اثنان أو اكثر بالجدال بينما تعد
التماليس ^(٣١) ، فإن هذه تظل نيئة . ويمكن أن تمر أيام و أيام دون
أن تنضج ، لأن التماليس تكون غاضبة . وفى هذه الأحوال يكون
من الضرورى الغناء لها ، لكى تسعد ويمكنها النضج . ظنت تيتا أن
هذا نفسه ما قد حدث مع الفاصوليا ، لأنها حضرت مشادتها مع
روساورا . عندئذ لم يكن أمامها سوى محاولة تعديل حالتها
المعنوية و الغناء للفاصوليا بحب لأن الوقت كان قصيراً جداً أمامها
ليكون الطعام جاهزاً لمدعوئها .

لهذا ، كان من المناسب لها أن تبحث فى ذاكرتها عن لحظة
سعادة ما كبيرة وإحيائها وهى تغنى . أغلقت عينيها وبدأت تغنى
فالساً يقول : " أنا سعيد منذ أن رأيتك ، أعطيتك حبي وفقدت

(٣١) أكلة مكونة من اللحم المقطع إلى أجزاء صغيرة مع صلصلة الطماطم وعجين الذرة تطهى
فى الفرن فى كسولة .

روحي أتت إلى ذكرها متدافعة صور أول لقاء لها مع
بيدرو في الحجرة المظلمة. الولع الذي جرد به بيدرو لها ملابسها،
والذي أدى إلى احتراق لحمها أسفل جلدها بتلامسه بتلك اليدين
المتوهجتين. كانت الدماء تغلى تحت عروقها. القلب يطلق فوراً
من الولع. بدأ الإحتدام في الاستسلام معطياً الفرصة لحنان متناهٍ
استطاع تهدئة نفسيهما القلقتين.

بينما كانت تيتا تغنى، كان حساء الفاصوليا يغلى باحتدام.
جعل الفاصوليا السائل الذي كانت تسبح فيه يتخللها وبدأت في
الانتفاخ حتى انشقت تقريباً. عندما فتحت تيتا عينيها أخرجت
إحدى حبات الفاصوليا لاختبار درجة نضجها، تحققت من أن
الفاصوليا قد بلغت درجة النضج المناسبة. إن هذا سوف يوفر لها
الوقت الكافي لتعد نفسها، قبل وصول العمة ماري. تركت
المطبخ وهي سعيدة للغاية وتوجهت إلى غرفتها لتأخذ زيتتها. كان
أول ما عليها هو غسل أسنانها. فقد أدى التمرغ في التراب الذي
عانت منه بسبب دفع الريح الذي سببه دوامة الدجاج، إلى امتلاء
أسنانها بالتراب. أخذت قليلاً من البودرة لتنظيف أسنانها وقامت
بتفريشها بقوة.

لقد تعلمت في المدرسة إعداد هذه البودرة. وهي تصنع
بوضع نصف أوقية من زنبق فلورنسا ودم الأخوين^(٣٢)، يتم

(٣٢) أسماء أنواع من العطارة.

سحق كل هذه المكونات وتخلط . كانت المعلمة خوبيتا هي المكلفة بعملها . كانت معلمتها لثلاثة أعوام متتالية . كانت امرأة قصيرة ورقيقة للغاية . كان الجميع يتذكروها . ليس فقط للمعارف التي نقلتها لهم وإنما لأنها كانت ذات شخصية بحق . يقولون إنها ترملت وهي في الثامنة عشرة وإن لها ابن . وقد رفضت أن تجلب للإبن زوج أب وأمضت حياتها ، بإرادتها ، في عزوبية مطلقة . حسناً من يدري إلى أي درجة كانت مقتنعة بهذا الحل و إلى أي درجة قد أثر عليها ، فالمسكينة ، مع مرور السنين ، بدأت تفقد صوابها . كانت تعمل نهاراً وليلاً لتضع حداً للأفكار السيئة . كانت جملتها المفضلة " إن الفراغ أم الرذائل كلها " . وهكذا لم تكن ترتاح و لا ثانية خلال اليوم . كانت دائماً تعمل وتنام أقل . مع الوقت أصبح العمل داخل بيتها لا يكفي بالدرجة التي تهدئ من طاقتها ، وهكذا كانت تخرج في الخامسة صباحاً إلى الشارع لكنس الرصيف ، الخاص بها والخاص بجاراتها . بعد ذلك وسعت دائرة عملها إلى مجموعة المساكن الأربعة التي كانت تحيط ببيتها وهكذا شيئاً فشيئاً ، في تزايد ، حتى وصلت إلى كنس كل شارع بيدراس نجراس قبل أن تذهب إلى المدرسة . كان يعلق أحياناً بشعرها بعض بقايا القمامة وكان الصغار يستهزئون من ذلك . اكتشفت تيتا وهي تنظر في المرأة أن شكلها يشبه معلمتها . ربما كان فقط بسبب ريش الدجاج الذي كان يعلق بشعرها بسبب

تمرغها فى التراب ، ولكن تيتا أحست أيضاً بالرعب .
لم تكن تريد بالمرّة أن تتحول إلى خوبيتا أخرى . نفضت
الريش ومشطت شعرها بعد أن فرشته بقوة ونزلت لاستقبال جون
ومارى اللذين كان وصولهما فى تلك اللحظة . فقد أعلن نباح
البولكيه عن وجودهما فى المزرعة .

استقبلتهما تيتا فى الصالة . كانت العمة مارى مثلما تخيلتها
تماماً : سيدة مسنة رقيقة ولطيفة . فبالرغم من السنوات التى تحملها
على عاتقها ، كان هندامها مثالياً .

كانت تضع قبعة مميزة من الزهور ، لونها باستيل ، متباينة مع
بياض شعرها . والقفاز الذى تضعه متناسقاً مع لون شعرها ويلمع
ببياض ناصع . كانت تستند فى سيرها إلى عصا من الموجنة بمقبض
من الفضة على شكل بجعة . كان حوارها من أمتع ما يمكن !
أعجبت العمة بتيتا وهنأت ابن أخيها كثيراً على اختياره السليم ،
وتيتا على انجليزيتها المتقنة فى الكلام .

اعتذرت تيتا عن عدم حضور أختها ، لشعورها بتوعلك
ودعتهما إلى حجرة الطعام .

أعجبت العمة بالأرز بالموز المقلّى وأثنت كثيراً على طريقة
صنع الفاصوليا .

عند تقديمها يوضع فوقها الجبن المبشور وتزين بأوراق طازجة
من الخس وشرائح ثمرة الافوكاتو والفجيات المفرومة والفلفل

الخاص من نوع التورنا تشيليس والزيتون .
كانت الجدة معتادة على صنف آخر من الطعام ، ولكن هذا
لم يكن حائلاً لكى تستطيع تقدير الطعم اللذيذ لطهى تيتا .
- ممم ، إن هذا لذيذ يا تيتا .

- شكراً جزيلاً .

- يا لحظك يا جونى ، من الآن فصاعداً سوف تأكل بالفعل
جيداً ، لأن كاتى ، فى الحقيقة تطهو طهيأ سيئاً جداً . إنك حتى
سوف تسمن بالزواج .
لاحظ جون أن تيتا مضطربة .

- أبك شئ يا تيتا ؟

- نعم ، لكننى لا أستطيع أن أخبرك به الآن ، إن عمك
سوف تستاء اذا توفقنا عن الكلام بالانجليزية .
أجابهـا جون متحدثاً بالإسبانية .
- لا ، لا تقلقى ، إنها صماء تماماً .

- إذن كيف تستطيع التحدث بهذه الدرجة من الإتقان ؟

- لأنها تقرأ الشفاه ، ولكن بالانجليزية فقط ، لا تقلقى .
فوق ذلك ، فإنها وهى تأكل لا تعرف أحداً ، فأرجوك - إذن - أن
تقولى لى ما يحدث لك . لم يكن أمامنا الوقت للحديث وحفل
الزواج سيكون خلال اسبوع .

- جون، أعتقد أنه من الأفضل إلغاؤه.

- لكن، لماذا ؟

- لا تجعلنى أخبرك به الآن.

وفى محاولة منها لكى لا تلاحظ العممة أنهما يتجادلان فى موضوع حرج للغاية، ابتسمت تيتا. فعلت العممة نفس الشيء، كانت تبدو فى غاية السعادة والهدوء وهى تأكل طبق الفاصوليا الخاص بها. كان صحيحاً، لم تكن بالفعل تقرأ الشفاه بالإسبانية. كان يمكن أن تتحدث تيتا مع جون بلا خطورة. ألع جون على نفس الموضوع.

- ألم تعودى تحببىنى ؟

- لا أعرف.

كم كان صعباً على تيتا التحدث بعد أن رأت ما بدى على جون من ألم وقد حاول مباشرة أن يتماسك.

- فى الفترة التى كنت فيها مسافراً قامت علاقات بينى وبين رجل كنت أحبه من قبل وفقدت عذريتى. لذلك لا أستطيع الزواج منك.

بعد صمت طويل سألتها جون:

- هل تحببته أكثر منى ؟

- لا أستطيع إجابتك على ذلك، فذلك لا أعرفه أيضاً.

عندما لا تكون هنا، أظن أنني أحبه هو، ولكن عندما أراك، يتغير كل شيء. أشعر بجوارك بالراحة و الأمن والأمان... لكن لا أعرف، لا أعرف... سامحني لأتني أخبرتك بكل هذا.

سالت فوق خدي تيتا دمعتان. أخذتها العمة ماري من يدها وقالت لها بالإنجليزية وهي متأثرة بعمق:

- كم جميل رؤية امرأة محبة وهي تبكي من التأثر. لقد فعلت ذلك عدة مرات عندما كنت على وشك الزواج.

انتبه جون إلى أن هذه الكلمات يمكن أن تؤدي إلى انفجار تيتا في البكاء وأن يصعب بعد ذلك السيطرة على الموقف.

مد يده، وأخذ يد تيتا وقال لها بابتسامة على شفثيه لإرضاء العمة:

- تيتا، لا يهمني ما فعلت، هناك مواقف في الحياة لا يجب إعطاؤها أهمية كبيرة إذا كانت لا تغير الجوهر. إن ما ذكرته لي لن يغير طريقة تفكيري وكرر انه يسعدني أن اكون شريك حياتك كلها، ولكن أريدك أن تفكري جيداً اذا كان ذلك الرجل هو انا أم لا. اذا كان ردك بالإيجاب، سنحتفل بالزفاف خلال أيام. واذا كان لا، سأكون أول من يهنئ بيدرو ويطلب منه منحك المكانة التي تستحقها.

لم تندهش تيتا من سماع كلمات جون: فقد كانت متطابقة مع شخصيته. ولكن ما فاجأها بالفعل هو انه كان يعرف تماماً أن

منافسه كان يندرو. لم تكن قد وضعت اعتباراً لقوة بديهته.
كان من المستحيل على تيتا أن تظل على المائدة. خرجت،
معتذرة، للحظة في الفناء وبكت إلى أن هدأت. وعادت مباشرة
لحظة تقديم الحلو. نهض جون ليقرب لها المقعد وعاملها بنفس
الرقّة والاحترام المعتادين. كان رجلاً رائعاً بحق. كم كبر في
نظرها! وكم زادت الشكوك في رأسها؟ أدى شراب الياسمين
الذي قدمته كحلو، إلى راحة كبيرة لها. كان تناوله ينعش جسمها
ويصفي عقلها. أعجبت العمة إلى درجة الجنون بالحلو. لم يأت
بفكرها بالمرّة أن الياسمين يستخدم في الطعام. ونتيجة حب
استطلاعها، كانت تريد معرفة كل التفاصيل الخاصة لعمل
مشروب مثله في بيتها. أعطتها تيتا الوصفة وهي تحرك شفيتها
بهدهوء شديد حتى تتمكن العمة من قراءتها.

- سحق فرع الياسمين ويوضع في ثلاثة أرباع لتر ماء
ونصف كيلو سكر ويخلط جيداً. وبعد أن يذوب السكر جيداً
يصفى المشروب بقماشة سميكة ثم يوضع ليبرد في ثلاجة
المشروبات.

أمضوا بقية المساء بشكل رائع. وعند ذهاب جون، قبل تيتا
في يدها وقال لها:

- لا أريد أن أضغط عليك، أريد فقط أن أؤكد لك أنك
ستكونين سعيدة بجوارى.

- أعرّف ذلك.

كانت تعرف ذلك بالطبع. وبالطبع كانت ستضع ذلك في اعتبارها عندما تتخذ قرارها، النهائي، الذي سيحدد مستقبلها كله.

الفصل الثاني عشر

ديلمير

فلفل حاربصلصة الجوز والتوابل

المقادير:

- ٢٥ ثمرة من الفلفل الحار - ٨ ثمرات من الرمان - ١٠٠٠
- حبة من الجوز من نوع كاستيا - ١٠٠ جم من الجبن
- الطازج من نوع انيخو - ١ كيلو من لحم الفقم المفروم -
- ١٠٠ جم من الزبيب - ١/٤ كيلو من اللوز - ١/٤ كيلو
- من الجوز - ١/٢ كيلو من الكاكا - بصلتان متوسطتان -
- ليمونتان - ثمرة واحدة من الدراق - تفاحة واحدة - كمون
- فلف أبيض - ملح - سكر

طريقة العمل

يجب تقشير الجوز مسبقاً بأيام، لأن ذلك يمثل عملاً شاقاً جداً، يحتاج إلى ساعات طويلة. بعد تقشيريه يجب إزالة القشرة المحيطة بلب الجوز. وهذا يحتاج إلى عناية خاصة حتى لا يلتصق بأي واحدة منه ولو قطعة قشر صغيرة. لأنه عند طحنها وخلطها بالكريمة فإنها تعطى مرارة لصلصة الجوز، مما يضع هباء كل المجهود السابق.

انتهت تيتا وتشيتشا من تقشير الجوز وهما جالستان على مائدة حجرة الطعام. هذا الجوز سوف يستخدم في عمل الفلفل الحار في صلصة الجوز التي سوف تقدم كطبق رئيسي في حفل الزواج الذي سيقام في اليوم التالي. كل أفراد الأسرة الآخرين تركوهمما وحدهما متخلين عن مائدة حجرة الطعام بحجة أو بأخرى. هاتان السيدتان النبيلتان هما اللتين استمرتتا في العمل على قدم وساق. والحقيقة أن تيتا لم تحملهم الذنب، فقد

ساعدها بما فيه الكفاية خلال الأسبوع كله. وكانت هي تدرك جيداً أنه ليس من السهل تقشير ألف حبة جوز دون ملل. الشخص الوحيد الذي كانت تعلم أنه يستطيع القيام بذلك دون إبداء أى ضجر بالمرّة كانت ماما إيلينا.

لم تكن تستطيع فقط تقشير أجوال وأجوال من الجوز فى أيام قليلة، بل كانت تستمتع بشكل كبير وهى تقوم بهذا العمل. فأفعال الضغط و التحطيم والسليخ كانت من أنشطتها المفضلة. كانت الساعات تمر عليها دون أن تشعر عندما كانت تجلس فى الفناء وجوال الجوز فوق ساقها ولا تقوم قبل الانتهاء منه.

كانت عملية تقشير ألف حبة جوز بالنسبة لها لعبة أطفال، بينما كلفتهم جميعاً جهداً كبيراً. كانت هذه الكمية الهائلة لأن كل ٢٥ ثمرة فلفل حار تحتاج إلى تقشير مائة حبة جوز، ومنطقياً أن ٢٥٠ ثمرة فلفل تحتاج إلى ١٠٠٠ حبة جوز. وذلك لأنهم دعوا لحفل الزفاف ٨٠ شخصاً ما بين الأهل والأصدقاء المقربين. كل فرد كان يمكنه أن يأكل إذا رغب ٣ ثمرات فلفل، وعليه كان تقدير الكمية مناسباً. كان حفل الزفاف عائلياً، ولكن تيتا كانت تريد على كل عمل وليمة من عشرين صنفاً، لم يعد لها مثل الآن، وبالطبع لا يمكن أن تخلو من الفلفل الحار فى صلصلة الجوز وهى وجبة لذيذة كان الاحتفال المذكور يستحقها بالرغم من أن هذا كان يمثل جهداً كبيراً جداً. لم يكن يهم تيتا أن تسود أصابعها بعد

تقشير كم من الجوز. فحفل الزفاف هذا يستحق التوضحية، فقد كان له معنى خاص جداً. لها ولجون أيضاً. لقد كان سعيداً إلى درجة انه كان أحد اكثر المتعاونين المتحمسين في اعداد الوليمة. كان بالضبط آخر من ذهب للراحة. كان يستحق قسطاً طيباً من الراحة.

كان جون يغسل يديه، في حمام بيته، وهو متعب للغاية. كانت أظافره تؤلمه من كثرة تقشير الجوز. استعد للنوم وهو متأثر للغاية. فخلال ساعات قليلة سيكون أكثر قرباً من تيتا، وكان هذا يريحه بشكل كبير. كان حفل الزفاف قد نظم ليكون في الثانية عشرة ظهراً. فحص بنظره البدلة السموكنج التي كانت فوق مقعد. كانت الثياب التي سيرتديها في اليوم التالي مرتبة بدقة، في انتظار اللحظة المناسبة لتظهر. الحذاء يلمع أكثر من اى وقت مضى وربطة العنق التي كانت على شكل شريط والنطاق والقميص في وضع مثالى. أخذ نفساً طويلاً وهو يجلس راضياً؛ لأن كل شىء على ما يرام، ثم استلقى على السرير وما أن وضع رأسه على الوسادة نام نوماً عميقاً.

على العكس، لم يستطع بيدرو مصالحة النوم. كانت غيرة شيطانية تسرى في داخله. لم يرقه بالمرّة أن يضطر إلى حضور حفل الزفاف وتحمل رؤية وجه تيتا بجوار جون.

لم يكن يفهم بالمرّة سلوك جون، يبدو أنه يحمل مخدر في

عروقه! كان يعرف تماماً ما كان بينه وبين تيتا. وبالرغم من ذلك استمر فى التعامل كأنما لم يكن هناك شئ! فذلك المساء عندما كانت تيتا تحاول إشعال الفرن، ولم تجد أعواد الثقاب فى أى مكان. عندئذ تقدم جون، الشهم دائماً، بسرعة لمساعدتها. لم يتوقف الأمر على ذلك! فبعد أن أشعلت النار أهدى تيتا علبة الكبريت وهو يمسك بيديها بين يديه. فماذا وراء إعطائه لتيتا ذلك النوع من الهدايا الغبية؟ لا بد وأنها كانت حجة جيدة لجون لكى يداعب يدي تيتا أمامه. مؤكداً أنه يعتقد أنه متحضر. لكنه سوف يعلمه هو ما يفعله الرجل عندما يحب امرأة بالفعل. أخذ سترته واستعد للذهاب بحثاً عن جون ليحطم له وجهه.

توقف عند الباب. فقد كان من الممكن إعطاء فرصة للأقاويل بأن زوج أخت تيتا قد تعارك مع جون قبل الاحتفال بيوم.

لن تغفر له تيتا. ألقي السترة بغضب فوق السرير وأخذ فى البحث عن حبة دواء لكى يخفف من آلام رأسه. كان الضجيج الذى تحدثه تيتا فى المطبخ يتضاعف ألف مرة بسبب الألم.

كانت تيتا تفكر فى أختها وهى تنتهى من تقشير الجوز القليل المتبقى فوق المائدة. كان ليسعد روساورا جداً أن تحضر حفل الزفاف. لقد ماتت المسكينة منذ عام. واحتراماً لذكراها كان الانتظار هذا الوقت لإقامة الاحتفال الدينى. وكانت وفاتها من

أغرب ما يمكن . كانت قد تناولت عشاءها كالمعتاد وذهبت مباشرة بعد ذلك إلى حجرتها . وظلت اسبرانثا وتيتا تتحدثان في حجرة الطعام . صعد بيدرو ليودع روساورا قبل النوم . لم تسمع تيتا واسبرانثا أى شىء نظراً لبعد حجرة الطعام عن حجرات النوم . فى البداية لم يستغرب بيدرو وهو يسمع ، وحتى والباب مغلق ، صوت رياح بطن روساورا . ولكنه بدأ يهتم لهذه الأصوات الكريهة عندما امتد وقت أحداها أكثر من المعتاد ، فبدأ وكأن لا نهاية له . حاول بيدرو التركيز في الكتاب الذي بين يديه ، وهو يفكر أنه من غير الممكن أن يكون ذلك الصوت الممتد نتيجة مشاكل سوء هضم عند زوجته . كان البيت يرتج والضوء يهتز . اعتقد بيدرو للحظة أن تلك الطلقات المدفعية المدوية كانت نتيجة اندلاع الثورة من جديد ، ولكنه استبعد هذا الاحتمال ، لأن الهدوء كان حتى ذلك الوقت ، يسود البلاد . ربما كان الأمر يتعلق بموتور سيارة الجيران . ولكن بالتحقق منه جيداً فإن السيارات ذات الموتور لا تصدر رائحة مثيرة للغثيان بهذه الدرجة . كان غريباً أن يشم هذه الرائحة بالرغم من أنه أخذ احتياطاته بأن جاب كل أنحاء حجرة النوم بملعة بها قطعة مشتعلة من الفحم وقليل من السكر .

هذه الطريقة من أكثر الطرق فاعلية ضد الروائح الكريهة . عندما كان طفلاً ، كانوا معتادين فعل ذلك فى الحجرة التى يتبرز فيها مريض بالمعدة ، وكانوا ينجحون دائماً فى تطهير الجو بشكل

كبير . ولكن الآن لم تفده بشئ هذه الطريقة . اقترب ، قلقاً ، من الباب الذى يربط بين الحجرتين ، وسأل روساورا وهو يطرق الباب بعقل أصابعه ، إذا كانت بخير . وعندما لم يجد إجابة فتح الباب ووجد أمامه روساورا بشفتين بنفسجيتين وجسد مفرغ وعينين ممتعتين ونظرة تائهة ، كانت تخرج آخر نفس وانتفاخ لها . كان تشخيص جون بأنها حالة احتقان معوى حاد .

حضر قليلون مراسم الدفن ، فمع الموت ازدادت حدة الرائحة الكريهة المنبعثة من جثمان روساورا . ولذلك السبب كان القليل من تشجع للحضور . أما من لم تفتهم فكان سرباً من الزماح الملكى ظل يحلق فوق الموكب حتى انتهت مراسم الدفن . عندئذ ، وعندما رأى انه ليس هنا له أى وليمة انسحب يائساً جداً تاركاً روساورا ترتاح فى سلام .

ولكن ساعة راحة تيتا لم تحن بعد . كان جسدها يصرخ فى طلبها ، ولكن كان عليها أن تنتهى من عمل صلصة الجوز قبل ذلك . لهذا كان الأنسب لها ، بدلاً من تذكر أشياء مضت ، أن تسرع من عملها فى المطبخ حتى تستطيع أخذ الراحة الواجبة .

بعد تقشير كل الجوز ، يطحن فى الطاحونة بجانب الجبن والكريمة . وفى النهاية يضاف الملح و الفلفل الأبيض حسب الذوق . تغطى بهذه الصلصة ثمرات الفلفل الحار المحشوة وتزين بعد ذلك بالرمانة .

حشو ثمرات الفلفل الحار:

تحمّر البصلة فى قليل من الزيت . وعندما تحمر يضاف إليها اللحم المفروم والكمون وقليل من السكر . وعندما يحمر اللحم يضاف إليه الدراق والتفاح والجوز والزبيب واللوز والكاكا المقطعة ويترك الخليط حتى ينضج . بعد أن ينضج ، يضاف إليه الملح حسب الذوق ويترك ليغلظ قبل رفعه من فوق النار .

على طرف آخر يتم شى الفلفل ويُقشّر . ثم يفتح من الجنب وتزال منه البذور والعروق .

انتهت تيتا وتشينتشا من تزيين الـ ٢٥ صينية بالفلفل ووضعتها فى مكان بارد . وفى اليوم التالى ، حملها الخدم من ذلك المكان نفسه فى كامل حالتها إلى الوليمة .

كان الخدم يتنقلون من مكان لآخر لخدمة المدعوين الشيطيين . لفت أنظار الجميع وصول خيرتروديس إلى الحفل . فقد جاءت فى سيارة فورد T مكشوفة ، من أوليات السيارات ذات السرعات المتعددة . حيال هبوطها من السيارة كادت أن تسقط قبعتها الكبيرة ذات الحواف العريضة وريش النعام . كان فستانها ذو الكثافات من أحدث الموديلات وأكثرها لفتاً للنظر . لم يقل خوان عن ذلك . كان يرتدي بدله أنيقة ضيقة وقبعة بكرة وطماقات . كان ابنهما البكر قد أصبح شاباً أسمر يافعاً . كانت ملامح وجهه

دقيقة جداً، وكان لونه الأسمر يتباين مع لون عينية الزرقاوين زرقة فاتحة. كان قد ورث لون بشرته عن جده والعينين الزرقاوين عن ماما إيلينا. كانت عيناه مثل عيني جدته تماماً. كان خلفهم الرقيب تريسينيو، الذي عُين بعد انتهاء الثورة حارساً شخصياً لخيرتروديس.

عند مدخل المزرعة كان نيكولاس وروساليو وهما بملابس الفرسان التشريفية يتسلمان بطاقات الدعوات من الأشخاص الذين كانوا مازالوا يتوافدون. كانت بطاقات جميلة للغاية. كان أليكس واسبرانثا قد نفذاها شخصياً. كان ورق البطاقات والحبر الأسود الذي كتبها به والصبغة الذهبية التي زُينت بها حواف الأظرف والحمرة التي ختماها بها من عملهما وفخرهما. كان كل شيء معداً حسب التقاليد وباستخدام وصفات عائلة دي لا جارتا. ماعدا الحبر الأسود الذي لم يكن هناك داعٍ لصنعه فقد تبقى كم كافٍ من الذي أعد لزفاف بيدرو وروساورا. كان حبراً جافاً في حاجة فقط لإضافة قليل من الماء فأصبح كأنه جديد. ويمكن الحصول على هذا بإضافة ٨ أوقيات من الصمغ العربي و خمس أوقيات ونصف الأوقية من العفص وأربع أوقيات من كبريتات الحديد وأوقيتين ونصف الأوقية من البقم ونصف أوقية من كبريتات النحاس. ومن أجل الصبغة الذهبية التي توضع على حواف الأظرف، تؤخذ أوقية من الرهج الأصفر وأخرى من

الصخر البلوري المسحوق جيداً. توضع هذه المساحيق في بياض خمس أو ست بيضات مخفوق جيداً حتى يصبح مثل الماء. أما الحمرة فإنها تُعد بإذابة رطل من صمغ ألك ونصف رطل من لبان جاوه ونصف رطل من الجِلْف ورطل من الزنجفر.

عند تفريغ هذا السائل فوق مائدة مدهونة بزيت اللوز الحلو وقبل أن يبرد تشكل العيدان أو القوالب.

كان كل من اسبرانثا وأليكس قد أمضيا أمسيات كثيرة وهما ينفذان حرفياً هذه الوصفات حتى يستطيعا عمل بطاقات مميزة. وقد حققا ذلك. وكانت كل بطاقة تحفة فنية. جاءت نتاج عمل يدوي كان للأسف في طريقه لأن يصبح موضة قديمة بجانب الملابس الطويلة والرسائل الغرامية والفالس. لكن بالنسبة لتيتا وبيدرو لن يكون بالمرّة موضة قديمة فالس "عيون شابة" الذي كانت تعزفه في تلك اللحظة الفرقة الموسيقية بناءً على طلب صريح من بيدرو. كان كلاهما يتزلق فوق حلبة الرقص وهما يشعان ظرفاً. كانت تيتا في أوج روعتها. وكأن الاثنين والعشرين عاماً التي مضت منذ زواج بيدرو وروسارا لم تنل منها البتة. ففي التاسعة والثلاثين من العمر كانت لاتزال نضرة وممشوقة القوام مثل خيارة مقطوفة لتوها.

كانت عينا جون تتبعهما وهما يرقصان ويبديان حناناً مشوباً باستسلام للمقادير. كان بيدرو يلمس بلطف خد تيتا بخده وكانت

هي تشعر بأن يد بيدرو حول خصرها تكويها بشكل لم يسبق له
مثيل

- هل تتذكرين عندما سمعنا لأول مرة تلك القطعة
الموسيقية؟

- لن أنسى ذلك قط .

- لم أنم تلك الليلة وأنا أفكر في طلب يدك مباشرة . لم
أكن أعلم لماذا انتظرنا مرور ٢٢ عاماً لأعود وأسألك إذا كنت
ترغبين في أن تكوني زوجتي .

- هل أنت جاد فيما تقول ؟

- بالطبع ! لا أريد أن أموت قبل أن تكوني كذلك . كنت
أحلم دائماً بأنني أدخل معك كنيسة مليئة بالزهور البيضاء وأنت
أجمل زهرة وسطها .

- مرتدية ملابس بيضاء ؟

- بالطبع ! لاشيء يمنعك من ذلك . أتعرفين ماذا أيضاً؟
عندما نصبح زوجين ، أريد أن أنجب منك ابناً . مازال الوقت
أمامنا ، أليس كذلك ؟ فالآن ، بعد أن تتركنا اسبرانثا ، نكون في
حاجة إلى صحبة .

لم تستطع تيتا أن تجيب بيدرو . منعته غصة في حلقها .

انسابت بعض الدموع ببطء على خديها. إنها أول دموع سعادة لها.

- وأريد أن تعلمي أنك لن تقنعيني بعكس ذلك. لا يهمني ما يمكن أن تعتقده ابتي أو أي أحد غيرها. لقد أضعنا سنوات طويلة في حرص مما سيقولون، ولكن منذ الليلة لن يستطيع أحد أن يبعثني عنك.

والحقيقة أنه في هذا الوقت لم يكن يهم تيتا مطلقاً ما يمكن أن يظنه الناس بالإعلان عن العلاقة العاطفية التي كانت بين بيدرو وبينها.

لقد احترمت لمدة عشرين عاماً الاتفاق الذي عقدها هما الاثنان مع روساورا وهاقد تعبت.

كان الاتفاق ينص على أنه - أخذاً في الاعتبار أنه بالنسبة لروساورا - كان أمراً حيوياً الاستمرار في التظاهر بأن زواجها يسير بشكل رائع وأن أهم شيء بالنسبة لها أن تنشأ ابتها في إطار النظام المقدس لعائلتها فهو الوحيد، عندها، الذي يمنحها تنشئة أخلاقية قوية وقد تعهد بيدرو وتيتا بأن يكونا أكثر تحفظاً في لقاءاتهما والمحافظة على كتمان حبهما. وأنه أمام أعين الآخرين سيكونون دائماً عائلة سوية جداً. لهذا كان على تيتا أن ترفض أن يكون لها ابن غير شرعي. ولتعويضها، كانت روساورا على

استعداد؛ لأن تتقاسم معها إسبرانثا على النحو التالي: تتولى تيتا تغذية الطفلة وروساورا تربيته.

من جانبها، كانت روساورا مضطرة إلى التعايش معها بطريقة ودية متفادية الغيرة والاعتراض.

احترم الجميع الاتفاق بشكل عام ماعدا ما يتعلق بتربية إسبرانثا. فقد كانت تيتا تريد لإسبرانثا تربية مختلفة جداً عن التي كانت روساورا تخططها لها. هكذا، وبالرغم من أن ذلك لم يكن يخصها، كانت تستغل اللحظات التي تكون فيها إسبرانثا بجانبها لمنح الطفلة نوعاً آخر من المعارف مختلفاً عما تعطيه لها أمها.

كانت هذه اللحظات تمثل الجزء الأكبر من اليوم، فقد كان المطبخ هو المكان المفضل لإسبرانثا. كانت تيتا أفضل أمين سر وصديق.

وكان بالتحديد في إحدى الأمسيات التي كانتا تمضيانها سوياً في المطبخ عندما علمت تيتا أن أليكس، ابن جون براون، يخطب ود إسبرانثا. كانت تيتا أول من علم بذلك. فقد التقيا مرة أخرى، بعد سنوات طويلة، في حفل المدرسة التدريبية التي كانت إسبرانثا تدرس فيها. وكان أليكس في طريقه إلى الانتهاء من دراسته كطبيب. ومنذ اللحظة الأولى انجذب كل منهما للآخر. علمت تيتا عندما قالت لها إسبرانثا إنها شعرت عندما وقعت نظرة

أليكس على جسدها، بأنها مثل عجينة البونيويلو^(٣٣) وهي تسقط في الزيت المغلي، أن أليكس واسبرانثا سوف يرتبطان لا محالة.

حاولت روساورا بكل السبل منع ذلك. فقد عارضت منذ البداية صراحة وبشكل قاطع. تشفع بيدرو وتيتا لاسيرانثا وبهذا الشكل بدأت بينهم معركة موت حقيقية. كانت روساورا تطالب بأعلى صوتها بحقوقها: إن بيدرو وتيتا يخلان بالاتفاق ولم يكن ذلك عادلاً.

لم تكن المرة الأولى التي يتشاجرون فيها بسبب إسبرانثا. كانت المرات الأولى لأن روساورا كانت تصر على عدم ذهاب ابنتها إلى المدرسة، فقد كانت تعتبر ذلك مضيعة للوقت. فإذا كان دور إسبرانثا في هذه الحياة هو فقط رعايتها هي، أمها، للأبد. فأنها ليست في حاجة إلى زيادة معارفها. كان الأفضل أن تدرس العزف على البيانو والغناء والرقص. فبإتقانها هذه الأنشطة ستستفيد كثيراً في الحياة. أولاً، لأن بذلك يمكن لإسبرانثا أن توفر لروساورا أمسيات من التسلية واللهو وثانياً، لأن مشاركتها في الاحتفالات الاجتماعية ستكون من الأبرز والأجدر بالاعتبار. بهذا الشكل تستأثر باهتمام الجميع، وستستقبل دائماً بالترحاب داخل الأوساط الراقية. بعد مجهود كبير، استطاعا اقناع روساورا

(٣٣) نوع من العجائن الحلوة يشبه بلح الشام أو الزلابي.

بعد مناقشات طويلة أن المهم لإسبرانثا، بجانب الغناء والرقص والعزف على البيانو ببراعة، الحديث في أشياء مهمة عندما يتقربون منها، ولهذا كان أمراً حيوياً أن تذهب إلى المدرسة، قبلت روساورا، مكرهة، إرسال ابنتها إلى المدرسة، ولكن فقط لأنها قد اقتنعت بأن إسبرانثا، بالإضافة إلى أنها ستستطيع التحدث بطريقة لطيفة وممتعة، فإنها بشكل أساسي سوف تتعايش مع النخبة من أبناء بيدرأس نجراس. عندئذ انتظمت إسبرانثا في أحسن المدارس بهدف صقل مداركها. وتولت تيتا، بدورها، تعليمها شيئاً على نفس الدرجة من القيمة: أسرار الحياة والحب عن طريق المطبخ.

كان الانتصار الذي تحقق على روساورا كافياً بالقدر الذي لم يسمح بشجار آخر قوى حتى الآن، وعندما تقدم أليكس بإمكانية خطوبة. ثارت روساورا عندما رأت أن بيدرو وتيتا يساندان بلا شرط إسبرانثا. حاربت بكل السبل التي باستطاعتها مثل لبؤة للدفاع عن ما ينتمى إليها عبر التقاليد: ابنة تسهر عليها حتى وفاتها. صاحت، ضربت برجليها، صرخت، بصقت، تقيأت وهددت بلا أمل. وانتهكت الاتفاق لأول مرة وصبت اللعنات ضد بيدرو وتيتا إضافة إلى تحميلهما ذنب كل العذاب الذي تعانيه.

تحول البيت إلى ميدان معركة. كان إغلاق الباب بعنف ضمن الجدول اليومي. لحسن الحظ، لم تمتد هذه النزاعات وقتاً

طويلاً، فبعد ثلاثة أيام من أعنف وأصلف المعارك بين الفريقين، ماتت روساورا بسبب مشاكل هضمية ضخمة. ماتت بـ... الطريقة التي ماتت بها.

إن أكبر انتصار لتيثا هو التوصل إلى تزويج أليكس وإسبرانثا. كم كانت تشعر بالفخر وهي ترى إسبرانثا في غاية الثقة في نفسها، في غاية الذكاء والإعداد والسعادة والكفاءة، وفي نفس الوقت في غاية الأنوثة والحيوية كامرأة بمعنى الكلمة. كانت تبدو في غاية الجمال وهي بفستان العرس وهي ترقص مع أليكس فالس "عيون شابة".

عندما انتهت الموسيقى اقترب كل من باكيثا وخورخيه من عائلة لوبو، لتهنئة بيدرو وتيثا.

- تهانينا يا بيدرو، لم تكن ابتكك تجدد على وجه الأرض من هو أفضل من أليكس خطوة.

- نعم، إن أليكس براون شاب رائع. أسوأ شيء أنهما سوف يتركانا. لقد حصل أليكس على منحة للحصول على الدكتوراه من جامعة هارفارد، واليوم بعد الزفاف يتوجهان إلى هناك.

- يا للقسوة ياتيثا! وماذا ستفعلين؟ علقت باكيثا وهي تبث سمومها - فبدون إسبرانثا في البيت لن يكون بمقدورك البقاء

بجانب بيدرو. أى، قبل أن تذهبي للعيش فى مكان آخر، اعطينى
وصفة الفلفل فى صلصة الجوز. يبدو لذيذاً!

لم يكن الفلفل فى صلصة الجوز طيباً فقط، بل كان بالفعل
لذيذاً. لم تخرج من يد تيتا من قبل هذه الأكلة بتلك اللذة. كان
الفلفل يُظهر بزهو ألوان راية البلاد: الفلفل الأخضر، صلصة
الجوز أبيض، و الرمان الأحمر.

لم تبق الأطباق ثلاثية الألوان طويلاً: فبين غمضة عين
وومضتها اختفى الفلفل من الصحون الكبيرة... كم كان بعيداً
اليوم الذى شعرت فيه تيتا بأنها مثل حبة الفلفل فى صلصة الجوز
التي تُترك حياءً لعدم إظهار النهم.

كانت تيتا تتساءل هل سبب انه لم يتبق ولا فلفلة واحدة
كان اشارة إلى أن التقاليد الطيبة فى طريقها إلى النسيان أم لأن
طعمه كان بالفعل رائعاً.

كان الندماء يبدون مسرورين. ياللفرق بين هذا الزفاف
وزفاف بيدرو و روساورا الذى كان نحساً، عندما انتهى بتسمم كل
المدعوين. أما الآن، فعلى العكس، عند تذوق الفلفل فى صلصة
الجوز، بدلاً من الشعور بحنين شديد وإحباط، شعر الجميع
باحساس يشبه ما أحسته خيرتروديس عندما أكلت السمان ببتلات
الورد. وللتغيير كانت خيرتروديس أول من شعر من جديد

بالأعراض . كانت فى وسط فناء البيت ترقص مع خوان على إنغام " قائدى المعشوق " وكانت تغنى قرار الأغنية وهى ترقص كأنما لم ترقص من قبل . كل مرة كانت تنطق فيها الـ " أى ، أى ، أى ، أى ، قائدى المعشوق " ، كانت تتذكر العهد الماضى عندما كان خوان ما يزال قائداً ، وكانت معه فى قلب الميدان عارية تماماً . شعرت مباشرة بحرارة فى ساقىها ، ودغدة داخل جسدها ، والأفكار الآثمة ، وقررت الانسحاب هى وزوجها قبل أن تتفاقم الأمور . كانت خيرترووديس أول من بدأ التفرق . اعتذر كل المدعوين أيضاً ، بحجة أو بأخرى وبنظرات شهوانية ، وانسحبوا . شكر لهما العروسان ذلك حتى يكونا فى حرية لأخذ أمتعهما والسفر فى أسرع وقت ممكن . فقد كانا فى عجلة للوصول إلى الفندق .

عندما تنبه كل من تيتا وبيدرو ، لم يكن فى المزرعة سوى جون وتشينتشا وهما فحسب . والآخرى جميعاً ، بما فيهم عمال المزرعة ، كانوا فى أبعد مكان يمكنهم الوصول اليه يمارسون الحب بخلاعة . بعضهم أسفل جسر بيدراس نجراس وايجل باس والاكثر محافظة داخل سيارتهم الراكنة بغير نظام فى طريق السيارات والأغلبية حيث استطاعوا . أى مكان كان صالحاً : فى النهر ، على الدرج ، فى الحوض الخشبي ، فى المدفأة ، فى موقد المدفأة ، فى فترينة الصيدلية ، فى الدولاب ، فى أعلى الأشجار . إن الحاجة أم

الاختراعات والمواقف كلها: فقد ظهرت فى ذلك اليوم إبداعات لم تظهر بالمرّة فى تاريخ الإنسانية.

كانت تيتا وييدرو يقومان من جانبهما بمجهود جبار حتى لا يطلقا لجام اندفاعتهما الجنسية، ولكن هذه كانت على درجة من القوة؛ بحيث تخطت حاجز جلدهما وخرجت مندفعة على شكل حرارة ورائحة فريدة. لاحظ جون ذلك وعندما رأى أنه ضيف ثقيل، استأذن وذهب. تألمت تيتا لرؤيته يذهب وحيداً. كان يجب على جون أن يتزوج من غيرها عندما رفضت هى أن تكون زوجته. ولكنه لم يفعل ذلك بالمرّة.

عندما ذهب جون، طلبت تشييتشا السماح لها بالذهاب إلى قريتها: فمنذ أيام ذهب زوجها ليعمل كبنّاء طوب وفجأة شعرت برغبة قوية فى رؤيته.

لو كان بيدرو وتيتا قد خططا للبقاء وحدهما لشهر العسل لما استطاعا ذلك وبأقل مجهود. فلأول مرة فى حياتهما يمكنهما أن يتحبا بحرية. فلسنوات عديدة كان عليهما اتخاذ سلسلة من الإحتياطات حتى لا يرونها، حتى لا يشك أحد فيهما، حتى لا تحمل تيتا، حتى لا يصرخان من اللذة وأحدهما داخل الآخر. من الآن فإن كل ذلك ينتمى للماضى.

دون الحاجة إلى كلام أمسك كل منهما يد الآخر وتوجها إلى الحجرة المظلمة. وقبل أن يدخلها بيدرو بين ذراعيه،

فتح الباب ببطء وبدأت الحجرة المظلمة أمام عينيه وقد تحولت تماماً. اختفت كل الكراكيب. لم يكن بها سوى السرير النحاسي ممتداً بعظمة في وسط الحجرة. كانت الملاءات الحريرية وغطاء السرير بيضاء اللون مثل السجادة ذات الأزهار التي كانت تفرش الأرض والـ ٢٥٠ شمعة التي كانت تضيئ ما يسمى خطأ الآن بالحجرة المظلمة. تأثرت تيتا وهي تفكر في المجهود الذي بذله بيدرو لتزينها بهذا الشكل، وكذلك بيدرو، فكر في كيف وجدت تيتا سبيلاً لعمل ذلك في الخفاء.

كانا مفعمين باللذة إلى درجة عدم انتباههما إلى أن ناتشا كانت في ركن من الحجرة تشعل آخر شمعة ثم وهي صامته تلاشت.

وضع بيدرو تيتا على السرير وبدأ يخلع لها ببطء قطعة قطعة الثياب التي كانت تغطيها. بعد تبادل المداعبات والنظرات بحنان مطلق، اطلقا عنان العاطفة المكبوتة لسنوات طويلة.

امتزج صوت خبطات رأس السرير النحاسي نحو الحائط و الأصوات الحلقية التي أطلقاها مع صوت آلاف الحمام وهو يطير فوقهما متبديداً. فقد أومأت الحاسة السادسة التي تتمتع بها الحيوانات للحمام انه يجب عليه الهرب بسرعة من المزرعة. نفس الشيء فعلته كل الحيوانات الأخرى، البقر، الخنازير، الدجاج، السمان، الحملان و الأحصنة.

لم تستطع تيتا الإنتباه لأى شئ. كانت تشعر بأنها تقترب من الذروة بشدة إلى درجة أن عينيها كانتا تريان وهما مغلقتان وظهر أمامها نفق ساطع.

تذكرت فى تلك اللحظة الكلمات التى قالها لها جون يوماً ما: إذا ما تم بسبب إنفعال قوى جداً اشتعال كل الثقاب التى نحملها فى داخلنا مرة واحدة، تنشأ اشراقة قوية للغاية تضىء إلى أبعد ما يمكننا رؤيته عادة وعندئذ يظهر أمام أعيننا نفق ساطع ينير لنا الطريق الذى نسيناه لحظة مولدنا، والذى ينادينا لنتلقى من جديد مع أصلنا المقدس الضائع. تتوق الروح إلى العودة من جديد إلى مكان نشأتها، تاركة الجسد ساكناً. "... احتوت تيتا انفعالها.

لم تكن تريد أن تموت. كانت تريد تجربة تفجّر المشاعر هذا نفسه عدة مرات أكثر. فقد كانت هذه هى البداية فقط.

حاولت أن تعيد تنفسها إلى طبيعته، ولم تنتبه إلا الآن إلى صوت رفرفة آخر سرب حمام اثناء رحيله. لم تكن تسمع بجانب هذا الصوت، إلا صوت قلبيهما. كانت النبضات قوية إلى درجة أنها كانت تستطيع بما فى ذلك أن تشعر بقلب بيدرو وهو يصطدم بجلد صدرها. فجأة توقفت هذه الضربات بغتة. ساد صمت مميت بكل الحجرة. ولم تستغرق وقتاً طويلاً في إدراك أن بيدرو قد مات.

ماتت مع بيدرو امكانية العودة إلى إشعال نيرانها الداخلية، ذهبت معه كل اعواد الثقاب وكانت تعرف أن الحرارة الطبيعية التي تشعر بها الآن سوف تبدأ في الخمود شيئاً فشيئاً، ملتزمة جوهرها الذاتي مالم تجد غذاء يبقى عليها.

مؤكد أن بيدرو قد مات لحظة النشوة عندما نفذ في النفق المضيئ. ندمت لأنها لم تفعل نفس الشيء. يستحيل عليها الآن العودة إلى رؤية ذلك الضوء مرة أخرى فلم تعد قادرة على الشعور بشيء. ستظل تهيم في الظلمات إلى الأبد، وحيدة، وحيدة للغاية. كان عليها أن تجد وسيلة، حتى لو كانت صناعية، لجلب نار يمكنها أن تضيئ طريق العودة إلى الأصل وإلى بيدرو. ولكن كان يلزم الحد من البرد القارس الذي بدأ يشلها. نهضت، أسرعت إلى غطاء السرير الهائل الذي كانت قد غزلته ليلة بعد ليلة من ليالي الوحدة والسهاد ووضعتة فوقها. كست به الثلاثة هكتارات التي كانت تمثل مساحة المزرعة بأكملها. أخرجت من درج مكتبها علبة أعواد الثقاب التي اهداها لها جون. كانت تحتاج إلى فسفور كثير في جسدتها. بدأت تأكل أعواد الثقاب التي كانت بالعلبة واحداً تلو الآخر. كانت عند مضغ كل عود تغلق عينيها بقوة وتحاول إعادة نسج الذكريات الأكثر انفعالاً بينها هي وبيدرو. أول قبلة، أول مداعبة، أول علاقة جنسية. وتوصلت إلى ما كانت تلتهمسه. فعند تلامس الفوسفور الذي كانت تمضغه

بالصورة المضيئة التي تستدعيها، كان الثقاب يشتعل . بدأت رؤيتها تتبصر شيئاً فشيئاً حتى ظهر أمام عينيها من جديد النفق . هنالك، عند المدخل، كانت صورة بيدرو المضيئة، تنتظرها . لم تتردد تيتا . تركت نفسها تذهب للقاءه وذاب كلاهما فى عناق طويل وهما يمارسان من جديد ذروة العاطفة رحلا سوياً نحو اللجنة المفقودة . لن ينفصلا بعد ذلك بالمرة .

فى تلك اللحظة بدأ جسدا بيدرو وتيتا المتقدان فى إطلاق شرر . أشعل الشرر غطاء السرير الذى أشعل بدوره المزرعة كلها . كم كان الوقت مناسباً الذى هاجرت فيه الحيوانات، لتنجو من الحريق ! تحولت الحجرة المظلمة إلى بركان شره . كان يطلق حمماً ورماداً فى كل اتجاه . كانت الحمم عندما تصل إلى أعلى ارتفاع لها تنفجر متحوّلة إلى أضواء بكل الألوان . كان سكان المناطق القريبة يشاهدون المنظر على بعد عدة كيلو مترات معتقدين أنها الألعاب النارية الخاصة بحفل زفاف اليكس وإسبرانشا . ولكن عندما استمرت هذه النيران لمدة اسبوع اقتربوا حباً للإستطلاع .

كانت طبقة من الرماد بارتفاع عدة أمتار تغطى المزرعة كلها . وعندما عادت إسبرانشا، أمى، من رحلة الزواج، وجدت فقط اسفل بقايا ماكانت مزرعة هذا الكتاب الخاص بالمطبخ الذى أورثنى إياه عند موتها، والذى تحكى كل وصفة من وصفاته قصة الحب المدفونة هذه .

يقولون إنه قد نبتت أسفل الرماد كل أنواع الحياة محولة
تلك الأرض إلى أكثر أراضى الإقليم خصوبة.

كان من حسن حظى خلال طفولتى التمتع بالفاكهة والخضار
الذى كان ينتج هناك. مع الوقت أمرت أمى ببناء مبنى صغير فى
تلك الأرض به شقق. مازال يعيش فى إحداها أبى، إليكس.
وسوف يأتى اليوم إلى بيتى للاحتفال بعيد ميلادى. لذلك فأنا
أعد كعك عيد الميلاد، طبقى المفضل. كانت أمى تعده لى كل
عام. أمى! . . . كم أشتاق لطعم أكلها، رائحة مطبخها، أحاديثها
وهى تعد الطعام، كعكة عيد الميلاد! لست أدرى لماذا لا أصنعها
كما كانت تصنعها هى، ولا أدرى أيضاً لماذا أذرف كمأ من الدمع
وأنا أعده، ربما لأننى حساسة للبصل مثل تيتا، خالتى، والتى
ستظل حية طالما يكون هناك من يطهو وصفاتها.

المشروع القومي للترجمة

- ١- اللغة العليا (طبعة ثانية)
- ٢- الوثنية والإسلام
- ٣- التراث المسروق
- ٤- كيف تتم كتابة السيناريو
- ٥- ثريا في غيبوبة
- ٦- اتجاهات البحث اللساني
- ٧- العلوم الإنسانية والفلسفة
- ٨- مشعلو الحرائق
- ٩- التغيرات البيئية
- ١٠- خطاب الحكاية
- ١١- مختارات
- ١٢- طريق الحرير
- ١٣- ديانة الساميين
- ١٤- التحليل النفسي والأدب
- ١٥- الحركات الفنية
- ١٦- أثينة السوداء
- ١٧- مختارات
- ١٨- الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية
- ١٩- الأعمال الشعرية الكاملة
- ٢٠- قصة العلم
- ٢١- خوخة وألف خوخة
- ٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين
- ٢٣- تجلى الجميل
- ٢٤- ظلال المستقبل
- ٢٥- مثنوى
- ٢٦- دين مصر العام
- ٢٧- التنوع البشري الخلاق
- ٢٨- رسالة في التسامح
- ٢٩- الموت والوجود
- ٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)
- ٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
- ٣٢- الانقراض
- ٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية
- ٣٤- الرواية العربية
- ٣٥- الأسطورة والحداثة
- جون كوين
- ك. مادهو بانيكار
- جورج جيمس
- انجا كاريتمكوفا
- إسماعيل فصيح
- ميلكا إفيتش
- لوسيان غولمان
- ماكس فريش
- أندرو س. جودى
- جيرار جينيت
- فيسوافا شيمبوريسكا
- ديفيد براونستون وايرين فرانك
- روبرتسن سميث
- جان بيلمان نويل
- إنوارد لويس سميث
- مارتن برنال
- فيليب لاركين
- مختارات
- جورج سفيريس
- ج. ج. كراوثر
- صمد بهرنجى
- جون أنتيس
- هانز جيورج جادامر
- باتريك بارندر
- مولانا جلال الدين الرومى
- محمد حسين هيكل
- مقالات
- جون لوك
- جيمس ب. كارس
- ك. مادهو بانيكار
- جان سوفاجيه - كلود كاين
- ديفيد روس
- أ. ج. هويكنز
- روجر آلن
- بول . ب . ديكسون
- ت : أحمد نرويش
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : شوقى جلال
- ت : أحمد الحضري
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
- ت : يوسف الأنطكى
- ت : مصطفى ماهر
- ت : محمود محمد عاشور
- ت : محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى
- ت : هناء عبد الفتاح
- ت : أحمد محمود
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : حسن المودن
- ت : أشرف رفيق عفيفى
- ت : بإشراف أحمد عثمان
- ت : محمد مصطفى بدوى
- ت : طلعت شاهين
- ت : نعيم عطية
- ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
- ت : ماجدة العناني
- ت : سيد أحمد على الناصري
- ت : سعيد توفيق
- ت : بكر عباس
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
- ت : أحمد محمد حسين هيكل
- ت : نخبة
- ت : منى أبو سنه
- ت : بدر الديب
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
- ت : مصطفى إبراهيم فهمى
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : حصه إبراهيم المنيف
- ت : خليل كلفت

- ٢٦- نظريات السرد الحديثة
٢٧- واحة سيوة وموسيقاها
٢٨- نقد الحداثة
٢٩- الإغريق والحسد
٤٠- قصائد حب
٤١- ما بعد المركزية الأوربية
٤٢- عالم ماك
٤٣- اللهب المزدوج
٤٤- بعد عدة أصياف
٤٥- التراث المغفور
٤٦- عشرون قصيدة حب
٤٧- تاريخ النقد الأنبي الحديث (١)
٤٨- حضارة مصر الفرعونية
٤٩- الإسلام فى البلقان
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
٥١- مسار الرواية الإسبانية أمريكية
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى
٥٣- الدراما والتعليم
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح
٥٥- ما وراء العلم
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
٥٨- مسرحيتان
٥٩- المحبرة
٦٠- التصميم والشكل
٦١- موسوعة علم الإنسان
٦٢- لذة النص
٦٣- تاريخ النقد الأنبي الحديث (٢)
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية
٦٧- مختارات
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى
٦٩- العالم الإسلامى فى أول القرن العشرين
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى
- والاس مارتن
بريجيت شيفر
ألن تودين
بيتر والكوت
آن سكستون
بيتر جران
بنجامين باربر
أوكتافيو پاث
ألدوس هكسلى
روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين
يابلو نيرودا
رينيه ويليك
فرانسوا دوما
هـ . ت . نوري
جمال الدين بن الشيخ
داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى
بيتر . ن . نوقاليس وستيفن . ج .
روجسيفيتز وروجر بيل
أ . ف . ألنجتون
ج . مايكل والتون
جون بولكنجهوم
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
كارلوس مونييث
جوهانز ايتين
شارلوت سيمور - سميث
رولان بارت
رينيه ويليك
آلان وود
برتراند راسل
أنطونيو جالا
قرنانو بيسوا
فالتين راسبوتين
عبد الرشيد إبراهيم
أوخينيو تشانج رودريجت
داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مغيث
ت : منيرة كروان
ت : محمد عيد إبراهيم
ت : عطف لصد / إبراهيم قحى / محمود ملج
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تادرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد على
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاني
ت : عبد الوهاب علوب
ت : محمد يرانة وعثماني الميود ويوسف الأنطكي
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفى قطيم وعادل دمرداش
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : على يوسف على
ت : محمود على مكى
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : صبرى محمد عبد الغنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعى .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢- السياسى العجوز ت . س . إليوت
٧٣- نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
٧٤- صلاح الدين والمالوك فى مصر ل . ا . سيمينوفا
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
٧٧- تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢ رينيه ويليك
٧٨- العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
٧٩- شعرية التأليف بوريس أوسبنسكى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
٨١- الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
٨٢- مسرح ميغيل ميغيل دى أونامونو
٨٣- مختارات غوتفريد بن
٨٤- موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاى
٨٦- طول الليل جمال مير صادقى
٨٧- نون والقلم جلال آل أحمد
٨٨- الابتلاء بالغرب جلال آل أحمد
٨٩- الطريق الثالث أنتونى جينز
٩٠- وسم السيف ميغل دى ترياتس
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
٩٢- أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
الإسبانيات وأمريكى المعاصر
٩٣- محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
٩٤- الحب الأول والصحة صمويل بيكيت
٩٥- مختارات من المسرح الإشباني أنطونيو بوويرو بايخو
٩٦- ثلاث زنيقات ووردة قصص مختارة
٩٧- هوية فرنسا مع ١ فرنان برودل
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى نماذج ومقالات
٩٩- تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
١٠٠- مساعلة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
١٠١- النص الروائى (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليت
١٠٢- السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آباء عبد الوهاب المؤيد
١٠٤- أوبرا ماهوجنى برتولت بريشت
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع جيرارچينيت
١٠٦- الألب الأندلسى د. ماريا خيسوس روبيرامتى
١٠٧- صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمى وناصر خلاوى
ت : مكارم الغمرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم الدسوقى شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحدو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكارى
ت : عبد العزيز شبيب
ت : د. أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأتلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه	جون بولوك وعادل نرويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسييس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى ومكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمىة رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سيتثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	تيل الكسندر وفتناولين	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بليغ
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نورية
١٢٩- الرواية الاسيانية المعاصرة	ماريا بولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندرفرانك	ت : شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأبونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	بيريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥- موت أرتيميو كروث
١٤٦- الورقة الحمراء
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس
١٥٠- التجربة الإغريقية
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج ١
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى
١٥٣- غرام الفراغة
١٥٤- مدرسة فرانكفورت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧- خسرو وشيرين
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج ٢
١٥٩- الإيديولوجية
١٦٠- آلة الطبيعة
١٦١- من المسرح الإسباني
١٦٢- تاريخ الكنيسة
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)
١٦٥- حكايات الثعلب
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل
١٦٧- في عالم طاغور
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩- إبداعات أدبية
١٧٠- الطريق
١٧١- وضع حد
١٧٢- حجر الشمس
١٧٣- معنى الجمال
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧- أنطون تشيخوف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩- حكايات أيسوب
١٨٠- قصة جاويد
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي
١٨٢- العنف والنبوة
١٨٣- جان كوكتو على شاشة السينما
- كارلوس فرونتس
ميجيل دي ليبس
تاتكريد دورست
إنريكي أندرسون إمبرت
عاطف فضول
روبرت ج. ليتمان
فرنان برودل
نخبة من الكتاب
فيولين فاتويك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
النظامى الكتوجى
فرنان برودل
ديفيد هوكس
بول إيرليش
اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
يوجنا الآسيوى
جوردن مارشال
جان لاكوتير
أ. ن أفانا سيفا
يشعياهو ليتمان
رابندراناث طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميغيل دليبيس
قرانك بيجو
مختارات
ولتر ت. ستيس
ايليس كاشمور
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
هنرى تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنسنت ب. ليتش
وب. بيتس
رينيه چيلسون
- ت : أحمد حسان
ت : على عبدالرؤوف اليمى
ت : عبدالغفار مكاوى
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعى
ت : محمد محمد الخطابى
ت : فاطمة عبدالله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مى التلمسانى
ت : عبدالعزيز بقوش
ت : بشير السباعى
ت : إبراهيم فتحى
ت : حسين بيومى
ت : زيدان عبدالحليم زيدان
ت : صلاح عبدالعزيز محجوب
ت : مجموعة من المترجمين
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصادفة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطابى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصه إبراهيم المنيف
ت : محمد حمدي إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبد الأمير حمدان
ت : محمد يحيى
ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحى العشرى

١٨٤- القاهرة... حالة لا تنام	هانز إيندورفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزرج علوى	ت: علاء منصور
١٨٨- موت الالب	القين كرنان	ت: بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت: سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت: محسن سيد فرجاني
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامہ إبراهيم بيك ج١	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل النجم	بيتز أبراهامز	ت: محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الانجلو-أمريكى	مجموعة من النقد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت: محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فانتين راسبوتين	ت: أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	انوين إمزى وآخرون	ت: ابراهيم سلامة ابراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندواى	ت: جمال احمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخزى لبيب
٢٠١- الجانب النينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٤	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علما جديدا	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقى	رامون خوتاسنديز	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان توسوسير	جوناثان كلر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل ميدانناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جينتز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامہ إبراهيم بيك ج٢	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- عولة السياسة العالمية	جون بايلس و ستيت سميث	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
٢١٨- رايولا	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم على منوفى
٢١٩- بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانييس	ت: رفعت سلام

٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جرای	ت: نسیم مجلی
٢٢٣- العلم فی مجتمع حر	بول فیرابنر	ت: السید محمد نفاذی
٢٢٤- دمار یوغسلافیا	برانکا ماجاس	ت: منی عبدالظاهر إبراهیم السید
٢٢٥- حکایة غریق	جابرئیل جارتیا مارکث	ت: السید عبدالظاهر السید
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	دیفید هربت لورانس	ت: طاهر محمد علی البربری
٢٢٧- المسرح الإسباني فی القرن السابع عشر	موسی مارديا ديف بوركی	ت: السید عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانیت وولف	ت:نماری تیریز عبدالسیح وخاله حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان کیمان	ت: أمير إبراهیم العمری
٢٣٠- عن الذباب والقثران والبشر	فرانسواز جاکوب	ت: مصطفى إبراهیم فهمی
٢٣١- الدرافیل	خایمی سالوم بدال	ت: جمال أحمد عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستینر	ت: مصطفى إبراهیم فهمی
٢٣٣- فكرة الاضمحلال	ارثر هومان	ت: طلعت الشایب
٢٣٤- الإسلام فی السودان	ج. سبنسر تریمنجهام	ت: فؤاد محمد عکود
٢٣٥- دیوان شمس التبریزی	جلال الدین مولوی رومی	ت: إبراهیم الدسوقی شتا
٢٣٦- الولاية	میشیل تود	ت: أحمد الطیب
٢٣٧- مصر أرض الوادی	روین فیرین	ت: عنايات حسین طلعت
٢٣٨- العولة والتحریر	الانکتاد	ت: یاسر محمد جادالله وعربی مدبولی أحمد
٢٣٩- العربی فی الأدب الإسرائيلي	جیلرافر - رایوخ	ت: نادیة سلیمان حافظ وإیهاب صلاح فایق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	کامی حافظ	ت: صلاح عبدالعزیز محمود
٢٤١- فی انتظار البرابرة	ج . م کویتز	ت: ابتسام عبدالله سعید
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إميسون	ت: صبری محمد حسن عبدالنبی
٢٤٣- تاریخ إسبانيا الإسلامية ج١	لیفی بروفنال	ت: علی عبدالرؤوف البمبی
٢٤٤- الغلیان	لورا اسکیبیل	ت: نادیة جمال الدین محمد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٧٢ / ٢٠٠٠



Estudio Crítico de como agua para chocolate

تدور الرواية حول «تيتا» الابنة الصغرى التى تتحمل بخضوع ونقمة عدم استطاعة الزواج ممن أحبت امتثالاً لتقليد عائلى يقضى بضرورة قيام الابنة الصغرى فى الأسرة برعاية أمها حتى وفاتها ، وهو ما يترتب عليه عدم زواجها طوال تلك الفترة . وهكذا تتحول «تيتا» ، شيئاً فشيئاً ، إلى رمز المجتمع المكسيكى الجديد الذى تشكل عبر القوى الخارجية للثورة المكسيكية : مجتمع مغلوب على أمره وخاضع .

تنسج عقدة القصة عبر مجموعة من وصفات الطعام التى تؤدى عناصرها الغذائية أحياناً إلى تأثيرات سحرية وهزلية . هذه الوصفات موزعة على اثنى عشر شهراً من يناير إلى ديسمبر ، يمثل كل منها فصلاً من فصول الرواية ، تصاحبنا خلال أحداثها مشاعر البطلة وهى إحساس بالغضب لزواج شقيقتها الكبرى من حبيبها الذى رفضت أمها أن تزوجه لها وزوجته من شقيقتها الكبرى ، ورغبة جنسية مكبوتة يصاحبها شعور ووضوح جاهز للانفجار والافتضاح لا يجد أمامه من متنفس إلا الطهى .

من هنا نكتشف أن الطهى وتأثيراته هو العنصر الأساسى للرواية ، فاللذة التى يؤدى إليها الطعام ، سواء فى طريقة إعدادة أو مذاقه ، هو قاعدة المضمون والشكل فى رواية «الغليان» .

LE 13.00

Laura Esquivel